

UGLY

LOVE

حب قبيح

كولين هوفر

COLLEEN HOOVER

ترجمة: تسنيم فهيد

رواية



حب قبيح

هوفر، كولين
حب قبيح : رواية/ كولين هوفر
القاهرة : كيان للنشر والتوزيع، 2025.
440 صفحة، 20 سم.
ردمك : 7-271-820-977-978
1- القصص الامريكية .
أ- فهد، تسنيم (مترجم)
ب- العنوان : 823
رقم الإيداع : 2024 / 33466
الطبعة الأولى : يناير 2025.
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

كيان للنشر والتوزيع
إشراف عام:
محمد جميل صبري
نيفين التهامي

Copyright © 2014 by Colleen Hoover

.Published in agreement with Simon & Schuster, Inc

.Arabic Language Translation copyright © 2025 published by Kayan Publishing

.All rights reserved

4 ش حسين عباس من شارع جمال الدين الأفغاني- الهرم- محافظة الجيزة.

هاتف أرضي: 0235918808

هاتف محمول: 0100405450 - 01001872290

بريد إلكتروني: kayanpub@gmail.com

info@kayanpublishing.com

الموقع الرسمي: www.kayanpublishing.com

• إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشرين.

©جميع الحقوق محفوظة، وأي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إلكترونية أو بآلية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابي من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

رواية
حب قبيح
كولين هوفر
ترجمة
تسنيم فهد

إهداء

إلى أفضل صديقتين حظيت بهما،
والذي تصادف أنهما أختاي، لين ومورفي

الفصل الأول

تايت

«شخصٌ ما قد طعنك في رقبتك، أيتها الشابة».

اتسعت عيناى، واستدرت ببطء نحو الرجل المهذب كبير السن، الذي يقف بجوارى. ضَغَطَ زر الصعود لأعلى في المصعد وواجهنى. ابتسم وأشار إلى رقبتي، قائلاً: «وَحْمَتِكَ». ارتفعت يدي غريزياً إلى رقبتي، ولمست «شامة» بحجم عشر سنتات تقبع تحت أذني مباشرة: «دأب جدي على القول، إن موضع الوحمة في الجسد، يروي كيف خسر الشخص معركة في الحياة السابقة! أعتقد أنك تلقيت طعنة في رقبتك. أراهن أنها كانت ميتة سريعة». ابتسمت وأنا لا أعرف هل يجب أن أشعر بالخوف أم الاستمتاع. فمع أنه بدأ كلامه معى بطريقة مزعجة إلى حدِّ ما، فإنه لا يبدو خَطِراً للدرجة. ظهره المقوس ووقفته المهتزة، تشي بأنه لا يقل في العمر يوماً عن ثمانين عاماً.

سار ببطء بضع خطوات نحو أحد الكراسي الحمراء المُخملية المُلاصقة للحائط بجوار المصعد. وصدرت عنه همهمة وهو يغرق في الكرسي قبل أن ينظر إليّ مرة أخرى. «هل أنت ذاهبة إلى الطابق الثامن عشر؟».

ضاقت عيني وأنا أستوعب سؤاله. إنه يعرف بطريقة ما إلى أي طابق سأصعد! مع أنها المرة الأولى التي أضع فيها قدمي في هذا المجمع السكني، والمرة الأولى بالتأكيد التي تقع فيها عيني على هذا الرجل! أجبت بحذر: «نعم يا سيدي. هل تعمل هنا؟».

وأوماً برأسه نحو المصعد نعم بالفعل. انتقلت عيناى نحو الأرقام المضئنة فوق باب المصعد. ما زال هناك إحدى عشر طابقاً قبل أن يصل. أدعو الله أن يصل سريعاً. يخبرني عن عمله: «أضغَطَ زر المصعد. لا أظن أن هناك لقباً رسمياً لوظيفتي، لكنني أفضل الإشارة إلى نفسي بـ «مسؤول رحلة الطيران»، وذلك بصفتي أُرسل الناس بالفعل إلى ارتفاع عشرين طابقاً في الهواء!».

ابتسمت لكلماته، فأبي وأخي طياران. أسأله بينما أنتظر: «منذ متى وأنت مسؤول رحلة الطيران في هذا المصعد؟»، أقسم أن هذا المصعد اللعين أبطأ مصعد قد قابلته في حياتي.

«منذ أن صرت عاجزاً للغاية على أداء أعمال الصيانة في هذا المبنى. لقد عملت هنا طوال اثنين وثلاثين عاماً قبل أن أصبح طياراً. وأعتقد أنني أرسل الناس في رحلات الطيران منذ أكثر من خمسة عشر عاماً. منحني مالك البناية هذه الوظيفة شفقة، ليُقيني مشغولاً، حتى يحين أجلي». ابتسم لنفسه: «ما لم يُدركه، هو أن الله منحني الكثير من الأشياء العظيمة التي يجب أن أنجزها في حياتي، والآن، أنا متأخر للغاية، ولن أموت أبداً».

وجدت نفسي أضحك في اللحظة التي فُتحت فيها أبواب المصعد أخيراً. أمسكت بمقبض حقيبة سفري والتفتُ إليه مرة أخرى، قبل أن أخطو داخل المصعد، سألت: «ما اسمك؟». أجاب: «سامويل. لكن ناديني كاب اختصاراً لكابتن، الجميع يفعلون ذلك». «هل لديك أي وحمات يا كاب؟».

أطلق همهمة: «في الحقيقة، لديّ. يبدو أنني قد أصبت في حياتي السابقة برصاصة في المؤخرة، ولا بد أنني قد نزت حتى الموت». ابتسمت ورفعت يدي إلى جبهي ومنحته تحية تليق بقائد طائرة.

خطوت داخل المصعد واستدرت لأواجه الأبواب المفتوحة، معجبةً بالترف الذي يكسو البهو. يبدو هذا المكان بأعمدته الواسعة وأرضيته الرخامية، أشبه بفندق تاريخي أكثر من كونه مجمعاً سكنياً.

عندما قال كوربين إنني أستطيع البقاء معه حتى أجد وظيفة، لم يكن لدي فكرة أنه يعيش بصفته شخصاً بالغاً حقيقياً. اعتقدت أن الأمر سيكون مشابهاً لآخر مرة زرته فيها، مباشرة بعد تخرجي من المدرسة الثانوية، عندما بدأ العمل لأول مرة للحصول على رخصة لمزاولة الطيران. كان ذلك قبل أربع سنوات، مجمع سكني بسيط مكون من طابقين. هذا ما كنت أتوقعه. بالتأكيد لم أكن أتوقع بناية شاهقة في وسط مدينة سان فرانسيسكو.

وجدت لوحة المفاتيح وضغطت زر الطابق الثامن عشر، ثم نظرت إلى المرأة التي تغطي جدار المصعد. قضيت يوم أمس بأكمله ومعظم هذا الصباح، في حزم كل أمتعتي وما أملك، من شقتي في سان دييجو. ولحسن الحظ؛ لا أملك الكثير.

لكن بعد قطع مسافة خمسمائة ميل بمفردي اليوم، أصبح الإرهاق واضحاً جداً علي. كان شعري عقدة مفكوكة مثبتة بقلم رصاص فوق رأسي، لأنني لم أتمكن من العثور على ربطة شعر أثناء القيادة. عادةً ما تكون عيناى بلون شعري البندقي، لكنهما الآن تبدوان أغمق عشر درجات بفضل الانتفاخات الموجودة تحتهما.

مددت يدي إلى الحقيبة بحثاً عن مرطب شفاه، على أمل إنقاذ شفتيّ من أن تبدوان مُنهكتين كبقية مظهري. وما كادت أبواب المصعد تُغلق، حتى انفتحت مرة أخرى، واندفع شاب إلى الداخل وهو يوجه كلامه إلى الرجل العجوز، قائلاً: «شكراً يا كاب».

لا أستطيع رؤية كاب من داخل المصعد، لكن يُمكنني سماع همهمة رده. لا يظهر أنه حريص على إجراء محادثة قصيرة مع هذا الشاب كما فعل معي. يبدو أنه في أواخر العشرينيات من عمره على الأكثر. ابتسم لي باستمتاع، وأنا أعرف ما يدور في ذهنه بالضبط، مع الأخذ في الاعتبار أنه وضع يده اليسرى في جيبه. اليد التي بها خاتم الزواج.

«الطابق العاشر». قالها دون أن يشيح بنظره بعيداً عني. وقعت عيناه على الخط الفاصل بين نهديّ الظاهر من قميصي، ثم نظر إلى حقيبة السفر التي بجواري. ضغطت زر الطابق العاشر. كان يجب أن أرتدي سترة.

سأل وهو يحدق نحو قميصي بوقاحة مرة أخرى: «هل تنتقلين للعيش هنا؟». أو مات برأسي، مع أنني أشك في أنه لاحظ ذلك، لأن نظرتة لم تكن مثبتة في أي مكان بالقرب من وجهي.

«أي طابق؟». أوه لا، لا تفعل ذلك. مددت يدي وأخفيت كل الأزرار الموجودة على اللوحة، حتى أخفي زر الطابق الثامن عشر المضيئ. ثم ضغطت على كل زر بين الطابقين العاشر والثامن عشر. نظر حائراً إلى اللوحة. أجبتة: «هذا ليس من شأنك». ضحك. يظن أنني أمزح معه.

قوَس حاجبه الكثيف الداكن. إنه حاجب جميل. متصل بوجه جميل، متصل برأس جميل، متصل بجسد جميل.

جسد متزوج.

الأحمق.

ابتسم بإغراء بعدما لاحظ تفحصي له. لكنني لم أكن أتفحصه بالصورة التي يظنها. كنت أتساءل في ذهني عن عدد المرات التي التصق فيها هذا الجسد بامرأة، ليست زوجته. أشعر بالأسف على زوجته المسكينة.

عندما وصلنا إلى الطابق العاشر، أعاد النظر إلى الخط الفاصل بين نهديّ مرة أخرى. وقال: «يمكنني مساعدتك»، مشيراً إلى حقيبة سفري. صوته جذاب. أتساءل عن عدد الفتيات اللواتي سقطن في حبال هذا الصوت المتزوج. سار باتجاهي ومد يده نحو لوحة الأزرار، ضاغطاً على زر إغلاق الأبواب. حدقتُ في عينيه بثبات، و ضغطت زر فتح الأبواب. «يمكنني التعامل مع الأمر».

أوماً برأسه متفهماً، لكن اللمعة الخبيثة في عينيه أعادت تأكيد سبب كرهني له من اللحظة الأولى. خطا خارج المصعد ثم استدار ليواجهني قبل أن يسير مبتعداً: «أراك لاحقاً يا تاي»، قالها في اللحظة التي أغلقت فيها الأبواب.

اكفهر وجهي. ليس مريحاً أن الشخصين اللذين تعاملت معهما منذ دخولي هذا المجمع السكني، يعرفان بالفعل من أنا.

بقيت بمفردي في المصعد الذي توقف في كل الطوابق قبل أن يصل إلى الطابق الثامن عشر. خطوط خارج المصعد، سحبتُ هاتفي من جيبي، وفتحت رسائل كوربين. لا أستطيع أن أتذكر رقم الشقة الذي أخبرني إياه. هل هو 1816 أم 1814. ربما 1826؟ أتوقف أمام 1814 لأن هناك شخصاً فاقد الوعي في الردهة، متكئ على الباب المؤدي إلى 1816. أتضرع ألا تكون الشقة 1816. وجدت الرسالة على هاتفي وانكمشت. إنها 1816. بالطبع!

سرت ببطء نحو الباب، آملة ألا أوقظ هذا الشخص. كانت ساقاه ممدودتين أمامه، وظهره مستنداً إلى باب كوربين. ذقنه ملتصقة بصدره ويُسخر. «معذرة»، قلتها بصوت هامس. لكنه لا يتحرك. رفعت ساقتي ولكزت كتفه بقدمي. «أريد أن أدخل هذه الشقة». أصدر صوتاً مكتوماً وفتح عينيه ببطء وحدق مباشرة في ساقِي.

التقت عيناه بركبتي، وعقد حاجباه وهو يميل ببطء إلى الأمام مع عبوس عميق على وجهه. رفع يده ولمس ركبتي بإصبعه، كما لو أنه لم ير ركبة من قبل. سقطت يده وأغمض عينيه

وعاد للنوم عند الباب.

عظيم.

لن يعود كوربين حتى الغد، هاتفته لأسأل إن كان علي القلق من هذا الشخص.

يجيب متسائلاً دون أن يبدأ حديثه بمرحباً: «تأيت؟».

«نعم، لقد وصلت سالمة، لكن لا يمكنني الدخول إلى الشقة، لأن شخصاً مخموراً، فقد

وعيه أمام الباب، هل لديك أي حلول؟».

«1816؟ هل أنت متأكدة أنك أمام الشقة الصحيحة؟».

«بكل تأكيد».

«هل أنت واثقة من أنه مخمور؟»

«تمام اليقين».

يرد: «أمرٌ غريب، ما الذي يرتديه؟».

«لماذا تريد أن تعرف ماذا يرتدي؟».

«لو كان يرتدي زيَّ طيار، فعلى الأرجح أنه يسكن في هذا المبنى. فخطوط الطيران لدينا

متعاقدة مع المبنى».

لا يرتدي هذا الرجل أية أزياء رسمية. لكن لا يمكنني تجاهل أن بنطاله الجينز وقميصه

الأسود، يناسبانه جيداً جداً.

«لا يرتدي زيّاً رسمياً».

«هل يمكنك المرور دون إيقاظه؟».

«يجب أن أحركه. سيسقط في الداخل إذا فتحت الباب».

بقي هادئاً لبضع ثوان يُفكر: «أذهبي إلى الطابق السفلي وابحثي عن كاب. أخبرته أنك

قادمة الليلة. يمكنه الانتظار معك حتى تدخل الشقة».

أتنهد، لأنني كنت أقود السيارة لمدة ست ساعات، والعودة مرة أخرى إلى الطابق السفلي،

ليس شيئاً أشعر برغبة في فعله الآن. وأتنهد أيضاً لأن كاب هو آخر شخص يمكنه المساعدة

في هذا الموقف. «فقط ابق معي على الهاتف، إلى أن أتمكن من دخول شقتك».

أفضلُ خُطتي أكثر. وضعت هاتفي على أذني وسندته بكتفي وأخذت أبحث داخل حقيتي عن المفتاح الذي أرسله لي كوربين. أدخلته في القفل وبدأت في فتح الباب، لكن الرجل المخمور بدأ في السقوط للخلف مع كل بوصة تُفتح من الباب. تأوه دون أن يفتح عينيه مرة أخرى. قلت لكوربين: «هذا سيئ للغاية، إنه غائب عن الوعي كليةً». «إنه ليس سيئ المظهر».

«تأيت، حركي مؤخرتك وادخلي الشقة وأغلقي الباب، حتى أتمكن من إنهاء المكالمة».

أدرت عيني في محجريهما. لا يزال الأخ المتسلط، كما كان دومًا. كنت أعرف أن الانتقال للعيش معه، لن يكون أمرًا جيدًا لعلاقتنا، مع الأخذ في الاعتبار الطريقة الأبوية التي كان ملني بها عندما كنا أصغر. ومع ذلك، لم يكن لدي وقت للعشور على وظيفة والحصول على شقة خاصة والاستقرار، قبل بدء فصولي الدراسية الجديدة، ما تركني بلا أي خيارات.

آمل أن تكون الأمور مختلفة بيننا الآن. يبلغ كوربين من العمر خمسة وعشرين عامًا، وأنا في الثالثة والعشرين، وإذا لم نتمكن من التعايش بطريقة أفضل مما كنا عليه في طفولتنا، فلا يزال أمامنا الكثير لنفعله.

أعتقد أن هذا يعتمد كثيرًا على كوربين وكم تغير منذ آخر مرة عشنا فيها معًا. كان لديه مشكلة مع أي شخص واعدته، ومع كل أصدقائي، ومع كل قرار اتخذته، حتى مع الكلية التي رغبت في الالتحاق بها.

لا يعني ذلك أنني لا أهتم أبدًا برأيه. يبدو أن المسافة والوقت المتباعدين قد أنزلاه عن ظهري خلال السنوات القليلة الماضية، لكن الانتقال للعيش معه سيكون الاختبار النهائي لصبرنا.

حاولت لف حقيبة يدي حول كتفي، لكنها علقَت بيد حقيبة السفر، فتركتها تسقط على الأرض. أبقيت يدي اليسرى قابضة بإحكام على مقبض الباب مُبقية إياه مُغلقًا؛ حتى لا يسقط الرجل بأكمله داخل الشقة. وضعت قدمي بين كتفيه والباب، في محاولة لإبعاده عن منتصف المدخل. إنه لا يتحرك.

«كوربين، إنه ثقيل للغاية. سأضطر إلى إنهاء المكالمة حتى أتمكن من استخدام كلتا يدي».

«لا، لا تغلقي الخط. فقط ضع الهاتف في جيبك، ولا تنهي المكالمة».

نظرت إلى القميص الواسع والبنطال الضيق الذي أرتديه: «لا جيوب لدي. سأضعه في حمالة الصدر».

أصدر كوربين صوتاً مزعجاً عندما سحبت الهاتف من أذني ووضعتة داخل حمالة صدري. أخرجت المفتاح من الباب، لأضعه في حقيبتني، لكنه سقط على الأرض. انحنيت للأسفل كي أمسك بالرجل المخمور، وأبعده عن المدخل. «حسناً يا صديقي»، قلتها وأنا أكافح لسحبه بعيداً عن المدخل. «آسفة لمقاطعة قيلولتك، لكنني بحاجة إلى دخول هذه الشقة».

تمكنت بطريقة ما من إسناده على حلق الباب لمنعه من السقوط داخل الشقة، ثم دفعت الباب لفتحه أكثر واستدرت لأخذ أغراضني.

التف شيئاً ما دافئ حول كاحلي.

تجمدت و نظرت إلى الأسفل.

صرخت وأنا أركل اليد التي تمسك كاحلي بشدة، والتي من المؤكد أنها تسببت لي في كدمة: «اتركني!». الرجل المخمور ينظر إليّ الآن، وقبضته تُسقطني داخل الشقة عندما أحاول الابتعاد عنه.

«أنا بحاجة إلى الدخول هنا»، تتم بذلك في الوقت الذي كانت فيه مؤخرتي تلامس الأرض. حاول إبقاء باب الشقة مفتوحاً بيده الأخرى، ما أصابني على الفور بنوبة هلع. سحبت ساقي ومعها يده إلى الداخل، واستخدمت ساقي الأخرى لركل الباب، وأغلقتة مباشرة على معصمه.

صرخ: «اللعة!». كان يحاول سحب يده، لكن قدمي ما زالت تضغط على الباب. خففت ما يكفي من الضغط على الباب حتى يسحب يده، ثم ركلت الباب على الفور وأغلقتة بالكامل. نهضت وأغلقت الباب بالمزلاج وقفل السلسلة بأسرع ما يمكن.

ما إن هدأ معدل ضربات قلبي، حتى بدأ الانفجار في وجهي. قلبي يصرخ في وجهي حقاً. بصوت ذكوري عميق. يبدو وكأنه يصرخ: «تاييت! تاييت!».

كوربين. نظرت على الفور إلى صدري وأخرجت هاتفي من حمالتي، ثم رفعتة إلى أذني.

«تاييت! ردي علي!».

جفلت، ثم سحبت الهاتف بعيداً عن أذني عدة بوصات: «أنا بخير». ألهث وأنا أقولها: «أنا في الداخل، لقد أغلقت الباب».

«يا إلهي». قالها بارتياح.

«لقد أخفيتني حتى الموت. ما الذي حدث بحق الجحيم؟». «الرجل المغمور كان يحاول الدخول. لكنني أغلقت الباب». أشعلت ضوء غرفة المعيشة ولم أخطأ أكثر من ثلاث خطوات إلى الداخل قبل أن أتوقف. تسير الأمور جيداً يا تاي.

أعود ببطء نحو الباب بعد أن أدركت ما فعلته.

«كوربين؟ ربما تركت بعض الأشياء التي أحتاجها في الخارج. كنت سأدخلهم، لكن الرجل المغمور يظن أنه بحاجة للدخول إلى شقتك لسبب ما، لذا من المستحيل أن أفتح هذا الباب مرة أخرى. هل لديك اقتراحات؟».

إنه صامت لبضع ثوان. «ماذا تركت في الردهة؟».

لا أريد أن أجيبه، لكن يجب أن أفعل: «حقيقية سفري». تتمم قائلاً: «يا إلهي يا تاي». «و.. حقيقية يدي».

«لماذا حقيبة يدك - بحق الجحيم - في الخارج؟».

«ربما تركت أيضاً مفتاح شقتك على أرضية الردهة».

لم يُعلّق على الجملة الأخيرة، أنه يئن بغیظ فقط.

«سأتصل بمايلز وأرى إن كان قد عاد إلى المنزل بعد. أعطني دقيقتين».

«انتظر. من مايلز؟»، «إنه يسكن في الجهة المقابلة من الردهة. مهما فعلت، لا تفتحي

الباب مرة أخرى حتى أعاود الاتصال بك».

أنهى كوربين المكالمة، واتكأت أنا على باب الشقة.

لم أعش في سان فرانسيسكو إلا ثلاثين دقيقة، وها أنا قد أصبحت بالفعل مصدرًا للإزعاج.

سأكون محظوظة إذا سمح لي بالبقاء هنا حتى أجد عملاً. آمل ألا يستغرق ذلك وقتاً طويلاً، مع الأخذ في الاعتبار أنني تقدمت لشغل ثلاث وظائف ممرضة مُسجّلة في أقرب مستشفى. ما قد يعني العمل ليلاً، أو في عطلات نهاية الأسبوع، أو كليهما، لكنني سأقبل كل ما يمكنني

الحصول عليه، إذا كان ذلك يعني عدم الاضطرار إلى إنفاق مدخراتي حتى أتمكن من العودة إلى الدراسة.

يرن هاتفي. أحرك إبهامي عبر الشاشة وأجيب عليه.

«مرحباً».

«تأيت؟».

أجبت متعجبة من أنه يتحقق دائماً لمعرفة ما إذا كان المُجيب أنا: «نعم».

إنه يتصل بي، فمن الذي من الممكن أن يجيبه ويبدو صوته مثلي تماماً؟.

«لقد وصلت إلى مايلز».

«جيد. هل سيساعدني في الحصول على أغراضي؟».

يجيب كوربين: «ليس بالضبط. أحتاج أن تسديني معروفاً كبيراً».

يسقط رأسي على الباب مرة أخرى. لدي شعور بأن الأشهر القليلة المقبلة ستكون مليئة

بخدمات غير مريحة، لأنه يعلم أنه يقدم لي بالمقابل خدمة كبيرة، من خلال السماح لي

بالبقاء هنا.

الأطباق؟ غسيل كوربين؟ تسوق البقالة من أجل كوربين؟

سألته: «ماذا تحتاج؟».

«مايلز يحتاج إلى مساعدتك بشكلٍ ما».

«جارك؟» أتسمر وأغمض عيني. «كوربين، رجاءً لا تخبرني أن الرجل الذي اتصلت به

لحمايتي من الرجل المخمور هو الرجل المخمور نفسه».

تنهد كوربين: «أريدك أن تفتحي الباب وتسمحي له بالدخول. دعيه ينهار على الأريكة.

سأكون لديك في الصباح الباكر. وعندما يفيق من سُكره، سيعود فوراً إلى منزله».

أهز رأسي: «ما نوع المجمع السكني الذي تعيش فيه؟ هل أحتاج أن أهيب نفسي لفكرة أن

يلمسني أشخاص سكارى، في كل مرة أعود فيها إلى المنزل؟».

صمت طويل: «هل تحرش بك؟».

«لا يمكن القول إنه «تحرش». ومع ذلك، فقد أمسك بكاحلي».

يتنفس كوربين الصعداء: «فقط افعلي هذا من أجلي، يا تايث. وعاودي الاتصال بي عندما يُصبح هو وكل أغراضك في الداخل».

«حسنًا.» تأوهت وأنا أدرك حجم القلق في صوته.

أغلقت الخط مع كوربين وفتحت الباب. سقط الرجل المخمور على كتفه، وانزلق هاتفه من يده وسقط بجوار رأسه على الأرض. قلبته على ظهره ونظرت إليه. فتح عينيه وحاول أن ينظر إلي، لكن جفونه أغلقت مرة أخرى.

تمتم قائلاً: «أنت لست كوربين».

«لا. أنا لست هو. لكنني جارتك الجديدة، ومما حدث، فأنت لا شك ستُصبح مديناً لي بما لا يقل عن خمسين كوباً من السكر».

أرفعه من كتفيه وأحاول أن أجعله يجلس، لكن لا يمكنه ذلك. لا أعتقد أنه يستطيع حقاً. كيف يمكن لشخص أن يسكر إلى هذه الدرجة؟ أمسكت بيديه وسحبته بوصة بوصة إلى داخل الشقة، وتوقفت عندما أصبح في الداخل بما يكفي، لإغلاق الباب. أحضرت جميع أغراضي من خارج الشقة، ثم أغلقت الباب الأمامي والقفل.

سحبت وسادة من فوق الأريكة، وأسندت رأسه إلى الأعلى، ودحرجته على جانبه في حال تقياً خلال نومه. هذه هي كل المساعدة التي يمكن أن يتلقاها مني.

تركته نائماً براحة في منتصف أرضية غرفة المعيشة، وذهبت لأتفقد الشقة.

غرفة المعيشة يمكن أن تتسع وحدها لثلاث غرف معيشة من شقة كوربين السابقة. منطقة تناول الطعام مفتوحة على غرفة المعيشة، لكن المطبخ مفصول عنها بنصف جدار. هناك العديد من اللوحات الحديثة في جميع أنحاء الغرفة، وأرائك وثيرة فخمة ذات لون بني فاتح، ما يوازن اللوحات النابضة بالحياة. آخر مرة أقمت معه، كان لديه أريكة مفردة، وكرسي قماش محشو بالإسفنج، وملصقات لعرضات الأزياء على الجدران.

أعتقد أن أخي قد نضج أخيراً.

«مثير للإعجاب، يا كوربين»، قلتها بصوت عالٍ وأنا أسير من غرفة إلى أخرى وأشعل كل الأضواء، وأتفقد ما أصبح حالاً منزلي المؤقت. أكره لدرجة ما كونه لطيفاً جداً. سيجعل من الصعب عليّ إيجاد مكان خاص بي بمجرد توفير ما يكفي من مال.

مشيت إلى المطبخ وفتحت الثلاجة. يوجد صف من التوابل في الباب، وعلبة فيها بقايا بيتزا على الرف الأوسط، وزجاجة حليب بلاستيكية فارغة تمامًا على الرف العلوي. بالطبع ليس لديه بقالة. لا يمكن أن أتوقع منه أن يتغير كليةً.

أخذت زجاجة مياه وخرجت من المطبخ لأبحث عن الغرفة التي سأعيش فيها خلال الأشهر القليلة القادمة. هناك غرفتا نوم، تركت غرفة كوربين وأخذت الأخرى، ووضعت حقيبة سفري فوق السرير. لدي نحو ثلاث حقائب إضافية وستة صناديق على الأقل في السيارة، ناهيك عن جميع الشماعات المعلقة عليها ملابس، لكنني لن أسعى لجلبهم الليلة. قال كوربين إنه سيعود في الصباح، سأترك ذلك له.

غيرت ملابسني إلى بنطال رياضي وقميص بدون أكمام، ثم غسلت أسناني وتهيأت للنوم. عادة، سأكون متوترة بشأن حقيقة وجود شخص غريب في الشقة نفسها التي أعيش فيها، لكن لدي شعور بأنه لا داعي للقلق. لم يطلب مني كوربين أبدًا مساعدة أي شخص يشعر أنه قد يشكل تهديدًا لي بأي شكل من الأشكال. الأمر الذي يحيرني، لأنه إذا كان هذا سلوكًا شائعًا بالنسبة لمايلز، فأنا مندهشة من أن كوربين طلب مني إدخاله إلى الشقة.

لم يثق كوربين أبدًا بالرجال معي، وأنا ألوم بليك على ذلك. لقد كان أول علاقة جدية في حياتي، عندما كنت في الخامسة عشرة من عمري، وكان صديق كوربين المقرب. كان بليك السابعة عشرة من عمره، وكنت لشهور معجبةً به للغاية. بالطبع، أنا وصديقاتي كنا معجبات بمعظم أصدقاء كوربين، وذلك لأنهم ببساطة كانوا أكبر منا سنًا. كان بليك يأتي في معظم عطلات نهاية الأسبوع ليقضي الليل مع كوربين، وكنا نجد دائمًا طريقة لقضاء الوقت معًا عندما لا يكون كوربين منتبهًا. أدى شيء إلى آخر، وبعد عدة عطلات نهاية الأسابيع من التسلسل، أخبرني بليك أنه يريد جعل علاقتنا رسمية. المشكلة التي لم يضعها بليك في حسبانته، هي كيف سيكون رد فعل كوربين عندما يكسر بليك قلبي!

وقد كسره. بقدر ما يمكن لقلب يبلغ من العمر خمسة عشر عامًا أن ينكسر بعد علاقة سرية استمرت أسبوعين. فقد تبين أنه كان يواعد عددًا لا بأس به من الفتيات خلال الأسبوعين اللذين قضاهما معي. وبمجرد أن اكتشف كوربين الأمر، انتهت صداقتهما، وتلقى جميع

أصدقاء كوربين تحذيراً بالاقتراب مني. لقد كان من المستحيل تقريباً أن أخرج في أي موعد خلال المدرسة الثانوية، إلا بعد أن رحل كوربين أخيراً.

ومع ذلك، وحتى ذلك الحين، سمع الشباب قصصاً مرعبة، وكانوا يميلون إلى الابتعاد عن أخت كوربين الصغيرة.

وبقدر ما كرهت ذلك حينها، فإنني سأرحب به الآن أكثر من اللازم. لقد حصلت على نصيبي العادل من العلاقات الخاطئة منذ المدرسة الثانوية. لقد عشت لأكثر من عام مع حبيبي الأخير، قبل أن ندرك أننا نريد شيئين مختلفين في الحياة. أراد أن أبقى في المنزل، وأردت حياة مهنية. وها أنا هنا الآن. أسعى للحصول على درجة الماجستير في التمريض وأفعل كل ما بوسعي لتجنب الدخول في علاقات عاطفية. ربما لن يكون العيش مع كوربين أمراً سيئاً على الإطلاق.

عدت إلى غرفة المعيشة لإطفاء الأنوار، ولكن عندما استدرت عند الزاوية، توقفت على الفور.

لم ينهض مايلز عن الأرض فحسب، بل كان في المطبخ، واضعاً رأسه على ذراعيه المعقودة فوق طاولة المطبخ. يجلس على حافة كرسي مرتفع، ويبدو كما لو أنه على وشك السقوط من فوقه، في أي لحظة. لا أستطيع معرفة ما إذا كان نائماً، أم أنه يحاول فقط استعادة اتزانته. «مايلز؟»

لم يتحرك عندما ناديت اسمه، فمشيت نحوه ووضعت يدي بلطف على كتفه لأهزه حتى يستيقظ. في اللحظة التي ضغطت فيها أصابعي على كتفه، شهق وجلس منتصباً كما لو أنني أيقظته للتو من منتصف حلم. أو كابوس.

انزلق فوراً من فوق الكرسي ووقف على قدمين غير ثابتتين. بدأ في التمايل فوضعت ذراعه على كتفي وحاولت إخراجه من المطبخ. «دعنا نذهب إلى الأريكة يا صديقي.»

أسند جبهته إلى جانب رأسي وجعلني أتعثر، مما زاد من صعوبة حملته: «اسمي ليس صديقي. اسمي مايلز.» وصلنا إلى مقدمة الأريكة، وبدأت في نزعه عني.

«حسناً، مايلز. أو أياً ما كنت. فقط اذهب للنوم». سقط على الأريكة، لكنه لم يترك كتفي. سقطت معه وفوراً حاولت الابتعاد عنه.

توسل إلي، وهو يمسك بذراعي، محاولاً سحبني معه إلى الأريكة: «ريتشل، لا تفعلي ذلك». قلت وأنا أحرر نفسي من قبضته الحديدية! «اسمي ليس ريتشل، اسمي تايث». لا أعرف لماذا أوضحت اسمي، فمن غير المحتمل أن يتذكر هذه المحادثة غداً. مشيت إلى حيث توجد الوسادة على الأرض والتقطتها. توقفت قبل أن أعيدها إليه، لأنه صار على جانبه، ووجهه مضغوط في وسادة الأريكة. إنه يمسك الأريكة بقوة حتى أصبحت قبضة يده بيضاء. في البداية، اعتقدت أنه على وشك التقيؤ، لكن بعد ذلك أدركت كم كنت مخطئة للغاية. إنه ليس على وشك التقيؤ.

أنه يبكي.

بقوة.

يبكي بقوة لدرجة أنه لا يصدر صوتاً. أنا لا أعرف هذا الرجل، لكن رؤية الدمار الواضح الذي يعاني منه، غير محتملة. نظرت إلى آخر الردهة ثم إليه، متسائلة عما إذا كان ينبغي لي أن أتركه بمفرده كي أمنحه الخصوصية. آخر شيء أريد فعله هو التورط في مشكلات شخص ما. لقد نجحت في تجنب معظم أشكال الدراما في دائرة أصدقائي حتى هذه اللحظة، وأنا متأكدة تماماً من أنني لا أريد التورط الآن.

تخبرني غريزتي بالابتعاد، لكن لسبب ما، أجد نفسي متعاطفةً معه تعاطفاً غريباً. يبدو ألمه حقيقياً تماماً وليس نتيجة الإفراط في تناول الكحول.

أنزل على ركبتي أمامه وألمس كتفه. «مايلز؟».

يشهق بشدة، ويرفع وجهه ببطء لينظر إلي. عيناه مجرد شقوق محتقنة بالدماء. لست متأكدة ما إذا كان ذلك نتيجة البكاء أم الكحول. قال وهو يرفع يده نحوي: «أنا آسف جداً يا ريتشل». لف يديه حول رقبتي من الخلف وسحبني للأمام نحوه، ودفن وجهه في الفجوة بين رقبتي وكتفي.

«أنا آسف جداً».

ليس لدي أي فكرة عن هوية ريتشل أو الذي فعله بها، لكن إذا كان يتألم إلى هذا الحد، فإنني أرتجف من فكرة ما تشعر هي به.

أفكر في إيجاد هاتفه والبحث عن اسمها والاتصال بها حتى تتمكن من تصحيح هذا الأمر. لكن عوضاً عن ذلك، دفعته بلطف إلى الأريكة. وضعت وسادته تحت رأسه. وقلت له بلطف: «اذهب إلى النوم يا مايلز». كانت عيناه مليئة بالألم عندما سقطت رأسه على الوسادة. «أنت تكرهينني كثيراً» قالها وهو يمسك يدي. ثم أغمض عينيه مرة أخرى وأطلق تنهيدة ثقيلة.

حدقتُ إليه بصمت، وسمحتُ له أن يحتفظ بيدي بين يديه حتى يهدأ ويتوقف عن ذرف الدموع. سحبتُ يدي من يده، لكن بقيت بجانبه لبضع دقائق أطول. مع أنه نائم، فإنه لا يزال يبدو بطريقة ما، غارقاً في بحر من الألم. حواجه مقوسة، وتنفسه متقطع، ولا يستطيع الوصول إلى نمط تنفس هادئ.

لأول مرة، ألاحظ بالكاد وجود ندبة متعرجة، يبلغ طولها نحو أربع بوصات، وتمتد بسلاسة عبر الجانب الأيمن من فكه بالكامل. وتنتهي على بعد بوصتين فقط من شفثيه. تتابني رغبة غريبة في لمسه وتمرير إصبعي على طول الندبة، لكن بدلاً من ذلك، أرفع يدي إلى شعره. إنه قصير من الجوانب، وأطول قليلاً من الأعلى، وهو مجرد مزيج مثالي من اللون البني والأشقر. أمشط شعره، وأهدده، بالرغم من أنه قد لا يستحق ذلك. ربما يستحق هذا الرجل كل جزء من الندم الذي يغلفه من جراء ما فعله بريتشل. لكنه على الأقل يشعر بما فعل. يجب أن أعترف بذلك. مهما فعل لريتشل، فهو على الأقل يحبها بما يكفي ليندم عليها.

الفصل الثاني

مايلز

قبل ست سنوات

فتحت باب مكتب المدير ووضعت الملف على مكتب السكرتيرة. قبل أن أستدير وأعود إلى الفصل، أوقفتني بسؤال. «أنت في صف السيد كلايتون للغة الإنجليزية، أليس كذلك يا مايلز؟».

أرد على السيدة بوردن: «بلى، هل تريدني مني أن آخذ شيئاً له؟» يرن الهاتف الموجود على مكتبها، أومأت برأسها، والتقطت سماعة الهاتف. وغطتها بيدها. أشارت برأسها في اتجاه مكتب المدير، وقالت: «انتظر نحو دقيقة أو دقيقتين».

لدينا طالبة جديدة التحقت للتو، ومسجلة في صف السيد كلايتون. أريدك أن تريها الفصل الدراسي».

وافقت وجلست على أحد الكراسي المجاورة للباب. أدرت النظر في مكتب المدير، وأدركت أن هذه هي المرة الأولى خلال السنوات الأربع التي قضيتها في المدرسة الثانوية التي جلست فيها على أحد هذه المقاعد. ما يعني أنني نجحت في قضاء أربع سنوات دون إرسالني إلى المدير. كانت أمي ستفخر بمعرفة ذلك، مع أن ذلك يجعلني أشعر بخيبة أمل في نفسي. فلاحتماز(1) شيء يجب على كل شاب في المدرسة الثانوية أن يجربه مرة واحدة على الأقل.

لا يزال أمامي ما تبقى من هذه السنة الأخيرة لتحقيق هذا، لذا هناك ما أتطلع إليه. أخرجت هاتفني من جيبتي، على أمل أن تراني السيدة بوردن وتقرر أن تمنحني قسيمة احتجاز. عندما نظرت إليها، وجدتها لا تزال تتحدث على الهاتف، لكنها تتواصل معي بعينيها. إنها ببساطة تبتسم وتقوم بواجباتها السكرتارية. أهز رأسي بخيبة أمل وأفتح محادثة نصية مع إيان. لا يتطلب الأمر الكثير لإثارة الناس هنا. لا شيء جديد يحدث أبداً.

أنا: فتاة جديدة سجّلت للدراسة اليوم يا كبير.

إيان: هل هي مثيرة؟

أنا: لم أرها بعد. على وشك أن أرافقها إلى الفصل.

إيان: التقط لها صورة إذا كانت مثيرة.

أنا: سوف أفعل. بالمناسبة، كم مرة احتججت هذا العام؟

إيان: مرتين. لماذا؟ ما الذي تنوي فعله؟

مرتين؟ حسناً، أحتاج إلى التمرد قليلاً قبل التخرج. ربما يجب أن أتأخر في تسليم بعض الواجبات المنزلية هذا العام.
أنا مشير للشفقة.

ينفتح باب مكتب المدير، فأغلق هاتفي. أضعه في جيبتي وأنظر إلى الأعلى. لا أريد أن أشيح بنظري مرة أخرى. «سوف يرشدك مايلز إلى صف السيد كلايتون يا ريتشل». تشير السيدة بوردن إلى ريتشل في اتجاهي، وتبدأ في السير نحوي. شعرت على الفور بخدر في ساقَيَّ وعدم قدرتهما على الوقوف. ضاعت الكلمات من فمي. ونسيت ذراعاي كيفية مدها للسلام على شخص تتعرف به.

نسي قلبي التمهل والتعرف أولاً إلى الفتاة قبل أن يبدأ في شق طريقه للخروج من صدري والوصول إليها.

ريتشل.

ريتشل.

ريتشل، ريتشل، ريتشل.

إنها مثل الشعر. مثل رسائل النثر والحب وكلمات الأغاني المتتالية في منتصف الصفحة.

ريتشل، ريتشل، ريتشل.

أردد اسمها مراراً وتكراراً في رأسي، لأنني متأكد من أنه اسم الفتاة التالية التي سأقع في حبها.

أقف فجأة. وأسير نحوها. ربما أبتسم، متظاهراً بأنني لم أتأثر بتلك العيون الخضراء التي أتمنى فقط أن تبتسم لي يوماً ما. أو ذلك الشعر الأحمر مثل قلبي الذي لا يبدو أنه عبث به

مذ أن خلقه الله خصيصاً من أجلها. أبدأ بالحديث معها. أخبرها أن اسمي ما يلز. وأنها تستطيع أن تتبني وسأرشدها إلى صف السيد كلايتون.

أحدق بها لأنها لم تتحدث بعد، لكن إيماءتها هي أجمل شيء قالته لي فتاة على الإطلاق. أسألها من أين هي، فقالت أريزونا. «فينيكس»، على وجه التحديد. لم أسألها ما الذي أتى بها إلى كاليفورنيا، لكنني أخبرتها أن أبي يعمل في فينيكس كثيراً لأنه يمتلك بعض البنايات هناك.

تبتسم. أخبرها أنني لم أذهب إلى هناك من قبل ولكنني أرغب في الذهاب يوماً ما. تبتسم مرة أخرى. أظنها قالت إنها مدينة جميلة، لكن من الصعب أن أفهم كلماتها عندما يكون كل ما أسمع في رأسي هو اسمها.

ريتشل.

سأقع في حبك يا ريتشل. ابتسامتها تجعلني أرغب في مواصلة الحديث، لذا أسألها سؤالاً آخر ونحن نفوتُّ غرفة السيد كلايتون. نواصل المشي. تستمر في الحديث، لأنني أوصل طرح الأسئلة. أوامات أحياناً. وأجابت في أحيان أخرى. وغنّت في بعض المرات. أو هكذا بدا لي.

كنا وصلنا إلى نهاية الردهة، عندما قالت شيئاً عن أملها في أن تحب هذه المدرسة لأنها لم تكن مستعدة للانتقال بعيداً عن فينيكس. إنها لا تبدو سعيدة بهذه الخطوة. إنها لا تعرف مدى سعادتي بهذه الخطوة. تسأل: «أين فصل السيد كلايتون الدراسي؟». أحدق إلى الفم الذي ألقى هذا السؤال لمتو. شفاتها ليستا متماثلتين. شفاتها العليا أرفع قليلاً من الشفة السفلية، لكن لا يمكنك معرفة ذلك حتى تتحدث. عندما تخرج الكلمات من فمها، أتعجب لماذا تخرج الكلمات من فمها أفضل بكثير من أي فم آخر.

وعيناها. من المستحيل أن لا ترى عيناها عالماً أجمل وأكثر سلاماً من كل العيون الأخرى. أحدق بها لبضع ثوانٍ أخرى. ثم أشرت خلفي وأخبرتها أننا فوتّنا فصل السيد كلايتون الدراسي. اصطبغت وجنتاها بلون وردي، لتعلن تأثيري فيها بالطريقة نفسها التي أثّرت بها في. أبتسم مرة أخرى. أشرت برأسي نحو صف السيد كلايتون. نحن نسير في هذا الاتجاه. ريتشل.

سوف تقعين في حبي يا ريتشل.

أفتح لها الباب وأخبر السيد كلايتون أن ريتشل هي الطالبة الجديدة هنا. أريد أيضاً أن أخبر جميع الطلاب الآخرين في الفصل الدراسي، أن ريتشل ليست لهم. إنها لي. لكنني لا أقول أي شيء.

لست مضطراً لإعلان ذلك، لأن الشخص الوحيد الذي يجب أن يدرك أنني أريد ريتشل هو ريتشل. تنظر إليّ وتبتسم مرة أخرى، وتجلس في المقعد الفارغ الوحيد، في آخر الغرفة. تخبرني عيناها أنها تعرف بالفعل أنها لي. الأمر فقط مسألة وقت.

أريد إرسال رسالة نصية إلى إيان وأخبره أنها ليست مثيرة وحسب، «إنها بركان إثارة». لكنه سيضحك على ذلك. لذا التقطُ صورة لها من حيث أجلس. وأرسلت الصورة في رسالة إلى إيان، تقول: «ستنجب كل أطفالنا». يبدأ السيد كلايتون الحصة الدراسية. وبدأ هوس مايلز آرتشر.

التقيت ريتشل يوم الاثنين. واليوم الجمعة. لم أقل لها شيئاً منذ اليوم الذي التقينا فيه. أنا لا أعرف لماذا. ندرس ثلاثة فصول معاً. في كل مرة أراها تبتسم لي وكأنها تريد مني أن أتحدث معها. في كل مرة أستجمع فيها شجاعتي، أعود وأراجع. اعتدت أن أكون واثقاً من نفسي. كان هذا قبل أن ألتقي ريتشل. أعطيت نفسي فرصة أخيرة. إن لم أستجمع شجاعتي بحلول اليوم، فسوف أتخلى عن فرصتي الوحيدة معها. الفتيات مثل ريتشل غير متاحات لفترة طويلة. في حال إذا كانت متاحة بالفعل. لا أعرف قصتها أو ما إذا كانت مرتبطة بعلاقة عاطفية في فينيكس، لكن هناك طريقة واحدة فقط لمعرفة ذلك.

أقف بانتظارها بجوار خزانتها. خرجت من الفصل وابتسمت لي. قلت لها «مرحباً» عندما كانت تتجه نحو خزانتها. لاحظت التغيير الطفيف في لون بشرتها. أحب ذلك. سألتها عن أسبوعها الأول. أخبرتني أنه كان على ما يرام. سألت إذا كانت قد كوَّنت أي صداقات، فهزت كتفها وقالت: «القليل». شممت رائحتها بلطف. لاحظت ذلك. أخبرتها أن رائحتها طيبة. قالت: «شكراً لك».

أخفي دقات قلبي التي تصم أذني. وقطرات العرق التي تملأ راحة يدي. يُغرقني اسمها الذي ما زلت أرغب في تكراره بصوت عالٍ، مراراً وتكراراً. أكبح كل هذا بداخلي، وأحدق فيها، وأنا أسألها إذا كانت ترغب في فعل شيء ما لاحقاً. أخفي كل ذلك وأفسح المجال لردّها، لأنه الشيء الوحيد الذي أريده.

في الواقع، أريد إيماءة الموافقة تلك. إيماءة لا تتطلب كلمات معها؟ مجرد ابتسامة؟ لكنني لا أحصل على هذه الإيماءة. لديها خطط الليلية.

كل ما كبحته بداخلي، يعود مضاعفاً عشر مرات، ويتدفق مثل الفيضان وأنا مجرد سد. صوت ضربات قلبي العاصف، وتعرق يدي، واسمها، والشعور الجديد بعدم الأمان والذي لم أكن أعلم بوجوده من قبل، يقتحم صدري. كل هذا يتجلى وييني جداراً حولها. لكنها تهدم هذا الجدار بكلماتها: «أنا لست مشغولة غداً». أفسح المجال لتلك الكلمات. أتشبث بها وأفسح لها أماكن كثيرة في قلبي. أتحوّل إلى إسفنجة، وأمتص تلك الكلمات. ألتقطها من الهواء وأبتلعها. أخبرها أن «غداً يناسبني». أخرجت هاتفي من جيبي دون أن أكلف نفسي عناء إخفاء ابتسامتي. «ما رقمك؟ سوف أتصل بك».

تُخبرني رقمها.

إنها متحمسة.

إنها متحمسة.

أحفظ رقمها في هاتفي، وأعرف أنه سيبقى في قائمة اتصالاتي لفترة طويلة جداً. وسأستخدمه، كثيراً.

1 الاحتجاز: عقوبة في المدارس الثانوية، تعني قضاء الطالب عدد ساعات إضافية في المدرسة بعد انتهاء اليوم الدراسي.

الفصل الثالث

تايت

عادةً، إذا استيقظتُ من نومي وفتحت عيني على رجل غاضب يحرق بي من مدخل غرفة النوم، فقد أصرخ. أرمي الأشياء. أو أركض إلى الحمام وأحبس نفسي بالداخل. لم أفعل أيًّا من ذلك. أعدت النظر إليه مرة أخرى، وأنا حائرة كيف يكون هذا الرجل هو الشخص نفسه الذي فقد وعيه بفعل الخمر في الردهة. كيف يكون هو الرجل نفسه الذي ظل يبكي حتى راح في النوم الليلة الماضية؟ هذا الرجل مخيف. غاضب. هذا الرجل ينظر إليّ وكأنه في انتظار شرح أو اعتذار مني.

إنه الرجل ذاته، لأنه يرتدي البنطال الجينز نفسه، والقميص الأسود الذي نام بهما الليلة الماضية. والفرق الوحيد في مظهره، بين ليلة أمس وهذا الصباح، هو أنه أصبح الآن قادرًا على الوقوف دون مساعدة.

«تايت.. ماذا حدث ليدي؟»

إنه يعرف اسمي. هل يعرف ذلك لأن كوربين أخبره أنني سأنتقل للعيش معه أم لأنه يتذكر بالفعل ما أخبرته به الليلة الماضية؟ آمل أن يكون كوربين قد أخبره بذلك، لأنني لا أريده أن الماضية حقًا. شعرت فجأة بالاحراج لأنه قد يتذكر موا ساتي له وهو يبكي حتى ينام. من الواضح أنه لا يملك أدنى فكرة عما حدث ليده، أتمنى أن ذلك يعني أنه لا يتذكر أي شيء أبعد من ذلك.

وقف متكئًا على باب غرفة نومي، طاويًا ذراعيه فوق صدره. يبدو في وضع دفاعي، وكأنني المسؤولة عن ليلته السيئة. انقلبتُ على جانبي لمعاودة النوم، فأنا لم أكتفِ بعد من النوم، حتى وإن كان يظن أنني مدينة له بأي تفسير. سحبتُ الأغطية فوق رأسي. وقلت: «أغلق باب الشقة بعد خروجك». على أمل أن يفهم التلميح بأنه غير مرحب به أن يعود إلى مكانه في الصلاة.

«أين هاتفي؟». أغمضتُ عيني بقوة وأنا أحاول منع صوته الناعم من الانزلاق إلى أذني وشق طريقه عبر كل عصب في جسدي، ليغمرنني بالدفء في أماكن فشل هذا الغطاء الخفيف في تدفئتها طوال الليل.

أذكر نفسي أن هذا الصوت المثير، ينتمي إلى الشخص الواقف الآن في مدخل الغرفة، ويطلب بوقاحة أشياءً، دون الاعتراف بحقيقة أنني ساعدته الليلة الماضية. أود أن أعرف أين «شكرًا لك». أو «مرحبًا، أنا مايلز. سعدتُ بلقائك». لا أحصل على شيء أبدًا من هذا الرجل. إنه قلق للغاية بشأن يده وهاتفه على ما يبدو. قلقًا جدًا على نفسه لدرجة أنه لا يضع في اعتباره عدد الأشخاص الذين قد يكون إهماله، قد أزعجهم الليلة الماضية. إذا كان هذا الرجل وسلوكه سيظلان جيراني خلال الأشهر القليلة القادمة، فمن الأفضل أن أوقفه الآن. ألقىت الأغطية ونهضت، ثم توجهت إلى الباب والتقت عيني بعينه.

«اسد لي معروفًا وتراجع إلى الورا». من المثير للدهشة أنه فعل ذلك. أغلقت عيني وصفعت باب غرفة النوم وأغلقته في وجهه. ابتسمتُ وعدت إلى سريري. استلقيت وسحبت الأغطية فوق رأسي.

لقد انتصرت.

هل ذكرت أنني لست شخصًا صباحيًا؟ انفتح الباب مرة أخرى.

طار الباب بشدة.

صرخ: «ماذا بك بحق الجحيم؟». تأوهت ثم جلست على السرير ونظرت إليه. إنه يقف في المدخل مرة أخرى، ويرمقني بتلك النظرة وكأنني مدينة له بشيء.

صرخت عليه: «أنت!». لقد بدا مصدومًا حقًا من ردي القاسي، ما جعلني أشعر بالسوء. لكنه الشخص المغفل! إنه من بدأ ذلك. على ما أعتقد.

ثبَّت نظره علي لبضع ثوانٍ، ثم أمال رأسه قليلًا إلى الأمام وقوس حاجبيه. «هل نحن...؟» وحرك إصبعه ذهابًا وإيابًا بيننا. «هل أقمنا علاقة جنسية الليلة الماضية؟ هل هذا سبب غضبك؟».

ضحكت بعدما تيقنت من انطباعي الأول عنه. إنه فعلاً مغفل. وهذا شيء عظيم. جاري يسكر ويقع في المتاعب يوميًا، ومن الواضح أنه يجلب إلى المنزل عددًا كبيرًا من الفتيات

وهو في هذه الحالة، لدرجة أنه لا يستطيع حتى أن يتذكر أي فتاة عبث معها. أفتح فمي للرد عليه، لكن يقطعني صوت إغلاق باب الشقة وصوت كوربين وهو يصرخ.
«تأيت؟».

قفزت على الفور واندفعت نحو الباب، لكن مايلز لا يزال يسد المدخل، يحدق بي، متوقفاً إجابة عن سؤاله. نظرت إليه مباشرة في عينيه لأعطيه إجابة، لكن عينيه فاجأتني للحظة. هذه العيون الزرقاء الأكثر صفاءً التي رأيتها على الإطلاق، لا تشبه أبداً الجفن المتدلي والعيون المحترقة بالدماء التي رأيتها الليلة الماضية. عيناه زرقاء فاتحة جداً، لدرجة أنها تكاد تكون شفافة. واصلت التحديق به، متخيلة أنني سأرى أمواجاً إذا نظرت بما فيه الكفاية عن كثب. أود أن أقول إنها كانت زرقاء صافية مثل مياه البحر الكاريبي، لكنني لم أذهب إلى منطقة البحر الكاريبي من قبل، لذلك لا أستطيع الجزم.

يطرف بعينه، ما يسحبني على الفور بعيداً عن منطقة البحر الكاريبي ويعيدني إلى سان فرانسيسكو. تحديداً إلى غرفة النوم هذه. يعيدني إلى السؤال الأخير الذي طرحه قبل أن يدخل كوربين من الباب الأمامي. همست له: «لست متأكدة مما إذا كان بالإمكان تسمية ما فعلناه معاً، علاقة جنسية». أحدق فيه، منتظرة إياه أن يبتعد عن طريقي.

يعتدل في وقفته، ويضع بيننا جداراً غير مرئي من الدروع، بوضعية وقوفه الصارمة ولغة جسده. من الواضح أنه لا يحب تخيل أي نوع من المداعبات الجسدية بيننا، بناءً على النظرة الصارمة التي رمقني بها. والتي تبدو وكأنها نظرة اشمئزاز، ما يجعلني أكرهه أكثر. لا أترجع، ولا يشيح أحد منا بنظره وهو يبتعد عن طريقي سامحاً لي بالمرور.

كان كوربين يدور حول المدخل عندما خرجت من غرفتي. كان يعيد النظر ذهاباً وإياباً بيني وبين مايلز، فرمقته سريعاً بنظرة تعني أن ما قد يجول في ذهنه، أمر غير محتمل على الإطلاق. قال وهو يجذبني نحوه في عناق: «مرحباً أختي»، لم أره منذ ستة أشهر تقريباً. في بعض الأحيان يكون من الصعب معرفة مدى افتقارك للأشخاص حتى تراهم مرة أخرى. لكن ليس هذا هو الحال مع كوربين. أنا أفتقده دائماً. بقدر ما يمكن أن تصبح حمايته لي أمراً من الماضي، فإنها دليل على مدى قربنا. أفلتني كوربين وسحب خصلة من شعري. قائلاً: «إنه

أطول. أحبه هكذا». قد تكون هذه أطول فترة مررنا بها دون رؤية بعضنا بعضاً. رفعت يدي إلى أعلى رأسه وعبثت بشعره الأشعث المتدلي على جبهته. «أما أنا فلا أحب شعرك هكذا». ابتسمت لأخبره أنني أمزح. أنا في الواقع أحب هيئة الشعر الأشعث عليه. دائماً ما قال الناس إننا نشبه بعضنا البعض كثيراً، لكنني لا أرى ذلك. بشرته أغمق بكثير من بشرتي، وهو ما كنت أحسده عليه دائماً. أما شعرنا فله درجات اللون البني الدافئ نفسه، لكن ملامح وجهينا ليست متشابهة على الإطلاق، وخاصة أعيننا. اعتادت أُمِّي أن تخبرنا أننا إذا جمعنا أعيننا معاً، فستبدو مثل الشجرة تماماً. كانت عيناه خضراء مثل أوراق الشجر، وكانت عيونني بنية مثل الجذع. كنت أحسده دائماً على لون أوراق الشجر، لأن اللون الأخضر كان لوني المفضل خلال طفولتي.

أوماً كوربين لمايلز برأسه. «ليلة قاسية يا صديقي؟» يطرح السؤال وهو يضحك لأنه يعرف بالضبط نوع الليلة التي قضاها مايلز ليلة أمس.

يمر مايلز من جانبنا. ويقول: «لا أعرف. لا أتذكرها». دخل إلى المطبخ وفتح الخزانة، وأخذ كوباً كما لو كان يفعل ذلك بأريحية مطلقة. هذا أمرٌ لا أحبه.

لا أحب مايلز الذي يتعامل بسلاسة وأريحية هنا.

فتح مايلز الذي يبدو عليه الراحة، خزانة أخرى وأخرج عبوة من الأسبرين، وملاً كوبه بالماء، ووضع حبتين من الأسبرين في فمه.

سألني كوربين: «هل أحضرت كل أغراضك؟». قلت وأنا ألقى نظرة سريعة على مايلز بينما أردد: «لا، لقد كنت مشغولة بجارك معظم الليل».

أجلى مايلز حلقه بعصية وهو يغسل الكوب ويعيده إلى الخزانة. انزعاجه من ضعف ذاكرته يجعلني أضحك. تعجبني فكرة أنه لا يتذكر أي شيء حدث ليلة أمس. حتى إنني أحب إلى حدٍّ ما فكرة أن وجوده معي في المكان ذاته، تبدو وكأنها تشير أعصابه. قد أستمر على هذا المنوال لفترة من الوقت، من أجل تسلية نفسي.

ينظر إليَّ كوربين وكأنه يعرف ما أحاول فعله. يخرج مايلز من المطبخ ويلقي نظرة سريعة نحوي، ثم يحوّل بصره إلى كوربين: «كنت سأعود إلى منزلي الآن، لكن لا يمكنني العثور على مفاتيحي. هل لديك نسختي الاحتياطية؟». أوماً كوربين برأسه وتوجه نحو أحد الأدراج

في المطبخ. فتح الدرج، وأمسك بالمفتاح، وقذفه إلى مايلز، الذي أمسكه في الهواء. «هل يمكنك العودة خلال ساعة ومساعدتي في تفريغ سيارة تاي؟ أريد الاستحمام أولاً». أوماً مايلز برأسه، واسترق النظر إلي عندما بدأ كوربين بالمشي إلى غرفة نومه.

قال لي كوربين: «سوف نجلس لتبادل الأخبار، بعد الظهر». ربما مرت سبع سنوات منذ أن عشنا معاً، لكن أخي يتذكر جيداً أنني لا أتحدث كثيراً في الصباح. من المؤسف أن مايلز لا يعرف هذا عني.

استدرت لمواجهة مايلز مرة أخرى، بعد أن دخل كوربين إلى غرفة نومه. كان بالفعل ينظر إلي بترقب، وكأنه لا يزال ينتظر أن أجيب على أي أسئلة طرحها عليّ سابقاً. أريده فقط أن يغادر، لذا سأجيبه عنهم جميعاً.

«عندما وصلتُ إلى هنا ليلة أمس، كنتَ فاقداً للوعي في الردهة. لم أكن أعرف من أنت، لذلك عندما حاولت الدخول إلى الشقة، قد أكون أغلقت الباب على يدك. إنها ليست مكسورة. لقد فحصتها، هي فقط مصابة بكدمات على الأرجح. فقط ضع بعض الثلج عليها ولفها بضع ساعات. لا، لم يحدث بيننا أي علاقة جسدية. لقد ساعدتك في الدخول إلى الشقة ثم ذهبت إلى النوم. هاتفك على الأرض بالقرب من الباب الأمامي حيث أسقطته الليلة الماضية لأنك لم تكن تقوى على المشي». استدرت لأتجه إلى غرفتي، أريد الهرب من نظرتة الثاقبة. استدرت لأواجهه عندما وصلت إلى باب غرفة نومي: «إذا كنت مستيقظة عند عودتك بعد ساعة، يمكننا أن نجرب مرة أخرى».

تصلب فكّه. سألني: «ما الذي سنجرّبُه مرة أخرى؟». «التعارف من جديد بطريقة صحيحة». أغلقت باب غرفة نومي، ووضعت حاجزاً بيني وبين ذلك الصوت، وهذه النظرة الثاقبة.

سألني كوربين وهو يرتدي حذاءه عند الباب: «كم عدد صناديق أغراضك؟» التقطتُ مفاتيح السيارة من فوق الطاولة المرتفعة. «سنة، بالإضافة إلى ثلاث حقائب وملابسي المعلقة على شموعات».

سار كوربين إلى الباب مباشرة عبر الردهة، ثم استدار واتجه نحو المصاعد. ضغط على زر الهبوط إلى أسفل. «هل أخبرت أمي أنك وصلتني؟». «نعم، لقد راسلتها ليلة أمس».

بمجرد أن وصل المصعد، سمعت باب شقة مايلز يُفتح. لكنني لم ألتفت لأشاهده وهو يخرج. دخلتُ إلى المصعد بينما أمسك كوربين الباب لمايلز. بمجرد أن أراه؛ أخسر الحرب. تلك الحرب التي لم أكن أعلم أنني أخوضها. لا يحدث هذا عادةً، لكن عندما ألتقي رجلاً جذاباً، فمن الأفضل أن يكون شخصاً أريد أن أنجذب إليه. مايلز ليس الشخص الذي أريد أن أشعر بهذه المشاعر تجاهه. لا أريد الانجذاب إلى رجل يسكر لدرجة فقدان الذاكرة، ويبكي على فتيات أخريات، ولا يستطيع حتى أن يتذكر إذا كان قد نام معي في الليلة السابقة أم لا. لكن من الصعب عدم ملاحظة وجوده إذا كان حضوره طاعياً. أخبر كوربين مايلز وهو يضغط على زر الطابق الأرضي: «سننقل الأمتعة في مرتين».

يحدق مايلز بي، ولا أستطيع سبر أغواره، لأنه لا يزال يبدو غاضباً. أرمقه بنظرة ثابتة، لأنني وبغض النظر عن مدى حسن مظهره وحضوره الطاعني، ما زلت أنتظر الشكر الذي لم أتلقه أبداً.

نطق مايلز أخيراً: «مرحباً». تقدم للأمام واقترّب مني متجاهلاً تماماً آداب المصعد التي تقول بعدم الاقتراب إلى هذا الحد، ومد يده مصافحاً.

«مايلز آرتشر. أسكن في الجهة المقابلة من الطابق». ها أنا أصاب بالحيرة، قلت وأنا أنظر إلى يده الممدودة: «أعتقد أننا نعرف ذلك بالفعل».

قال وهو يقوِّس حاجبه: «البدء من جديد. بطريقة صحيحة؟» آه. نعم. لقد أخبرته بذلك. ألتقط يده وأصافحه: «تايت كولينز. أخت كوربين». الطريقة التي يتراجع بها وهو لا يشيح بعينه عن عيني تجعلني أشعر بعدم الارتياح بعض الشيء؛ إذ إن كوربين يقف على بُعد قدم واحدة فقط. ومع ذلك، لا يبدو أن كوربين يهتم. إنه يتجاهلنا، ومنشغل بهاتفه. أخيراً أشاح مايلز بعينه وأخرج هاتفه من جيبه. اغتنتم الفرصة لتفحصه وهو يولي شيئاً آخر اهتمامه. وتوصلت إلى أن مظهره متناقض تماماً.

يبدو الأمر كما لو كان هناك صانعان مختلفا وهما يشكّلاه. تتناقض القوة في بنيانه العظمي مع الجاذبية الناعمة والجذابة لشفتيه، التي تبدو غير مؤذية ومُرّجة مقارنة بقسوة ملامحه

الخشنة التي تمتد على طول الجانب الأيمن من فكه. لا يستطيع شعره أن يقرر ما إذا كان يريد أن يكون بنياً أم أشقراً أم موجاً أم منسدلاً. تتقلب شخصيته بين الترحيب واللامبالاة القاسية، مما يشوش قدرتي على التمييز بين الإثارة والبرود.

وقفته العفوية تُصارع الشراسة التي رأيتها في عينيه. رباطة جأشه هذا الصباح تتناقض مع حالة السُكر التي كان يعاني منها الليلة الماضية. لا تستطيع عيناه أن تقرر ما إذا كانت تريد النظر إلى هاتفه أم إليّ، لأنها تتردد ذهاباً وإياباً عدة مرات قبل أن تُفتح أبواب المصعد.

أتوقف عن التحديق وأخرج قبلهما من المصعد. يجلس كاب منتبهاً جداً على كرسيه. نظر إلى ثلاثتنا ونحن نخرج من المصعد ثم استند إلى ذراعي مقعده ليقف ببطء وهو يتمايل. أوما كوربين ومايلز إليه واستمرا في المشي. سألني بابتسامة، وأوقفني في منتصف الطريق: «كيف كانت ليلتك الأولى يا تاي؟». حقيقة أنه يعرف اسمي بالفعل لا تفاجئني، لأنه كان يعرف الطابق الذي كنت سأذهب إليه الليلة الماضية. نظرت إلى مؤخرة رأس مايلز وهما يستمران في المشي بدوني. «مليئة بالأحداث، في الواقع. أعتقد أن أخي ربما اتخذ قراراً سيئاً في اختيار الصحبة التي يحيط نفسه بها».

نظرت إلى كاب، وهو يحدق في مايلز الآن أيضاً. تحولت شفاته الممتلئة بالتجاعيد إلى خط رفيع، وهز رأسه بخفة. قال رافضاً تعليقي: «آه، ربما لا يستطيع أحد أن يساعد ذلك الصبي». لست متأكدة من كان يقصد عندما قال «ذلك الصبي»، كوربين أم مايلز. لكني لم أستوضح.

ابتعد كاب عني واتجه نحو دورات المياه في الردهة. تمتم قائلاً: «أعتقد أنني تبولت على نفسي». شاهدته يختفي داخل دورة المياه، وتساءلت عند أي نقطة في الحياة يصبح الإنسان كبيراً بما يكفي ليبدأ في التبول اللاإرادي. مع أن كاب لا يبدو وكأنه هذا النوع من الرجال على الإطلاق. وهذا ما أحبه فيه.

صاح كوربين من أقصى الردهة: «تاي، دعينا نذهب!». لحقت بهما لأدلهما على الطريق إلى سيارتي. استغرق الأمر ثلاث رحلات لنقل كل شيءي، لا مرتين. ثلاث رحلات كاملة لم يتحدث مايلز خلالها بكلمة أخرى معي.

الفصل الرابع

مايلز

قبل ست سنوات

أبي: «أين أنت؟».

أنا: «في منزل إيان».

أبي: «نحن بحاجة إلى التحدث».

أنا: «هل يمكن أن تنتظر حتى الغد؟ سأعود إلى المنزل متأخراً».

أبي: «لا. أحتاجك في المنزل الآن. لقد كنت أنتظر منذ أن خرجت المدرسة».

أنا: «حسناً. أنا في طريقي».

كانت تلك المحادثة التي أدت إلى هذه اللحظة. أنا أجلس أمام أبي على الأريكة. أبي

يخبرني بشيء لا أهتم بسماعه.

«كنت سأخبرك قريباً يا مايلز. أنا فقط...» أقاطعه: «تشعر بالذنب؟. كما لو كنت تفعل

شيئاً خاطئاً؟».

التقت عيناه بعيني، وبدأت أشعر بالسوء لأنني قلت ما قلته، لكنني كبحت ذلك الشعور
وأكملت: «لقد ماتت منذ أقل من عام». بمجرد أن خرجت الكلمات من فمي، أردت أن
أتقيأ.

إنه لا يحب أن يُحكم عليه، خاصة مني. لقد اعتاد على دعمي لقراراته. اللعنة، لطالما
استمتعت بدعم قراراته. حتى الآن، لقد اعتقدتُ دائماً أنه يأخذ قرارات صائبة.

«اسمع، أعلم أنه من الصعب عليك تقبُّل ذلك، لكنني بحاجة إلى دعمك. ليس لديك أي

فكرة عن مدى صعوبة المضي قدماً منذ وفاتها».

أنهض من جلستي وأرفع صوتي: «صعب؟». أنا أتصرف وكأنني أهتم لسبب ما، في حين
أنني لا أهتم حقاً. لا يهمني أنه يواعد بالفعل امرأة مرة أخرى. يمكنه مواعدة من يريد. يمكنه
أن يخدع من يريد. أعتقد أن السبب الوحيد الذي يجعلني أتفاعل بهذه الطريقة مع الخبر، هو

أنها - أمي - لا تستطيع ذلك. من الصعب الدفاع عن زواجك عندما تموت. لهذا السبب، أنا أفعل ذلك بدلاً منها.

«من الواضح أن الأمر ليس صعباً عليك إطلاقاً يا أبي». أسير إلى الطرف الآخر من غرفة المعيشة. ثم أعود.

هذا المنزل صغير جداً بحيث لا يناسب كل إحباطي وخيبة أمني. نظرت إليه مرة أخرى، مدركاً أن الأمر لا يتعلق بمواعدة شخص ما بالفعل. إنها النظرة التي تطل من عينيه عندما يتحدث عن هذه المرأة والتي أكرهها. لم أره أبداً ينظر إلى أمي بهذه الطريقة، لذا أياً كانت، فأنا أعلم أن هذا ليس أمراً عادياً. إنها على وشك التسلسل إلى حياتنا، والتداخل في علاقتي مع أبي كما لو كانت لبلاباً ساماً. لن نكون أنا وأبي فقط بعد الآن. سنكون أنا وأبي وليزا. لا يبدو الأمر صائباً، مع الأخذ في الاعتبار أن أمي لا تزال حاضرة في كل مكان في هذا المنزل. إنه يجلس ويدها مطويتان أمامه، متشابكتان معاً. ينظر إلى الأسفل، إلى الأرض: «لا أعرف ما إذا كان هذا سيحدث فارقاً، لكنني أريد أن أمنح الأمر فرصة. ليزا تجعلني سعيداً. في بعض الأحيان يكون المضي قدماً هو الطريقة الوحيدة لإكمال الحياة».

أفتح فمي لأرد عليه لكن جرس الباب يقطع كلامي. ينظر إليّ، ويقف بتردد. يبدو أصغر في عيني. أقل بطولية.

«أنا لا أطلب منك أن تحبها. لا أطلب منك قضاء بعض الوقت معها. أريدك فقط أن تكون لطيفاً معها». تتوسل عيناه إليّ، وهذا يجعلني أشعر بالذنب لكوني أقاوم بشدة.

أومئ برأسي: «سأفعل يا أبي. أنت تعلم أنني سأفعل». عانقتني، الأمر الذي يجعلني أشعرني بالسعادة والسوء. لا يبدو الأمر وكأنني عانقت الرجل الذي وضعته على قاعدة تمثال منذ سبعة عشر عاماً. يبدو الأمر كما لو أنني عانقت للتو مراهقاً من عمري.

طلب مني فتح الباب بينما عاد إلى المطبخ لإنهاء العشاء، ففعلت. أغمضت عيني وأخبرت أمي أنني سأكون لطيفاً مع ليزا، لكنها ستكون دائماً مجرد ليزا، بغض النظر عما يحدث بينها وبين أبي.

فتحت الباب.

«مايلز؟».

نظرتُ إلى وجهها، عكس وجه أمي تماماً. الأمر الذي جعلني أشعر بحالة جيدة. إنها أقصر بكثير من أمي. إنها ليست جميلة أيضاً مثل أمي. لا يوجد فيها شيء يمكن مقارنته بأمي، الأمر لا يستحق المحاولة. سأقبلها كما هي: ضيفة على العشاء.

أومأت برأسي وفتحت الباب على نطاق أوسع كي أسمح لها بالدخول: «لابد أنك ليزا. سررت بلقائك». أشرت خلفي: «أبي في المطبخ». مالت ليزا إلى الأمام وعانقتني، وهو أمر نجحتُ في جعله محرّجاً بعد أن استغرقت عدة ثوانٍ لأبادلها العناق.

التقت عيني الفتاة التي تقف خلفها. وعيون الفتاة التي تقف خلفها التقت بعيني. سوف تقعين في حبي يا ريتشل.

قالت بصوت هامس مكسور: «مايلز؟». تبدو ريتشل مثل أمها قليلاً، لكنها أكثر حزناً. نقلت ليزا نظرها بيننا: «أنتما تعرفان بعضكما بعضاً؟» لم تومئ ريتشل برأسها. ولا أنا أيضاً. خيبة أملنا انسكبت على الأرض واجتمعت في بركة دموع تحت أقدامنا.

«إنه، ممم، ... هو...»

تلعثمت ريتشل، فساعدتها على إنهاء كلماتها. قلت من غير تفكير: «أنا في المدرسة مع ريتشل». ندمت على قول ذلك، لأن ما أريد قوله حقاً هو أن ريتشل هي الفتاة التي سأقع في حبها.

ومع ذلك، لم أستطيع قول ذلك، لأنه قد صار جلياً ما سيحدث. ريتشل ليست الفتاة التي سأقع في حبها، ريتشل على الأرجح، هي الفتاة التي ستصبح أختي!

للمرة الثانية هذه الليلة أشعر بالغثيان والرغبة في القيء. ابتسمت ليزا وشبكت يديها معاً. وقالت: «هذا رائع. أنا أشعر بالارتياح». دخل أبي إلى الغرفة. عانق ليزا. ورحّب بريتشل وأخبرها أنه من الجيد رؤيتها مرة أخرى.

أبي يعرف ريتشل بالفعل. ريتشل تعرف أبي بالفعل. أبي هو حبيب ليزا الجديد. أبي كان يزور فينيكس كثيراً. كان يزور فينيكس كثيراً منذ وفاة أمي. أبي وغد.

تقول ليزا لأبي: «ريتشل ومايلز يعرفان بعضهما بعضاً بالفعل».

يبتسم، ويغمر الارتياح وجهه: «جيد.. جيد»، يقول، مكرراً الكلمة مرتين كما لو أن تكرارها قد يجعل الأمور أفضل.

لا.

سيئ.. سيئ.

يقول ضاحكاً: «هذا سيجعل الليلة أقل حرجاً بكثير». أنظر إلى الورا إلى ريتشل.

ريتشل تنظر إلي. لا أستطيع أن أقع في حبك يا ريتشل.

عيناها حزنتان.

أفكاري أكثر حزناً.

ولا يمكنك أن تقع في حبي.

تمشي ببطء إلى الداخل، متجنباً نظراتي بينما تراقب قدميها مع كل خطوة. إنها أتعس الخطوات التي رأيتها على الإطلاق. أغلقت الباب. إنه أتعس باب اضطررت إلى إغلاقه على الإطلاق.

الفصل الخامس

تايت

تسأل أمي: «هل ستأخذين عطلة في عيد الشكر؟». أنقل هاتفي إلى أذني الأخرى وأُخرج مفتاح الشقة من حقيبتي: «نعم، لكن ليس في عيد الميلاد. أنا أعمل في عطلات نهاية الأسبوع فقط خلال الوقت الحالي». «جيد. أخبري كوربين أننا لم نمت بعد، إذا رَغِبَ في الاتصال بنا». أضحك: «سأخبره. أحبك.» أغلقت الخط ووضعت هاتفي في الجيب العلوي من رداء العمل. إنها مجرد وظيفة بدوام جزئي، لكنها تضع قدمي على الطريق.

الليلة كانت آخر ليلة في التدريب قبل أن أبدأ مذاوبات عطلة نهاية الأسبوع مساء غد. تعجبني الوظيفة حتى الآن، لكنني ذهلت حقاً عندما حصلت عليها بعد المقابلة الأولى. إنها تتوافق مع جدول دراستي أيضاً. أذهب إلى الكلية كل يوم من أيام الأسبوع، وأنجز ساعات بين العمل السريري أو الدراسة النظرية، ثم أعمل في المناوبة الثانية في عطلات نهاية الأسبوع بالمستشفى. لقد كان انتقالاً سلساً حتى هذه اللحظة.

أنا أيضاً أحب سان فرانسيسكو. أعلم أنه قد مرَّ أسبوعان فقط، لكنني أستطيع أن أرى نفسي مستقرة هنا بعد التخرج في الربيع المقبل، بدلاً من العودة إلى سان دييغو. أنا وكوربين على وفاق، مع أنه كان غائباً عن المنزل أغلب الوقت. ومن المؤكد أن هذا هو السبب في ذلك الوفاق.

أبتسم، وأشعر أخيراً أنني وجدت مكاني، ثم أفتح باب الشقة. تتلاشى ابتسامتي بمجرد أن ألتقي بعيون ثلاثة رجال آخرين، أعرف منهم اثنين فقط. مايلز يقف في المطبخ، والأحمق المتزوج الذي قابلته في المصعد يجلس على الأريكة.

لماذا مايلز هنا بحق الجحيم؟

لماذا أي منهم هنا بحق الجحيم؟ أصدق في مايلز وأنا أخلع حدائي وألقي حقيبتي على الطاولة. لن يعود كوربين لمدة يومين، وكنت أتطلع إلى السلام والهدوء الليلة حتى أتمكن من

إنهاء بعض المذاكرة.

أخبرني مايلز عندما رأى العبوس يعلو وجهي: «إنه يوم الخميس»، كما لو كان من المفترض أن أي يوم من أيام الأسبوع قد يُفسَّر وجودهم. إنه ينظر إلي من حيث يقف في المطبخ. ويمكنه أن يرى أنني لست سعيدة. أرد عليه: «إنه الخميس، وغداً الجمعة». ألفتُ إلى الرجلين الآخرين الجالسين على أريكة كوربين. «لماذا أنتم جميعاً في شقتي؟».

على الفور، يقف الرجل الأشقر النحيل ويتجه نحوي. يمد يده: «تايت؟ أنا إيان. لقد نشأت مع مايلز. أنا صديق أخيك». يشير إلى شاب المصعد الذي لا يزال جالساً على الأريكة: «هذا ديلون».

أوماً ديلون لي برأسه دون أن يكلف نفسه عناء التفوه بكلمة. ليس عليه أن يفعل. ابتسامته القذرة تشي بكل ما يفكر فيه الآن. عاد مايلز إلى غرفة المعيشة وأشار إلى التلفاز: «هذا ما نفعله خلال أيام الخميس التي نكون فيها بالمنزل. ليلة مشاهدة المباراة». لا يهمني إذا كان ذلك هو طقسهم الخاص. لدي واجب منزلي.

«كوربين ليس في المنزل الليلة. ألا يمكنك فعل ذلك في شقتك؟ أنا أحتاج إلى المذاكرة».

يناول مايلز البيرة إلى ديلون ثم ينظر إليّ: «ليس لدي اشتراك في القنوات المدفوعة». بالطبع ليس لديك.

«وزوجة ديلون لا تسمح لنا باستخدام شقته». بالطبع لا تسمح.

أدرتُ عيني في محجريهما واتجهتُ إلى غرفة نومي، صافعةً الباب خلفي دون قصد. بدتُ ملابسي وارتديت بنطال جينز. وفي اللحظة التي أمسكت فيها القميص الذي ارتديته الليلة الماضية، ووضعتة فوق رأسي، طرق شخص ما الباب. فتحتُ الباب على مصراعيه، بصورة مبالغ فيها كما فعلت عند إغلاقه قبل قليل. إنه طويل جداً.

لم أكن أدرك كم هو طويل، لكنه الآن وهو يقف في مدخل غرفتي -ويملؤها- يبدو طويل القامة حقاً. لو أنه لف ذراعيه حولي الآن، ستكون أذني عند قلبه. وسيستقر خده بشكل مريح

فوق رأسي.

إذا قبلني، سيكون عليّ أن أرفع وجهي إلى أعلى كي ألتقيه، لكن هذا سيكون لطيفاً لأنه سيحيط أسفل ظهري بذراعيه ويرفعني إليه حتى تجتمع شفاهنا معاً مثل قطعتي أحجية. لكنهما لن يكونا متلائمين تماماً، لأنهما بالتأكيد ليستا قطعيتين من الأحجية نفسها. شيء غريب يحدث في صدري. قشعريرة، نوع من القشعريرة. أكره ذلك، لأنني أعرف ما يعنيه ذلك. يعني أن جسدي بدأ بالفعل يحب مايلز.

أتمنى فقط أن لا يلحق عقلي به.

«إذا كنتِ بحاجة إلى الهدوء، يمكنك الذهاب إلى منزلي». أنزعج من القشعريرة التي غمرتني لمجرد عرضه هذا. لا ينبغي لي أن أكون متحمسة بشأن إمكانية وجودي داخل شقته، لكنني كذلك. أضاف: «من المحتمل أن نبقى هنا لساعتين».

هناك ندم في مكان ما في صوته. قد يتطلب الأمر فريق بحث، لتحديد موقع هذا الندم، لكنه مدفون هناك في مكان ما، تحت كل هذه القسوة.

أُخرج نفساً سريعاً مستسلماً. كم أنا حمقاء. هذه ليست شقتي. ومن الواضح أنهم يجتمعون بانتظام. من أنا حتى أعتقد أنه يمكنني وضع حد لذلك؟ أخبره: «أنا فقط متعبة. حسناً. أنا آسفة إذا كنتِ وقحة مع صديقك».

«صديق! ديلون ليس صديقي». يقولها بطريقة واضحة وقاطعة.

لا أسأله ما الذي يعنيه بقوله هذا. ينظر إلى غرفة المعيشة، ثم يعاود النظر إليّ مرة أخرى. يسند جسمه على إطار الباب، كما لو أن تنازلي عن الشقة لهم، لم يكن نهاية المحادثة. يحرك عينيه وينظر إلى رداء العمل الملقى فوق فراشي.

«هل حصلت على وظيفة؟».

أجيبه وأنا مندهشة من رغبته المفاجئة في إجراء محادثة: «نعم» .

«ممرضة مُسجَّلة في غرفة الطوارئ».

تظهر تجعيدة على جبهته، ولا أستطيع أن أعرف هل هي نتيجة الحيرة أم الانبهار: «ألست في مدرسة التمريض؟ كيف يمكنك العمل بالفعل ممرضة مُسجَّلة؟».

«أدرس للحصول على درجة الماجستير في التمريض حتى أتمكن من العمل ممرضة تخدير معتمدة. لدي بالفعل رخصة عمل ممرضة مسجلة». لم يفهم الفرق. أوضح: «هذا الترخيص الجديد يسمح لي بإدارة عمليات التخدير».

يحدق في لبضع ثوانٍ قبل أن يقف باستقامة ويدفع إطار الباب. يقول بدون ابتسامة: «عظيم». لماذا لا يبتسم أبداً؟ يعود إلى غرفة المعيشة. أخرج من الباب وأراقبه. يعود مايلز ويأخذ مكانه على الأريكة ويولي التلفاز كامل اهتمامه.

يمنحني ديلون اهتمامه الكامل، لكنني أنظر بعيداً وأتجه إلى المطبخ بحثاً عن شيءٍ يؤكل. ليس هناك الكثير، مع الأخذ في الاعتبار أنني لم أطبخ طوال الأسبوع، لذا أخرج من الثلاجة، كل الأشياء التي أحتاجها لإعداد شطيرة. عندما استدرت، كان ديلون لا يزال يحدق إليّ.

بدلاً من أن يحدق من غرفة المعيشة، صار الآن يحدق من مسافة قدم تقريباً. ابتسم، ثم تقدم للأمام ووصل إلى الثلاجة، على بعد بوصات من وجهي: «إذن أنت أخت كوربين الصغيرة؟» أعتقد أنني أتفق مع مايلز في هذا الشأن. أنا أيضاً لا أحب ديلون كثيراً.

عيون ديلون ليست مثل عيون مايلز. عندما ينظر مايلز إليّ، تخفي عيناه كل شيء. لا تخفي عيون ديلون شيئاً، ومن الواضح الآن أنه يجردني من ملابسي بعينه.

أجيب بلا مبالاة، وأنا أشق طريقي حوله: «نعم». أسير إلى الخزانة وأفتحها بحثاً عن الخبز. بمجرد أن أجده، أضعه على الطاولة المرتفعة وأبدأ في إعداد شطيرتي. أخرج قطعة خبز إضافية لآخذها إلى كاب.

لقد نمت علاقتي به نوعاً ما، في الوقت القصير الذي عشته هنا. اكتشفت أنه يعمل أحياناً لمدة تصل إلى أربع عشرة ساعة يومياً؛ وذلك لأنه يعيش في المبنى بمفرده، وليس لديه أي شيء آخر لفعله. يبدو أنه يُقدّر صُحبتِي، وخاصة الهدايا التي على شكل طعام؛ لذلك وحتى أتمكن من كسب المزيد من الأصدقاء هنا، أعتقد أنني سأقضي وقت فراغي مع رجل يبلغ من العمر ثمانين عاماً.

يميل ديلون عرضياً على المنضدة: «أنت ممرضة أو شيء من هذا القبيل؟» يفتح علبة البيرة ويقربها من فمه لكنه يتوقف قبل أن يشرب. يريد مني أن أجيبه أولاً. أقول بصوتٍ مبتور: «نعم». يبتسم ويأخذ جرعة كبيرة من البيرة. أوصل إعداد شطائري، وأحاول عمداً أن أبدو

منغلقة، لكن يبدو أن ديلون لم يفهم التلميح. استمر في التحديق بي حتى أتممت إعداد الشطائر. لن أعرض عليه صنع شطيرة لعينة له إذا كان هذا هو سبب بقاءه هنا.

«أنا طيار». لم يقلها بطريقة متعجرفة، لكن عندما لا يسألك أحد عن مهنتك، فإن التطوع بإعلانها في الحديث، تُصبح عجرفة: «أنا أعمل في شركة الطيران نفسها التي يعمل فيها كوربين». إنه يحدق بي، وينتظر أن أتأثر بحقيقة أنه طيار. لكن ما لا يدركه، أن كل الرجال في حياتي طيارون. كان جدي طياراً. وأبي كان طياراً حتى تقاعد قبل بضعة أشهر. وأخي طيار.

«ديلون، إذا كنت تحاول إثارة إعجابي، فأنت تفعل ذلك بطريقة خاطئة. أنا أفضل الرجل الذي يتمتع بقدر أكبر من التواضع، وزواج أقل». وطرقت بعيني نحو خاتم الزواج في يده اليسرى.

أعلن مايلز ذلك وهو يدخل المطبخ ويوجه كلامه إلى ديلون: «لقد بدأت المباراة». قد تكون كلماته عادية، لكن عينيه تخبران ديلون أنه بحاجة إلى العودة إلى غرفة المعيشة. يتنهد ديلون كما لو أنه قد سلب منه شيئاً يسره. «من الجيد رؤيتك مرة أخرى يا تاي»، قالها بطريقة توحى بأن المحادثة كانت قد انتهت بالفعل، سواء تدخل مايلز أم لا.

«يجب عليك الانضمام إلينا في غرفة المعيشة». نظر ديلون إلى مايلز، مع أنه يتحدث معي، وردد: «من الواضح أن المباراة قد بدأت». استقام ديلون ووقف متجاوزاً مايلز، واتجه عائداً إلى غرفة المعيشة.

تجاهل مايلز إظهار ديلون لانزعاجه، وأدخل يده في جيبه الخلفي ثم سحب المفتاح ومرره لي. «اذهبي للمذاكرة في شقتي». إنه ليس طلباً. إنه أمر.

وضعت المفتاح على الطاولة وأعدت الغطاء لعلبة المايونيز، رافضةً أن يطردني ثلاثة فتيان من شقتي. غلفت الشطيرتين بمنشفة ورقية: «أنا بخير، سأذكر هنا. صوت التلفاز ليس عالياً». اقترب مايلز خطوة للأمام حتى درجة كافية للهمس. أنا متأكدة تماماً من أن أثر أصابعي بات مرسوماً على الخبز، مع الأخذ في الاعتبار أن كل جزء في جسدي، وحتى إلى أصابع قدمي، متوترة.

« أنا لست بخير، وأنت تذاكرين هنا. ليس قبل يغادر الجميع. اذهبي. خذي شطائرِكَ معك». أنظر إلى شطيرتي. وأشعر أنه أهانهما للتو. أقول مدافعة: «إنهما ليسا لي. سأخذ واحدة إلى كاب». أبادله النظر، وهو يحدق إليّ بالطريقة التي لا يمكن سبر غورها.

مع عيون مثل عينيه، ينبغي أن تكون هذه النظرات خارجة عن القانون. أرفع حاجبي بترقب، لأنه يجعلني حقاً أشعر بالحرج. أنا لست معرضاً للأعمال الفنية. لكن الطريقة التي ينظر بها إليّ تجعلني أشعر بأنني هكذا.

«هل أعددت شطيرة لكاب؟». أخبرته وأنا أهرز كتفي بالإيجاب: «الطعام يجعله سعيداً». ينظر إليّ ويعيد تقييمي لفترة أطول قليلاً قبل أن يميل إليّ مرة أخرى. أمسك بالمفتاح من الشريط وأدخله في جيبي الأمامي.

لست متأكدة إذا كانت أصابعه قد لمست بنطالي الجينز، لكنني تنفستُ بحدة ونظرتُ إلى جيبي، لأنني بحق الجحيم، لم أتوقع ذلك. تجمدتُ في مكاني بينما كان يعود - غير متأثر بما فعله - إلى غرفة المعيشة. يبدو الأمر وكأن جيبي قد اشتعلت فيه النيران.

أقنعتُ قدمي بالتحرك؛ إذ إنني في حاجة إلى بعض الوقت لاستيعاب كل هذا. بعد أن أوصلت الشطيرة إلى كاب، توجهت إلى شقة مايلز. ذهبتُ بمحض إرادتي، لا لأنه يريدني أن أذهب إليها، وليس لأن لدي الكثير من الواجبات المنزلية، لكن لأن فكرة وجودي داخل شقته بدون وجوده، تثيرني بطريقة سادية. أشعر وكأنني حصلت للتو على تصريح مجاني لكشف جميع أسراره.

كان يجب أن أعرف أن شقته لن تمنحني أي لمحة عن شخصيته. فعيناه نفسها لا تفعل. بالتأكيد، المكان هنا أكثر هدوءاً، وها أنا قد أمضيت ساعتين متواصلتين في إنجاز واجباتي المنزلية، وهذا فقط لأنه لا يوجد أي تشتيت.

في المطلق؛ لا توجد أي لوحات على الجدران البيضاء النظيفة للغاية. لا زخارف. ولا أية ألوان أبداً. حتى طاولة البلوط الصلبة التي تفصل المطبخ عن غرفة المعيشة غير مزينة. إن هذا البيت مختلف تماماً عن المنزل الذي نشأت فيه، حيث كانت طاولة المطبخ هي النقطة المحورية في منزل أمي، مع مفرش طاولة، وثرثرا علموية مُتقنة الصنع، وأطباق تتناسب مع الموسم الحالي.

ليس لدى مايلز حتى وعاء فاكهة! الشيء الوحيد المثير للإعجاب في هذه الشقة هو رف الكتب الموجود في غرفة المعيشة. إنه مليء بعشرات الكتب، وهو ما يعد تحولاً بالنسبة لي أكثر من أي شيء آخر يمكن أن يصطف على جدران القاحلة.

سرتُ نحو رف الكتب كي أتفقد اختياراته، على أمل أن أتعرف إليه عن قرب، بناءً على اختياره للأدب. كل ما وجدته كان صفاً تلو الآخر من الكتب المتعلقة بالطيران. شعرت بخيبة أمل بعض الشيء لأنه بعد إجراء فحص كامل لشقته، فإن أفضل ما يمكن استنتاجه، هو أنه قد يكون مدمناً للعمل مع القليل من الذوق في الديكور أو انعدامه تماماً.

تركت غرفة المعيشة ودخلت المطبخ. فتحت الثلاجة، والتي لا يكاد يوجد بها أي شيء. هناك عدد قليل من علب الطعام الآتية من مطاعم. بهارات. عصير برتقال. إنها تشبه ثلاجة كوربين الفارغة والحزينة والعزباء جداً.

أفتح خزانة وأتناول كوباً، ثم أسكب لنفسي بعض العصير. أشربه وأشطف الكوب. هناك عدد قليل من الأطباق الأخرى مكدسة على الجانب الأيسر من الحوض، لذلك بدأت في غسلها. حتى أطباقه وأكوابه تفتقر إلى أية لمسة شخصية، فهي بسيطة وبيضاء وحزينة. تتناوبني رغبة مفاجئة في أخذ بطاقتي الانتمانية والذهاب مباشرة إلى المتجر وشراء بعض الستائر، ومجموعة جديدة من الأطباق النابضة بالحياة، وبعض الملوحات، وربما نبتة أو اثنتين. هذا المكان يحتاج إلى القليل من الحياة.

أتساءل ما القصة وراءه؟ لا أعتقد أن لديه حبيبة. لم أره مع واحدة حتى هذه اللحظة، وحال الشقة وافتقارها الواضح إلى لمسة أنثوية يجعل هذا افتراضاً محتملاً. لا أعتقد أن أي فتاة يمكنها الدخول إلى هذه الشقة دون أن تزينها قبل المغادرة على الأقل، لذلك أفترض أن الفتيات لا يدخلن هذه الشقة أبداً.

وهذا يجعلني أتساءل عن كوربين أيضاً. طوال السنوات التي نشأنا فيها معاً، لم يكن أبداً منفتحاً بشأن علاقاته، لكنني متأكدة من أن هذا لأنه لم يكن أبداً في علاقة. في كل مرة تعرفت فيها إلى فتاة في ماضيه، لا يبدو أنها تمكنت من قضاء أسبوع كامل معه. لا أعرف ما إذا كان ذلك بسبب أنه لا يحب البقاء مع أحد، أم أن هذه علامة على أنه من الصعب جداً

العيش معه. أنا متأكدة من الاختيار الأول، وذلك بناءً على عدد المكالمات الها تفية العشوائية التي يتلقاها من النساء.

بالنظر إلى علاقات الليلة الواحدة العابرة، وافتقاره إلى الالتزام، فإن الأمر يحيرني، وكيف كان حارسي الحامي خلال سنوات نشأتي. أعتقد أنه كان يعرف نفسه جيداً. لم يكن يريدني أن أواعد رجالاً مثله. أتساءل عما إذا كان مايلز مثل كوربين.

«هل تغسلين أطباقي؟». فاجأني صوته تماماً، مما جعلني أجفل بشدة. استدرت وألقيت نظرة على مايلز الذي ظهر في المكان، وكِدْتُ أن أسقط الكوب الزجاجي من يدي. لقد انزلق بالفعل، لكنني تمكنت بطريقة ما، من الإمساك به قبل أن يصطدم بالأرض. أخذت نفساً هادئاً ووضعتة برفق في الحوض.

«لقد أنهيت واجباتي المدرسية»، قلت ذلك، وأنا أبتلع الغصة التي تكوّنت في حلقي. نظرت إلى الأطباق الموجودة الآن في المصفاة. «لقد كانت متسخة».

يضحك.

أعتقد ذلك.

فبمجرد أن تبدأ شفتاه في الانحناء، تعود مرة أخرى على هيئة خط مستقيم. إنذار كاذب.

«لقد رحل الجميع» أخبرني مايلز وأعطاني الضوء الأخضر لإخلاء شقته. لاحظ أن علبة عصير البرتقال لا تزال موجودة على الطاولة، فالتقطها وأعادها إلى الثلاجة. تمت: «آسفة، كنت عطشى».

استدار لمواجهتي وهو يسند كتفه على الثلاجة، ويطوي ذراعيه على صدره: «لا يهمني إذا كنتِ تشربين عصيري يا تاي».

أوه، يا إلهي. لقد كانت تلك الجملة مشيرة إثارة غريبة. وكذلك كان حضوره. لكن مع ذلك، لا يوجد أي ابتسامة.

يا إلهي. ما هذا الرجل! ألا يدرك أنه من المفترض أن يصاحب الكلام بعض تعبيرات الوجه؟ لا أريد أن يرى خيبة أمني، لذا استدرت نحو الحوض. واستخدمت رشاش المياه

لإزالة الرغبة المتبقية في الحوض. أجد ذلك مناسباً تماماً، مع الأخذ في الاعتبار المشاعر الغريبة العالقة في أنحاء مطبخه.

سألته عندما استدرت مرة أخرى وواجهته، في محاولة للتخفيف من الصمت المخرج: «منذ متى وأنت تعيش هنا؟».

«أربع سنوات». لا أعرف لماذا أضحك، لكنني أعرف. يرفع حاجبيه في حيرة، لماذا جعلتني إجابته أضحك.

«إنها فقط شقتك..» وألقيت نظرة على غرفة المعيشة، ثم أعدت النظر إليه: «إنها لطيفة نوعاً ما. لكن اعتقدت أنك ربما انتقلت للتو، ولم تتح لك الفرصة لترتيبها».

لم أقصد أن يبدو الأمر مهيناً. لكن هذا بالضبط ما بدا عليه كلامي. أنا فقط أحاول إجراء محادثة، لكن يبدو أنني أزيد الأمر سوءاً.

تحركت عيناه ببطء حول شقته وهو يستوعب تعليقي. أتمنى لو كان بإمكانني سحبه مرة أخرى، لكنني لم أحاول حتى. ربما سأجعل الأمر أسوأ. أخبرني: «أنا أعمل كثيراً. ولم يكن لدي أي رفقة أبداً، لذا أعتقد أن الأمر لم يكن من أولوياتي». أريد أن أسأله لماذا لم يحظَ أبداً بأي رفقة، لكن بعض الأسئلة تبدو محظورة بالنسبة له.

«بالحديث عن الرفقة، ما قصة ديلون؟».

هز مايلز كتفيه، وأسند ظهره بالكامل إلى الثلاجة. قال بصراحة: «ديلون أحق، لا يحترم زوجته». استدار تماماً وخرج من المطبخ متجهاً نحو غرفة نومه. دفع باب غرفة نومه خلفه، لكن تركه مفتوحاً بدرجة كافية حتى أتمكن من سماعه وهو يتحدث: «أعتقد أن عليّ تحذيرك، قبل أن تقعي في فخ تصرفاته».

أخبره: «أنا لا أقع في غرام هذه الأفعال. خاصة أفعال ديلون».

«جيد».

جيد؟ ها. مايلز لا يريدني أن أحب ديلون. تعجبني فكرة أنه لا يريدني أن أحب ديلون. «كوريين لن يعجبه أبداً أن تتورطي معه في شيء ما. إنه يكره ديلون». أوه. إنه لا يريدني أن أحب ديلون من أجل كوريين. لماذا يشعرني ذلك بخيبة أمل؟

خرج من غرفة نومه ولم يعد يرتدي بنطاله الجينز وقميصه. إنه يرتدي بنطالاً مألوفاً وقميصاً أبيض أنيقاً، مفتوحاً ومفكك الأزرار. إنه يرتدي زيّ الطيار. أسأله وأنا في حيرة إلى حد ما: «أنت طيار؟».

صوتي يجعلني أبدو منبهرة بطريقة غريبة.
أوماً برأسه ودخل إلى غرفة الغسيل المجاورة للمطبخ. يقول: «هكذا تعرفتُ إلى كوربين. كنا في مدرسة الطيران معاً». يعود إلى مطبخه ومعه سلة غسيل وضعها على الطاولة. «إنه رجل جيد».

قميصه ليس مزرراً.

أنا أحرق في بطنه.

توقفي عن التحديق في بطنه.

يا إلهي، لديه خطوط على هيئة حرف V.

تلك النتوءات الجميلة التي تظهر على الرجال والتي تمتد على طول عضلات البطن الخارجية، وتختفي تحت الجينز كما لو أنها تشير إلى نقطة مركزية سرية. يا إلهي. تابت، أنتِ تحديقين فيما بين ساقيه!

إنه يزرر قميصه الآن، وبطريقة ما، حصلت على قوة خارقة مكنتني من النظر مرة أخرى إلى وجهه. أفكر. يجب أن أستجمع قواي بطريقة ما، لكن لا يمكنني ذلك. ربما لأنني اكتشفت للتو أنه طيار. لكن لماذا قد يشير ذلك إعجابي؟ ديلون طيار ولم أتأثر بذلك. لكنني لم أكتشف أن ديلون طياراً بينما كان يغسل ملابسه ويتباهى بعضلات بطنه. الرجل الذي يطوي الغسيل وهو يتباهى بعضلاته وأنه طيار، يشير إعجابي للغاية.

ارتدى مايلز ملابسه كاملةً الآن، وها هو يرتدي حذاءه، وأنا أشاهده كما لو كنت أشاهد عرضاً مسرحياً وهو البطل الرئيسي.

أسأله وأبحث عن صيغة متماسكة للتوضيح: «هل هذا آمن؟ لقد كنت تشرب الخمر مع الشباب، وأنت الآن على وشك قيادة طائرة؟». أغلق مايلز سترته، ثم التقط من الأرض حقيبة من القماش الخشن معبأة بأغراضه. قال قبل أن يخرج من المطبخ مباشرة: «لم أشرب الليلة سوى الماء. أنا لا أشرب الخمر كثيراً. وبالتأكيد لا أشرب في ليالي العمل». ضحكت وتبعته

نحو غرفة المعيشة. اتجهت إلى الطاولة والتقطت أغراضي. قلت: «أعتقد أنك نسيت كيف التقينا. يوم انتقالنا للعيش هنا؟ شخص ما فقد وعيه في الردهة بفعل الخمر؟».

فتح الباب الأمامي لي يسمح لي بالخروج. قال: «ليس لدي أي فكرة عما تتحدثين عنه يا تاي. التقينا في المصعد. ألا تذكرين؟». لا أستطيع أن أعرف إذا كان يمزح أم لا، فليس هناك ابتسامة أو بريق في عينيه. أغلقت الباب خلفنا. أعدت له مفتاح الشقة، فأقفل الباب. مشيت نحو شقتي وفتحت الباب.

«تاي؟»

كدت أتظاهر بأنني لم أسمعه حتى يضطر فقط إلى نطق اسمي مرة أخرى. لكنني استدرت وواجهته، متظاهرة بأنني لم أتأثر بهذا الرجل أبداً: «تلك الليلة في الردهة؟ كانت استثناءً. استثناء نادراً جداً».

هناك شيء لا يبوح به، يظهر في عينيه وربما أيضاً في صوته. يقف أمام باب شقته، مستعداً للاتجاه نحو المصعد، لكنه ينتظر ليرى إن كان لدي ما أقوله. يجب أن أقول له وداعاً. أو ربما يجب أن أتمنى له رحلة آمنة. لكن ذلك يُعد فآلاً سيئاً. أود فقط أن أقول ليلة سعيدة.

«هل كان هذا الاستثناء بسبب ما حدث مع ريتشل؟».

نعم. لقد اخترت حقاً أن أقول ذلك بدلاً مما يدور في بالي.

لماذا قلت ذلك للتو؟

تغيرت وضعيته، وتجمد وجهه، كما لو أن كلماتي صاعقة من البرق قد أصابته. بدا مشوشاً بسبب ما قلته، لأنه من الواضح لا يتذكر أي شيء عن تلك الليلة.

بسرعة يا تاي. حاولي التوضيح.

«لقد اعتقدت أنني امرأة تدعى ريتشل»، قلت ذلك، موضحةً التعليق الغريب بأفضل ما

أستطيع: «لقد اعتقدت أنه ربما حدث شيء ما بينكما، ولهذا السبب... كما تعلم».

أخذ مايلز نفساً عميقاً، لكنه حاول إخفاءه. لقد ضربت الوتر الحساس. يبدو أننا لن نتحدث عن ريتشل. قال وهو يتعد: «ليلة سعيدة يا تاي».

لا أستطيع أن أفهم ما حدث للتو. هل أخرجته؟ ضايقته؟ جعلته حزينا؟ مهما يكن ما فعلت، أنا أكره ذلك الآن. هذه الغرابة التي صارت تملأ المساحة بين باب شقتي والمصعد

الذي يقف أمامه الآن. أدخل إلى شقتي وأغلق الباب. لكن الإحراج صار يشغل كل مكان. لم يبق بالخارج في الردهة.

الفصل السادس

مايلز

قبل ست سنوات

نجلس لتناول العشاء، لكن الوضع غريب.
أبي وليزا يحاولان إشراكنا في الحديث، لكن لا أحد منا في حالة مزاجية تسمح له بذلك.
نحرق في صحنونا. ونحرك الطعام بالشوكة.
لا نريد أن نأكل.

يسأل أبي ليزا إذا كانت تريد الجلوس بالخارج. توافقه ليزا.
تطلب ليزا من ريتشل مساعدتي في إخلاء الطاولة.
توافق ريتشل.

نأخذ الأطباق إلى المطبخ.

نحن هادئان.

تتكئ ريتشل على المنضدة بينما أرسُ الصحنون في الغسالة.
تشاهدني وأنا أبذل أقصى ما في وسعي لتجاهلها. إنها لا تدرك أنها في كل مكان. أنها موجودة في كل شيء.

كل شيء حولي أصبح ريتشل. إنها تستهلكني. أفكاري لم تعد أفكاراً بعد الآن. أفكاري صارت ريتشل. لا أستطيع أن أقع في حبك يا ريتشل.
أنظر إلى الحوض. لكنني أريد أن أنظر إلى ريتشل.
أتنفس الهواء. لكنني أريد أن أتنفس ريتشل.
أغمض عيني. أرى فقط ريتشل.

غسلت يدي. لكنني أريد أن ألمس ريتشل.

جففت يدي بالمنشفة قبل أن أستدير لمواجهتها.

يداها تمسكان بالمنشفة خلفها. ويداي مطويتان فوق صدري.

تهمس قائلة: «إنهما أسوأ آباء في العالم».

صوتها يتفتت.

قلبي يتفتت.

أقول لها: «حقير».

تضحك.

ليس من المفترض أن أقع في حب ضحكتك يا ريتشل.

تتنهد. أنا أقع في حب هذه التهيدة أيضاً.

أسألها: «منذ متى وهم يتواعدان؟».

ستُجيب بصدق.

تهز كتفيها: «تقريباً سنة. لقد كانت علاقة طويلة المسافة، حتى نقلتنا إلى هنا كي نكون بالقرب منه».

أشعر بقلب أمي ينكسر.

نحن نكرهه.

أسأل: «سنة؟ هل أنت متأكدة؟»

أومأت بالإيجاب.

إنها لا تعرف شيئاً عن أمي. يمكنني أن أخبرها.

«ريتشل؟»

أنطق اسمها بصوت عالٍ، تماماً كما أردت أن أفعل منذ ثاني مرة التقيت بها.

تواصل النظر مباشرة في عيني. تبلع ريقها ثم تزفر نفساً قصيراً: «نعم؟»

أتقدم نحوها.

جسدها يستجيب. تعادل في وقفها، لكن ليس كثيراً. تُخرج أنفاساً متلاحقة وثقيلة، لكن

ليس كثيراً. يكسو اللون الأحمر وجنتيها، لكن ليس كثيراً.

كل هذا يكفي.

تحيط يداي بخصرها، وتبحث عيني عن عينيها.

لا يخبراني بالرفض، فأفعل.

عندما لمست شفاهي شفيتها، كان هناك الكثير من الأفكار. جيد وسيئ وصواب وخطأ وانتقام.

تشهق وتسرق بعض أنفاسي. أتنفس وأمنحها المزيد. تتلامس ألسنتنا ويتشابك شعورنا بالذنب، وتتخلل أصابعي شعرها، ذلك الشعر الذي صنعه الله خصيصاً من أجلها.

المذاق الجديد المفضل لي هو ريتشل.

الشيء المفضل الجديد لدي هو ريتشل.

أريد ريتشل هدية لعيد ميلادي. أريد ريتشل هدية لعيد الميلاد. أريد ريتشل هدية التخرج.

ريتشل، ريتشل، ريتشل.

سأقع في حبك على أية حال يا ريتشل.

ينفتح الباب الخلفي. فأُفلت ريتشل من بين يدي.

لقد أطلقت سراحي هي الأخرى، لكن جسدياً فقط. لا زال بإمكانني الشعور بها بكل الطرق الأخرى.

حوّلت نظري بعيداً عنها، لكن كل شيء لا يزال ريتشل.

دخلت ليزا المطبخ وبدا عليها السعادة.

لها الحق في أن تكون سعيدة. فليست هي من ماتت.

تخبر ليزا ريتشل أن وقت الذهاب قد حان.

أقول لهما وداعاً، لكن كلماتي موجهة لريتشل فقط.

إنها تعرف هذا.

أنتهي من رص الصحون.

أخبرت أبي أن ليزا لطيفة.

لم أخبره أنني أكرهه بعد. ربما لن أفعل ذلك أبداً. لا أرى فائدة من إخباره أنني لم أعد أراه

بالطريقة نفسها التي كنت أراه بها بعد الآن.

الآن هو مجرد... عادي. بشر.

ربما تكون هذه هي طقوس العبور كي تصبح رجلاً، حين تدرك أن أباك لم يفهم الحياة

أكثر مما تفعل أنت.

أذهب إلى غرفتي. وأُخرج هاتفي وأرسل رسالة نصية إلى ريتشل.

أنا: ماذا سنفعل ليلة الغد؟

ريتشل: هل سنكذب عليهما؟

أنا: هل يمكنك مقابلي في الساعة؟

ريتشل: نعم.

أنا: ريتشل؟

ريتشل: نعم؟

أنا: ليلة سعيدة.

ريتشل: ليلة سعيدة، مايلز.

أغلق هاتفي، لأنني أريد أن تكون هذه آخر رسالة أتلقاها الليلة. أغمض عيني. أنا أقع في

حبك يا ريتشل.

الفصل السابع

تايت

مر أسبوعان منذ أن رأيت مايلز، ومرت ثانيتان منذ آخر مرة فكرت فيه. يبدو أنه يعمل بالقدر نفسه الذي يعمل به كوربين، ومع أنه من الجيد أن تكون لدي الشقة بأكملها من حين لآخر، فإنه من الجيد أيضاً عندما لا يعمل كوربين ويكون هناك شخص ما، يمكنني التحدث إليه. أود أن أقول إنه من الجيد أن يكون كوربين ومايلز في إجازة من العمل، لكن هذا لم يحدث منذ أن عشت هنا.

قال كوربين: «والده يعمل، وهو في إجازة حتى يوم الاثنين». لم يكن لدي أي فكرة أنه قد دعا مايلز للعودة معنا إلى المنزل لقضاء عيد الشكر. إنه يطرق باب شقة مايلز: «ليس لديه أي شيء آخر ليفعله».

أنا متأكدة من أنني أومأت برأسي بعد سماع هذه الكلمات، لكنني استدرت واتجهت مباشرة نحو المصعد. أخشى أن تكون حماستي لمرافقتي لنا، واضحة للغاية عندما يفتح مايلز الباب. كنت في المصعد، عند الجدار الخلفي البعيد، عندما دخلا. نظر مايلز إلي وأوماً برأسه. هذا كل ما أحصل عليه. آخر مرة تحدثت معه، جعلت الأمور بيننا مُحرجة للغاية، لذلك لم أنفوه بكلمة واحدة. حاولت أيضاً ألا أحقق به، لكن من الصعب للغاية التركيز على أي شيء آخر في وجوده. إنه يرتدي قبعة بيسبول وجينز وقميص نادي سان فرانسيسكو. أعتقد أن هذا هو السبب الذي يجعلني لا أستطيع أن أشرح بنظري عنه. لأنني دائماً ما وجدت الرجال الذين لا يبذلون جهداً في محاولة الظهور بمظهر جذاب، جذابين للغاية.

رفعت عيني عن ملابسه، والتقيتُ بنظراته الفاحصة. لا أعرف إذا ما كنت سأبتسم من الحرج أم سأنظر بعيداً، لذلك اخترت تقليده، في انتظار أن ينظر بعيداً أولاً. لكنه لم يفعل. استمر في مراقبتي بصمتٍ لما تبقى من رحلة المصعد، وفعلتُ أنا الشيء نفسه بعناد. عندما وصلنا أخيراً إلى الطابق الأرضي، شعرت بالراحة لأنه خرج أولاً، لأنه يجب عليّ أن آخذ شهيقاً ملحوظاً جداً، مع الأخذ في الاعتبار أنني كنتُ أكتم أنفاسي منذ ستين ثانية على الأقل.

سألنا كاب بمجرد خروجنا من المصعد: «إلى أين تتجهون ثلاثكم؟»، قال كوربين: «البيت، سان دييجو». «هل لديك أي خطط لعيد الشكر؟» قال كاب: «سيكون يوماً مزدحماً بالرحلات الجوية». «أعتقد أنني سأكون هنا أعمل». غمز لي، فغمزت له قبل أن يحول انتباهه إلى مايلز.

«ماذا عنك أيها الصبي؟ هل ستتوجه إلى المنزل أيضاً». راقب مايلز كاب في صمت، بالطريقة نفسها التي كان يحدق بها في المصعد. لقد خيب هذا ظني كثيراً، لأنه في المصعد، كان لدي مقدار ضئيل من الأمل، في أنه كان يحدق بي، لأنه يشعر نحوي بالانجذاب الذي أشعر به عندما أكون في محيطه.

لكن الآن، وأنا أرى مبارزته البصرية مع كاب، صرتُ على يقين تقريباً، من أن هذه النظرة لا تعني أن مايلز ينجذب إلى شخص ما لمجرد أنه يحدق فيه بلا خجل. يبدو أن مايلز ينظر إلى الجميع بهذه الطريقة.

مرت خمس ثوانٍ صامتة ومحرجة للغاية، دون أن يتحدث أي منهما. ربما لا يحب مايلز أن يُشار إليه بـ«الصبي»؟. أخيراً، قال: «أتمنى لك عيد شكر سعيداً يا كاب»، دون أن يكلف نفسه عناء الإجابة عن سؤاله. ثم استدار ومشى في الردهة مع كوربين.

نظرتُ إلى كاب وقلت بهدوء وأنا أهز كتفي: «تمنّ لي التوفيق. يبدو أن السيد آرتشر يواجه يوماً سيئاً آخر».

ابتسم كاب. «لا»، قالها وهو يتراجع خطوة نحو كرسيه. «بعض الناس لا يحبون الأسئلة، هذا كل ما في الأمر». سقط على كرسيه. وألقى علي تحية الوداع، رددت التحية وسرت نحو المخرج. لا أستطيع معرفة إذا ما كان كاب قد غض الطرف عن سلوك مايلز اللفظ لأنه يحبه، أم لأنه اعتاد التماس الأعذار للجميع.

قال مايلز لكوربين عندما وصلنا إلى السيارة: «سأقود السيارة إلى هناك إذا أردت، أعلم أنك لم تنم بعد. يمكنك القيادة في طريق العودة غداً». وافق كوربين، وفتح مايلز الباب الجانبي للسائق. صعدت إلى المقعد الخلفي وأنا أحاول معرفة أين سأجلس. لا أعرف إذا كان ينبغي لي الجلوس خلف مايلز مباشرة، أم في المنتصف، أم خلف كوربين. فأنا أشعر به في أي

مكان أجلس فيه. إنه في كل مكان. كل شيء أصبح مايلز. هذا ما يحدث عندما ينجذب المرء إلى شخص ما. إنه ليس في أي مكان، ثم يُصبح فجأة في كل مكان، سواء أردت ذلك أم لا. هذا يجعلني أتساءل عما إذا كنت في أي مكان بالنسبة له، لكن الفكرة لا تدوم طويلاً. أستطيع أن أعرف متى ينجذب رجل إليّ، ومن المؤكد أن مايلز ليس من هؤلاء المنجذبين. ولهذا أحتاج إلى معرفة طريقة أوقف بها كل ما أشعر به عندما أكون في محيطه. آخر شيء أريده الآن هو الإعجاب السخيف بشاب وأنا لا أملك الوقت الكافي للمركيز على العمل والدراسة.

أخرجتُ كتاباً ورقياً من حقيبتي وبدأت في القراءة. أدار مايلز الراديو، وأرجع كوربين مقعده إلى الخلف ورفع قدميه وأسندها أمامه. وقال وهو يسحب قبعته ويضعها فوق عينيه: «لا توقظوني حتى نصل». ألقىتُ نظرة على مايلز، وهو يُعدّل وضع مرآة الرؤية الخلفية. استدار ونظر خلفنا ليخرج من المكان، وسألني عندما التقت عيناه بعيني للحظة: «هل أنت مرتاحة؟». لكنه عاد ونظر أمامه مرة أخرى وبدأ في قيادة السيارة قبل أن يحصل مني على إجابة، ثم نظر إليّ في مرآة الرؤية الخلفية.

أجبتُه وأنا أضع ابتسامة على وجهي: «نعم». لا أريده أن يعتقد أنني مستاءة من قدومه معنا، لكن من الصعب بالنسبة لي ألا أبدو متحفظة عندما يكون في الأرجاء. نظر أمامه مباشرة، ونظرت أنا إلى كتابي.

مرت ثلاثون دقيقة، لكن محاولتي القراءة أثناء حركة السيارة، كانت تؤلمني. وضعت الكتاب بجواري وعدلت جلستي في المقعد الخلفي. أسندت رأسي إلى الخلف ورفعت قدمي على المسند الموجود بين مايلز وكوربين. نظر مايلز إليّ في المرآة الخلفية. شعرت كما لو أن عينيه، يدان تتحسسان كل شبر من جسمي. يحرق لمدة لا تزيد على ثانيتين، ثم ينظر إلى الطريق مرة أخرى. أكره ذلك. ليس لدي أي فكرة عما يجول في رأسه. لا يبتسم أبداً. لا يضحك أبداً. لا يغالمني. يبدو وكأن على وجهه درعاً واقياً، يخفي قسمات وجهه عن بقية العالم.

لطالما كنت مغرمةً بالرجال الهادئين. وذلك لأن أغلب الرجال كثيري الكلام، والإنصات إلى كل فكرة تجوب رؤوسهم، أمر مُزعج. ومع ذلك، يجعلني مايلز أتمنى لو أنه على عكس

النوع الهادئ. أريد أن أعرف كل الأفكار التي تجول في رأسه. وخاصة تلك الفكرة الموجودة الآن، والتي تختبئ وراء هذا التعبير الصلب الذي لا يتزعزع.

ما زلت أهدق به في المرأة الخلفية، وأحاول أن أفهمه عندما ينظر إليّ مرة أخرى. خفضت نظري إلى هاتفي وأنا أشعر قليلاً بالحرَج لأنه ضبطني متلبسة وأنا أهدق إليه. لكن هذه المرأة تشبه المغناطيس، وتجذب عيني إليها مرة بعد أخرى. وفي اللحظة التي أنظر فيها إلى المرأة، ينظر هو أيضاً.

لقد نظر إلى الورا.

اللعنة.

هذه الرحلة تكاد أن تكون أطول رحلة في حياتي كلها.

انتظرت ثلاث دقائق قبل أن أرفع نظري مرة أخرى.

اللعنة.

إنه يبادلني النظر.

ابتسمت، مستمتعةً بهذه اللعبة التي نلعبها.

ابتسم أيضاً.

هو.

أيضاً.

يبتسم.

يعيد النظر إلى الطريق، لكن ابتسامته تبقى لعدة ثوان. أعرف ذلك، لأنني لا أستطيع التوقف عن النظر إليه. أريد التقاط صورة لهذه الابتسامة قبل أن تختفي مرة أخرى، لكن هذا سيكون غريباً.

يخفض ذراعه ليضعها على المسند، لكن قدمي تعترض طريقه. «أسفة». واستندت على يداي وبدأت في سحب قدمي. لكن أصابعه التفت حول قدمي الحافية، وأوقفتني: «هل أنت بخير؟» سألني ويداه لا تزال حول قدمي. أهدق به. اللعنة، لقد حرّك إبهامه. سحبت قدمي عن عمد فداعبتني يده مرة أخرى. ألصقت فخذتي ببعضهما ببعض، وحُشرت الأنفاس في

صدري، وتخشبَّت ساقي. ستصيبني اللعنة إن لم يُداعب قدمي مرة أخرى قبل أن أسحبها بعيداً.

عضضت على خدي من الداخل كي لا أبتسم.

أعتقد أنك منجذب إلي يا مايلز.

ما إن وصلنا إلى منزل أهلي، أوكل أبي إلى مايلز وكوربين مهمة تعليق أضواء عيد الميلاد. حملتُ أغراضنا إلى المنزل ومنحت كوربين ومايلز غرفتي، لأنها الوحيدة التي تحتوي على سريرين.

أخذت غرفة نوم كوربين القديمة، ثم توجهت إلى المطبخ لمساعدة أمي في إنهاء إعداد العشاء. لقد كان عيد الشكر دائماً ذا شأن في منزلنا. لم يكن أبي وأمي يحبان الاختيار بين أي عائلة من عائلتيهما سيقضيان معها عيد الشكر، كما أن أبي لم يكن في المنزل إلا نادراً، لأن العطلات هي أكثر أوقات الطيار ازدحاماً خلال العام. من هنا قررت أمي أن يكون عيد الشكر مخصصاً للأسرة الصغيرة فقط، لذا في عيد الشكر كل عام، أكون أنا وكوربين وأمي وأبي فقط عندما يكون في المنزل.

في العام الماضي، كنا أنا وأمي فقط، فقد كان أبي وكوربين يعملان. هذا العام، كلنا معاً. ومايلز.

وجوده هنا بهذه الطريقة أمر غريب. بدت أمي سعيدة بلقائه، لذا أظن أنها لم تمنع كثيراً في انضمامه إلينا. أبي يحب الجميع، وهو سعيد جداً بوجود شخص آخر يساعده في تعليق زينة عيد الميلاد، لذلك أعلم أن وجود شخص ثالث، أمر لا يزعجه على الإطلاق. مررت لي أمي وعاء البيض المسلوق. بدأت في تقشير البيض المحشو المُتبَّل، فانحنت أمي عبر الطاولة الموجودة في منتصف المطبخ وأراحت ذقنها على يديها. قالت وهي تقوس حاجبيها: «من المؤكد أن مايلز جذاب». اسمحوا لي أن أشرح شيئاً عن أمي. إنها أم عظيمة.

أم عظيمة حقاً. لكنني لم أشعر بالراحة أبداً في التحدث معها عن الرجال. بدأ الأمر عندما كنت في الثانية عشرة من عمري وأتتني الدورة الشهرية لأول مرة. كانت أمي متحمسة للغاية، لدرجة أنها اتصلت بثلاثة من صديقاتها لتخبرهن بذلك، حتى قبل أن تشرح لي ماذا كان

يحدث بحق الجحيم. لقد تعلمت في وقت مبكر جداً أن الأسرار ليست أسراراً بمجرد وصولها إلى أذني أمي.

أقول وأنا أكذب تماماً: «إنه ليس سيئ المظهر»، أنا أكذب تماماً، لأنه وسيم. شعره البني الذهبي مع تلك العيون الزرقاء الساحرة، وأكتافه العريضة، ومؤخرة عنقه التي تتماشى مع خطوط فكه الثابت، والرائحة الشهية التي تنبعث منه دائماً عندما يكون لديه إجازة من العمل، كما لو كان قد خرج للتو من الحمام ولم يجفف جسده بعد بالمنشفة. يا إلهي. من أنا بحق الجحيم الآن؟. «هل لديه حبيبة؟».

أهز كتفي: «أنا لا أعرفه حقاً يا أمي». آخذ الوعاء إلى الحوض وأضع الماء على البيض كي يساعد في تفكيك القشرة.

سألت في محاولة مني لتغيير الموضوع: «كيف يشعر أبي نحو التقاعد؟». . تبتسم أمي. ابتسامة العالم ببواطن الأمور، والتي أكرهها تماماً. أعتقد أنني لن أخبرها بأي شيء أبداً، لأنها أمي، وتعرف بالفعل. أحمر خجلاً، ثم أستدير وأكمل تقشير البيض اللعين.

الفصل الثامن

مايلز

قبل ست سنوات

«سأذهب إلى إيان الليلة». أخبرتُ أبي بذلك.

لكنه لا يهتم. إنه سيخرج مع ليزا. عقله مع ليزا.

كل شيء بالنسبة له أصبح ليزا. كان كل شيء لديه هو كارول. في بعض الأحيان كان كل شيء لديه هو كارول ومايلز. الآن ليزا أصبحت كل شيء بالنسبة له.

لا بأس، لأن كل شيء بالنسبة لي كان أبي و كارول. لكن ليس بعد الآن.

أرسلتُ إلى ريتشل رسالة نصية لمعرفة ما إذا كان يمكنها مقابلتي في مكان ما. تقول إن ليزا غادرت للتو لتأتي إلى منزلنا. تخبرني أنني أستطيع الذهاب إلى منزلها واصطحابها.

عندما وصلت هناك، لم أعرف إذا كان ينبغي لي الخروج من السيارة. لم أعرف إذا كانت تريد مني ذلك. خرجت. واتجهت نحو الباب وطرقته. لم أعرف ما الذي يجب علي قوله عندما فتحت الباب. جزء مني يريد أن يقول لها إنني آسف، ولم يكن عليّ تقبيلها. جزء آخر يريد أن يسألها مليون سؤال حتى أعرف كل شيء عنها. لكنني أريد تقبيلها مرة أخرى، خاصة بعد أن فُتح الباب الآن وصارت أمامي مباشرةً.

سألتني: «هل تريد أن تدخل لبعض الوقت؟ لن تعود أُمي قبل بضع ساعات على الأقل». أومئ بالإيجاب. أتساءل عما إذا كانت تحب إيماءتي بقدر ما أحب إيماءتها. تغلق الباب خلفي، وأنا أنظر حولي. شقتهما صغيرة. لم أعش قط في مكان بهذا الصغر. أعتقد أنني أحب ذلك. كلما كان المنزل أصغر، اضطرت الأسرة إلى حب بعضها بعضاً. ليس لديهما مساحة إضافية تسمح لهما بفعل أي شيء عدا حب بعضهم بعضاً. يجعلني هذا أتمنى أن نحصل أنا وأبي على مكان أصغر. مكان يضطرنا إلى التفاعل معاً. مكان نتوقف فيه عن التظاهر بأن أُمي لم تترك مساحة كبيرة فارغة في المنزل بعد وفاتها.

تتجه ريتشل نحو المطبخ. تسألني إذا كنت أريد أن أشرب شيئاً. أتبعها وأسألها عما لديها. تخبرني أن لديها كل شيء تقريباً عدا الحليب والشاي والصودا والقهوة والعصير والكحول. تقول ضاحكة: «آمل أن تحب الماء». أضحك معها: «الماء مثالي. لطالما كان اختياري الأول». تحضر لكل منا كوباً من الماء. نتكئ على الطاولة الخشبية المتقابلة. نحدق بعضنا ببعض. لم يكن عليّ تقبيلها ليلة أمس. «لم يكن ينبغي لي أن أقبلك يا ريتشل.» قالت لي: «لم يكن عليّ السماح لك بذلك».

نحدق بعضنا إلى بعض أكثر. أتساءل عما إذا كانت ستسمح لي بتقبيلها مرة أخرى. أتساءل عما إذا كان يجب عليّ المغادرة. أقول: «سيكون من السهل إيقاف هذا». أنا أكذب.

«لا، لن نتمكن من ذلك».

إنها تقول الحقيقة.

«هل تعتقدين أنهما سيتزوجان؟»

أومأت بالإيجاب. لسبب ما، لا أحب هذه الإيماءة بالقدر نفسه الذي أحب به إيماءاتها. لأنني لا أحب السؤال الذي تُجيب عنه هذه الإيماءة.

«مايلز؟»

تخفض نظرها إلى أسفل. تقول اسمي وكأنها بندقية تطلق طلقة تحذيرية كي أهرب. أنا أركض. «ماذا؟».

«لقد استأجرنا هذه الشقة لمدة شهر فقط. لقد سمعتها وهي تتحدث مع أبيك على الهاتف بالأمس». ترفع عينيها وتنظر في وجهي مرة أخرى.

«سنتقل للعيش معكم خلال أسبوعين».

أتجاوز العقبة.

إنها سنتقل للعيش معي.

سوف تعيش في منزلي.

ستملأ أمها جميع المساحات الفارغة التي خلّفتها أمي وراءها.

أغمض عيني. ما زلت أرى ريتشل.

أفتح عيوني. أحدق إلى ريتشل.

أستدير وأمسك بالطاولة الخشبية. تركت رأسي يسقط بين كتفائي. لا أعرف ما يتوجب علي فعله. لا أريد أن أحبها.

لا أريد أن أقع في حبك يا ريتشل. أنا لست غيباً. أنا أعرف ما الذي يمكن أن تفعله الرغبة. الرغبة تريد ما لا تستطيع الحصول عليه. الرغبة تريد مني أن أحصل على ريتشل. المنطق يريد ريتشل أن تذهب بعيداً.

أأخذ جانب المنطق، وألتفت لمواجهة ريتشل مرة أخرى. أخبرها «لا مستقبل لما بيننا. هذا الشيء بيننا. لن ينتهي نهاية جيدة».

تجيب هامسة: «أعلم».

أسألها: «كيف نوقف ذلك؟»

تنظر إلي، على أمل أن أجيب عن سؤالها.

لا أستطيع.

صمت.

صمت.

صمت.

صمت عالٍ يصم الآذان.

أريد أن أغطي أذني بيدي.

أريد أن أغطي قلبي بدرع واقٍ.

أنا حتى لا أعرفك يا ريتشل.

«يجب أن أغادر».

تقول لي حسناً.

أهمس: «لا أستطيع».

تقول لي حسناً.

نحدق بعضنا إلى بعض.

ربما إذا حدقت إليها بما يكفي، فسوف أتعب من التحديق إليها. أريد أن أتذوقها مرة أخرى.

ربما إذا تذوقتها بما فيه الكفاية، سأتعب من تذوقها.
لا تنتظر مني أن أصل إليها. تقابلني في منتصف المسافة.
أمسكتُ بوجهها وأمسكت بذراعي، واصطدم شعورنا بالذنب عندما تلاقت شفاهنا. نحن نكذب على أنفسنا بشأن الحقيقة.
نقول لأنفسنا إننا حصلنا على هذا... بينما في الحقيقة نحن لا نملك أي شيء على الإطلاق.

بشرتي تبدو أفضل عندما تلمسها. شعري يبدو أفضل ويديها تتخلله. فمي يصبح أفضل ولسانها بداخله.

أتمنى لو نستطيع التنفس بهذا الشكل.
أن نعيش بهذا الشكل. ستكون الحياة أفضل معها.
ظهرها مسنود على الثلاجة. ويدي تحيط برأسها. أبتعد وأنظر إليها.
أقول: «أريد أن أطرح عليك مليون سؤال».
تضحك. «أعتقد أنه من الأفضل أن تبدأ».
«أين الكلية التي ستذهبن إليها؟»
تقول: «ميشيجان. ماذا عنك؟».

«سأبقى هنا للحصول على درجة البكالوريا، ثم سأذهب أنا وصديقي المقرب إيان، إلى مدرسة الطيران. أريد أن أصبح طياراً. ماذا تريد أن تكوني؟».

تقولها بابتسامة: «سعيدة».

هذه هي الإجابة المثالية.

أسألها «متى يحين عيد ميلادك؟».

تقول: «في الثالث من يناير. سأبلغ الثامنة عشرة. ماذا عنك؟».

أخبرها: «غداً، سأبلغ الثامنة عشرة».

لم تُصدّق أن عيد ميلادي غداً. أظهرت لها هويتي. قالت عيد ميلاد مبكر سعيد. وقبلتني مرة أخرى.

أسألها: «ماذا سيحدث لو تزوجا؟».

«لن يوافقا أبداً على أن نكون معاً، حتى لو لم يتزوجا».

إنها محقة. سيكون من الصعب شرح ذلك لأصدقائهما. من الصعب أن يشرحا ذلك لبقية أفراد الأسرة.

أسألها: «ما الفائدة إذاً من الاستمرار في هذا إذا كنا نعلم أن الأمر لن ينتهي جيداً؟».

«لأننا لا نعرف كيف نتوقف». إنها محقة.

«أنتِ ذاهبة إلى ميشيجان بعد سبعة أشهر، وسأبقى هنا في سان فرانسيسكو. ربما هذا هو

الجواب».

أومأت بالموافقة: «سبعة أشهر؟»

أهز رأسي بالإيجاب. ألمس شفتيها بإصبعي، لأن شفتيها من نوع الشفاه التي تحتاج إلى التقدير، حتى عندما لا يتم تقبيلها.

«إذاً نحن معاً لمدة سبعة أشهر. ولن نخبر أحداً. ثم...»، أتوقف عن الحديث، لأنني لا

أعرف كيف أقول الكلمات «سنفترق».

همست: «ثم نفترق».

أكرر: «ثم نفترق».

أومأت برأسها، وصار يمكن بالفعل سماع دقات بدء العد التنازلي.

أقبلها، وأشعر بتحسن الآن بعد أن أصبح لدينا خطة.

«لقد وضعنا خطة يا ريتشل».

تبتسم بالموافقة: «لقد فعلنا ذلك يا مايلز».

أمنح شفتيها التقدير الذي تستحقه.

سأحبك لمدة سبعة أشهر يا ريتشل.

الفصل التاسع

تايت

يصيح كوربين وهو يدخل إلى المطبخ ومن خلفه مايلز: «أيتها الممرضة!». تنحى كوربين جانباً وأشار نحو مايلز. يده مغطاة بالدماء. إنه ينزف. ينظر مايلز إلي وكأنه من المفترض أن أعرف ما يجب علي فعله.

هذه ليست غرفة الطوارئ. هذا مطبخ أمي، قال مايلز وهو يمسك معصمه بقوة: «نريد بعض المساعدة هنا؟». دماؤه تقطر في أنحاء الأرض. أنادي: «أمي! أين مجموعة الإسعافات الأولية الخاصة بك؟» أفتح الخزانات وأحاول العثور عليها. تجيبي بصوت عالٍ: «بالحمام في الطابق السفلي! تحت حوض الغسيل!».

أشرتُ نداء الحمام، وتبعني مايلز. فتحت الخزانة وأخرجت الحقيبة. أغلقتُ غطاء المرحاض، وأشرت لمايلز أن يجلس، ثم جلست على حافة الحوض وسحبت يده نحوي أسأل وأنا أنظف الجرح وأتفحصه. إنه غائر، في منتصف كفه مباشرة: «ما الذي فعلته؟».

«أمسكت السلم. كان يسقط». هزرت رأسي: «كان عليك أن تتركه يسقط».

«لم أستطع. كان كوربين واقفاً عليه»، نظرت إليه، وهو يراقبني بعينه الزرقاوين الحادثين بطريقة متناقضة. خفضتُ عيني ونظرت إلى يده: «جرحك بحاجة إلى تقطيب».

«هل أنت متأكدة؟»

«نعم، يمكنني أن أقلك إلى غرفة الطوارئ».

«ألا يمكنك تقطيب الجرح هنا؟».

هزرتُ رأسي بالنفي: «ليس لدي الأدوات المناسبة. أحتاج إلى خيوط جراحية. إنه غائر جداً».

يستخدم يده الأخرى لفحص مجموعة الإسعافات الأولية. يسحب بكرة من الخيط ويسلمها لي: «افعلي كل ما في وسعك».

«ليس الأمر وكأنني أخيط زراً لعيناً يا مايلز».

«لن أقضي اليوم كله في غرفة الطوارئ من أجل جرح. افعلي فقط ما تستطيعين. سأكون بخير».

أنا أيضًا لا أريده أن يقضي اليوم في غرفة الطوارئ. فهذا يعني أنه لن يكون هنا. «إذا تلوث الجرح ومُت، فأنا غير مسؤولة عن ذلك».

«إذا أصبت بعدوى ومُت، فسأكون ميتًا جدًّا، لدرجة لا أستطيع معها إلقاء اللوم عليك».

«وجهة نظر سديدة». أبدأ في تنظيف جرحه مرة أخرى، ثم أخذت الإمدادات التي سأحتاج إليها ووضعتها على المنضدة. لا أجد زاوية جيدة يُمكننا التمرکز فيها، لذا وقفت وأسندت ساقي على حافة حوض الاستحمام. ووضعت يده على ساقي.

وضعت يده على ساقي.

يا للجحيم.

لن ينجح هذا الأمر ويده مفرودة على ساقي. إذا أردتُ أن تظل يدي هادئة وثابتة وأنا أخط الجرح، فسأحتاج إلى وضعية أخرى. أخبرته وأنا ألتف وأواجهه: «هذا لن يفلح». أمسكت يده وأرحتها على المنضدة، ثم وقفت أمامه مباشرة. الوضع الآخر كان أفضل، لكن لا يمكنني أن أحتمل لمستته لساقي وأنا أخط الجرح.

أقول محذرة: «إنه سيؤلمك». يضحك وكأنه يعرف الألم جيدًا، وما سيحدث ليس ألمًا بالنسبة له. أثقب جلده بالإبرة، دون أن يجفل بعينه!

إنه لا يُصدر صوتًا. يراقبني بهدوء تام وأنا أعمل. بين الحين والآخر، يرفع عينه عن يدي التي تخطط جرحه، وينظر إلى وجهي. لا نتحدث، كما هو الحال دائمًا. أحاول أن أتجاهله وأصب تركيزي على يده والجرح، وكيف أنه بحاجة ماسة إلى التقطيب، لكن وجوهنا قريبة جدًّا، وأستطيع أن أشعر بأنفاسه على خدي في كل مرة يزفر فيها. وهو يفعل ذلك كثيرًا.

أخبره بهمس هادئ. مندهشة من أين ذهب صوتي: «ستكون لديك ندبة».

دفعت الإبرة للمرة الرابعة. أعلم كم هذا مؤلم، لكنه لا يُظهر ذلك. في كل مرة أخطرق جلده، أمتنع نفسي من أن أجفل نيابةً عنه. يجب أن أركّز على الجرح، لكن الشيء الوحيد الذي يمكنني الشعور به هو أن ركبتينا متلامستان. يده الأخرى مستقرة فوق ركبته. وإحدى أطراف أصابعه تلمس ركبتي. ليس لدي أي فكرة عما يمكن أن يحدث الآن، لكن كل ما يمكنني

التركيز عليه هو طرف ذلك الإصبع. أشعر بحرارة كما لو أن مكواة ساخنة تلامس بنطالي الجينز الآن.

ها هو مصاب بجرح خطير، والدماء تقطر من المنشفة الموجودة أسفل يده، وإبرتي تخترق جلده، وكل ما يمكنني التركيز عليه هو ذلك التلامس الطفيف بين ركبتي وإصبعه. والذي يجعلني أتساءل كيف ستكون تلك اللمسة إذا لم يكن هناك أي عازل من الملابس بيننا. أغلقت عيني لمدة ثانيتين، ثم نظرت بسرعة إلى عيني. إنه لا ينظر إلى يده إطلاقاً الآن. إنه يحرق بي، وأنا أبذل قصارى جهدي لتجاهل الطريقة التي تتقطع بها أنفاسه. لا أستطيع معرفة ما إذا كان تنفسه قد أصبح متسارعاً بسبب مدى قربي منه، أم لأنني أؤذيه. اثنان من أطراف أصابعه يلامسان ركبتي.

ثلاثة.

أخذ نفساً عميقاً مرة أخرى وأحاول التركيز على إنهاء الغرز. لا أستطيع.

لمساته صارت متعمدة. هذه اللمسة ليست حركة عفوية عرضية. إنه يلمسني لأنه يريد أن يلمسني. تحيط أصابعه بركبتي، وتنزلق يده إلى الجزء الخلفي من ساقِي. يضع جبهته على كتفي وهو يتنهد، ويضغط على ساقِي بيده.

ليس لدي أي فكرة كيف لا زلت واقفة على قدمي.

همس قائلاً: «تاييت»، ينطق اسمي بالألم، فأتوقف عما أفعله وأنتظر أن يخبرني أن هذا يؤلمه. أنتظر أن يطلب مني أن أعطيه دقيقة. وأنه يلمسني لهذا السبب، أليس كذلك؟ لأنني أسبب له الألم؟

لم يتحدث مرة أخرى، فأنهيت الغرزة الأخيرة وعقدت الخيط.

«لقد انتهينا»، قلت ذلك وأنا أعيد الأدوات إلى المنضدة. لكنه لا يطلق سراحِي، لذا لا أترجع.

بدأت يده تنزلق ببطء إلى الجزء الخلفي من ساقِي، نحو أعلى الفخذ، حول فخذي وحتى خصري.

تنفسي يا تاييت.

قبضتُ أصابعه على خصري، وسحبني نحوه، ورأسه لا يزال يضغط علي كتفي. وضعت يدي على كتفيه، كي لا أتهاوى. فمن الواضح أن كل عضلة في جسدي نسيت بطريقة ما، كيف تعمل.

ما زلت واقفة، وهو لا يزال جالساً، لكنني صرتُ الآن واقفة بين ساقيه بعد أن جذبني قريباً جداً منه. رفع وجهه ببطء عن كتفي لينظر إلي. أغمضت عيني على الفور، لأنه يجعلني متوترة للغاية ولا أستطيع أن أبادله النظر.

أشعر به وهو يرفع وجهه لأعلى كي ينظر إلي، لكن عيني لا تزال مغلقة. بل أغمضهما بإحكام أكبر. لا أعرف لماذا. لا أعرف أي شيء الآن. أنا فقط أعرف مايلز. وأعتقد أن مايلز يريد تقبيلي الآن.

أنا متأكدة جداً من أنني أيضاً أريد تقبيل مايلز.

كانت يده تسير ببطء على ظهري وصولاً إلى مؤخرة عنقي. أشعر وكأن يده تركت علامات على كل جزء لمسسه في جسدي. أصابعه عند مؤخرة عنقي، وفمه لا يبتعد أكثر من نصف بوصة عن فكي. قريب جداً لدرجة لا أستطيع التمييز، هل ما أشعر به على بشرتي؛ شفثيه أم أنفاسه؟

أشعر وكأنني على وشك الموت، ولا يوجد في حقيبة الإسعافات الأولية ما يمكنه إنقاذي. يُحكّم قبضته على عنقي.. ثم يقتلني. أو يقبّلني.

لا أستطيع أن أقول ذلك، لأنني متأكدة أن كليهما سواء. هذا الإحساس وشفثاه في شفثي؛ مثل الحياة والموت والولادة من جديد، كل ذلك في الوقت ذاته. يا إلهي. إنه يُقبّلني.

لسانه داخل فمي، ويداعبه بلطف، وأنا لا أتذكر حتى كيف حدث ذلك. لكنني بخير، رغم ذلك. أنا بخير جداً.

بدأ بالوقوف، لكن شفثيه لم تبتعد عن شفثي. حرّكني معه بضعة أقدام حتى أسندَ ظهري على الجدار خلفي، وحرّر يده التي كانت على مؤخرة عنقي. يداه الآن، تتلمس خصري.

يا إلهي، فمه مُتَمَكِّك للغاية.
كانت أصابعه تضغط بشدة على فخذي.
يا للجحيم المستعر، لقد تأوه حالاً.
تركت يده خصري وانزلت إلى ساقِي.
اقتلني الآن. فقط اقتلني.
رفع ساقِي ولفَّهما حول خصره، وضغط عليَّ أكثر بلطف.
تأوهت في فمه.
فجأة تتوقف القبلة.
لماذا ينسحب بعيداً؟ لا تتوقف يا مايلز.
يُحرر ساقِي، ويضرب كفه بالجدار جانب رأسي وكأنه يحتاج إلى دعم كي لا يتهاوى.
لا لا لا. استمر. ضع شفتيك مرة أخرى على فمي.
أحاول أن أنظر إلى عينيه مرة أخرى، لكنها مغلقة.
لا بد أنه يشعر بالندم على ما حدث.
لا تفتح عيونك يا مايلز. لا أريد أن أراك وأنت نادم على هذا.
ضغط جبهته على الحائط بجانب رأسي، وهو لا يزال متكئاً علي، بينما نقف هادئين،
نحاول معاودة التقاط الأنفاس.
بعد عدة أنفاس عميقة، دفع الحائط، واستدار، واتجه نحو المنضدة. لحسن الحظ، لم أر
عينيه قبل أن يفتحهما، والآن ظهره لي، لذا لا أستطيع رؤية الندم الذي يشعر به بوضوح.
يلتقط المقص الطبي ويقطع لفافة من الشاش.
أنا مثبتة على الجدار. وأعتقد أنني سأبقى هنا إلى الأبد.
أنا في الخلفية الآن. هذا كل شيء. هذا كل ما أنا عليه.
«لم يكن علي أن أفعل ذلك». يقولها بصوت حازم. صلب. مثل المعدن.
مثل السيف.
أخبره: «أنا لم أمانع». صوتي ليس ثابتاً. إنه يُشبه السائل. صوتي يتبخر.
يضمّد يده المصابة، ثم يستدير ويواجهني.

عيناه حازمتان مثل صوته. صلبة، مثل المعدن. مثل سيوف تقطع الجبال التي تعلّق بها الأمل الصغير الذي حملته هذه القبلة لي وله.

«لا تدعيني أفعل ذلك مرة أخرى».

أريده أن يفعل ذلك مرة أخرى، أكثر مما أريد عشاء عيد الشكر، لكنني لا أخبره بذلك. لا أستطيع أن أتكلم، لأن ندمه تجمّع وصار غصّة في حلقي. فتح باب الحمام وغادر. وأنا ما زلت ملتصقة بالجدار.

ما

هذا

بحق الجحيم؟

لم أعد ملتصقةً بجدار الحمام.

أنا الآن ملتصقة بمقعدي، جالسةً بطريقة مريحة على مائدة العشاء بجوار مايلز.

مايلز، الذي لم أتحدث إليه منذ أن أشار إلى نفسه أو إلينا أو قبلتنا بكلمة «ذلك».

لا تدعيني أفعل «ذلك» مرة أخرى. لن أستطع إيقافه حتى إذا أردت. أريد «ذلك» كثيرًا حتى أنني لا أريد أن أكل، وهو على الأرجح لا يعلم كم أحب طعام عيد الشكر.

ما يعني أنني أريد «ذلك» كثيرًا، و«ذلك» لا يعود إلى طبق الطعام الموجود أمامي. «ذلك» هو مايلز. كلانا. أنا أقبل مايلز. ومايلز يُقبّلني. فجأة شعرت بالعطش الشديد. أمسكت بكأسي وتجرعت نصف الماء على ثلاث جرعات كبيرة.

تسأله أمي: «هل لديك حبيبة يا مايلز؟»، نعم أمي. استمري في طرح هذه النوع من الأسئلة عليه، لأنني لا أستطيع أن أطرحها بنفسني.

يجلي مايلز حلقة ويقول: «لا يا سيدتي».

يصدر عن كوربين ضحكة مكتومة، مما يثير في صدري سحابة من خيبة الأمل. من الواضح أن مايلز يتفق مع وجهة نظر كوربين حول العلاقات، لدرجة أن كوربين يجد من المضحك أن يفترض أمي أنه قادر على الالتزام.

فجأة يُصبح تأثير القبلة التي تبادلناها سابقًا، أقل بكثير.

تقول: «حسناً، أنت إذن صيد ثمين؟ طيار، أعزب، وسيم، مهذب». لا يجيب عليها مايلز. يبتسم بخفة ويضع قفصة من البطاطا في فمه. لا يريد أن يتحدث عن نفسه. هذا سيئ للغاية. قال كوربين مؤكداً شكوكي: «لم يكن لدى مايلز حبيبة منذ فترة طويلة يا أمي. لكن هذا لا يعني أنه أعزب».

ترتبك أمي وتهز رأسها. وكذلك أفعل أنا ومايلز، تقول أمي: «ماذا تقصد؟»، ثم تتسع عيناها فوراً.

«أوه! أنا آسفة جداً. هذا ما أحصل عليه عندما يتمكن الفضول مني». تقول الجزء الأخير من جملتها كما لو أنها أدركت للتو شيئاً لم ألتقطه بعد.

إنها مُخرجة وتعتذر لمايلز الآن.

ما زلتُ مرتبكة ولم أفهم.

يسأل أبي: «هل فاتني شيء؟» .

تشير أمي بشوكتها نحو مايلز. تقول: «إنه مثلي الجنس يا عزيزي».

هممم...

يقول أبي بحزم، وهو يضحك من افتراضها: «لا، إنه ليس كذلك».

أهز رأسي موافقة على تعليق أبي. لا تهزي رأسك يا تاي.

«مايلز ليس مثلياً»، قلت ذلك بطريقة دفاعية وأنا أنظر إلى أمي.

لماذا قلتُ ذلك بصوت عالٍ؟

الآن يبدو كوربين مرتبكاً. ينظر إلى مايلز. ثم أشار بملعقته الفارغة في الهواء أمام مايلز، مُحدِّقاً فيه وحاجبه مرفوع.

يقول كوربين: «يا إلهي، لم أكن أعلم أنه سر. أنا آسف جداً يا صديقي».

يخفض مايلز ملعقته المملوءة بالبطاطا المهروسة ويضعها في طبقه، وهو لا يزال ينظر إلى

كوربين بنظرة حائرة. «لستُ مثلياً».

أوماً كوربين ورفع كفيه وتفوه قائلاً: «أنا آسف»، وكأنه لم يقصد الكشف عن مثل هذا

السر الكبير.

هز مايلز رأسه. «كوريين. أنا لست مثلياً. لم أكن أبداً ومتأكد تماماً من أنني لن أكون. ماذا دهاك بحق الجحيم يا رجل؟»

كوريين ومايلز يحدقان بعضهما إلى بعض، وكلنا ننظر إلى مايلز. يتلعثم كوريين: «لـ لكن، لقد قلت... لقد أخبرتني مرة...» يُسقط مايلز ملعقته ويغطي فمه بيده ويحاول كتم ضحكته العالية. يا إلهي، مايلز. يضحك.

إضحك، إضحك، إضحك. من فضلك فكر في أطرف شيء حدث على الإطلاق وضحك منه، لأن ضحكك أفضل بكثير من عشاء عيد الشكر.

«ما الشيء الذي قلته لك وجعلك تعتقد أنني مثلي؟»

يعتدل كوريين في جلسته: «لا أتذكر بالضبط. لقد قلت شيئاً عن عدم ارتباطك بفتاة منذ أكثر من ثلاث سنوات. اعتقدت أن هذه هي طريقتك لإخباري أنك مثلي الجنس.»

الجميع يضحك الآن. حتى أنا.

«كان ذلك منذ أكثر من ثلاث سنوات! هل كنت تعتقد طوال هذا الوقت أنني مثلي؟»

يبدو على كوريين الحيرة. «لكن...»

دموع. تنساب دموع مايلز من شدة الضحك.

ضحكته جميلة.

أشعر بالشفقة على كوريين. إنه محرَج نوعاً ما. أنا أحب الطريقة التي يعتقد بها مايلز أن الأمر مضحك. يعجبني أنه لم يُحرجه.

يقول أبي: «ثلاث سنوات؟»، لا أزال عالقة في الفكرة نفسها. يقول كوريين وهو يتبادل الضحك أخيراً مع مايلز: «كان ذلك قبل ثلاث سنوات.»

«ربما أصبحت ستة الآن.»

يُخيم الهدوء على الجميع. وهذا يحرج مايلز.

أستعيد تلك القبلة التي تبادلناها في الحمام سابقاً، وكيف أنني أعرف تماماً، أنه لم يمر ست سنوات منذ أن كان مع فتاة. رجل ذو فم متملك مثل ذلك الشخص يعرف كيف يستخدمه، وأنا واثقة من أنه استخدم هذا الفم كثيراً.

لا أريد أن أفكر في هذا الأمر.

لا أريد أن تفكر عائلتي في هذا الأمر.

قلت وأنا أنظر إلى الدماء الموجودة على الشاش المملفوف حول يده: «يدك تنزف مرة أخرى». أنتقل إلى أمي: «هل لديك هذا النوع من الضمادات السائلة؟»
تقول: «لا. هذه الأشياء تخيفني».

أنظر إلى مايلز. وأقول: «بعد أن نأكل، سأفحص الجرح». أو ما مايلز موافقاً دون أن ينظر إليّ أبداً. تسألني أمي عن العمل، ولم يعد مايلز مركز الاهتمام. أعتقد أن هذا يُشعره بالراحة.

أطفأت الضوء وزحفت إلى السرير، لست متأكدة مما سأفعله اليوم. لم نتحدث مرة أخرى إطلاقاً بعد العشاء، مع أنني أمضيت عشر دقائق وأنا أعيد تضميد جرحه في غرفة المعيشة. لم نتحدث خلالها. لم تتلامس أرجلنا. إصبعه لم يلمس ركبتي. ولم ينظر إليّ حتى. كان نظره مثبتاً على يده طوال الوقت، كما لو أنها ستسقط إذا أشاح بعيداً بنظره. لا أعرف هل أفكر في مايلز أو في تلك القبلة. من الواضح أنه منجذب إليّ، وإلا لما قبلني. للأسف، هذا كافٍ بالنسبة لي. أنا لست مهتمة بأن يُعجب بي. أريده فقط أن ينجذب إليّ، لأن الإعجاب قد يأتي لاحقاً.

أغمض عيني وأحاول النوم للمرة الخامسة، لكن بلا جدوى. استدرت للنوم على جانبي في مواجهة باب الغرفة في الوقت الذي اقترب فيه ظلُّ قدم شخص ما من الباب. راقبت الباب في انتظار أن يُفتح، لكن الظل اختفى، وابتعدت الخطوات في الردهة. أنا شبه متأكدة من أن هذا مايلز، أو ربما لأنه الشخص الوحيد الذي يحتل تفكيري الآن.

بدأت في التركيز على أنفاسي في محاولة لتهدئة أفكاري وحسم إذا ما كنتُ سألحق به أم لا. لكن ما إن وصلت إلى دورة التنفس الثالثة، حتى كنت أقفز من السرير. فكّرت في تنظيف أسناني مرة أخرى، لكن لم يمض سوى عشرين دقيقة منذ آخر مرة نظّفت فيها أسناني. تحققت من شعري في المرأة، ثم فتحتُ باب غرفة نومي ومشيت بكل ما استطعت من هدوء إلى المطبخ. عندما وصلت إلى الزاوية، رأيت. رأيت تماماً. كان متكئاً على الطاولة المرتفعة، في مواجهتي، كما لو أنه كان يتوقع مجيئي. يا إلهي، كم أكره ذلك.

تظاهرت بأن وجودنا هنا في الوقت ذاته، مجرد صدفة، مع أننا في منتصف الليل.
«هل تجد صعوبة في النوم؟» تجاوزته واتجهت نحو الثلاجة، وتناولت عصير البرتقال.
سكبتُ لِنفسي كأسًا، ثم اتكأت على المنضدة المقابلة له. إنه يراقبني، لكنه لم يجب عن
سؤالي.

«هل تسير أثناء النوم؟»

ابتسم، وهو يتفحصني من الرأس إلى أخمص قدمي ببطء شديد، وكأنه يمتصني بعينه.
قال باستمتاع: «أنتِ حقًا تحبين عصير البرتقال». نظرت إلى كأسِي ثم عاودتُ النظر إليه
وهززتُ كتفي. اتجه نحوي ومد يده لالتقاط الكأس مني. ناولته إياه، فوضعه على شفتيه،
وارتشف منه ببطء، ثم أعاده إليّ. فعل كل هذا دون أن يشيح بنظره عني.
حسنًا، أنا بالتأكيد أحب عصير البرتقال الآن.

قال: «وأنا أحبه أيضًا»، مع أنني لم أجب عن سؤاله أبدًا.
وضعت الكأس بجانبني، وأمسكت بحواف المنضدة، ورفعت نفسي لأعلى كي أجلس
عليها. تظاهرت بأنه لا يغزو كياني كله، لكنه لا يزال في كل مكان. يملأ المطبخ.
يملأ المنزل بأكمله.

كان السكون يُخيم على ما بيننا، فقررت أن أقوم بالخطوة الأولى.
«هل حقًا مرت ست سنوات منذ أن كان لديك حبيبة؟». أومأ برأسه دون تردد. كنت
مصدومة وسعيدة للغاية في آن واحد بهذه الإجابة. لست متأكدة لماذا يُعجبني هذا الرد.
أعتقد أن هذا أفضل بكثير مما كنت أتخيل كيف هي حياته.
«مُدْهش. لكنك على الأقل...» لا أعرف كيف أتفوه بهذه الجملة.

يتدخل ويكمل السؤال نيابةً عني: «مارستُ الجنس؟»، كم أنا سعيدة لأن الضوء الوحيد
المشتعل الآن هو المصباح الموجود فوق الموقد، لأنني أحمر خجلًا تمامًا الآن.
قال: «لا يريد الجميع الأشياء نفسها من الحياة». صوته ناعم، مثل وسائد ريش النعام.
أريد أن أتدثر به، وأدفن نفسي في هذا الصوت. أقول: «الجميع يريد الحب. أو على الأقل
ممارسة الجنس. إنها الطبيعة البشرية».
لا أصدق أننا نجري هذه المحادثة.

يعقد ذراعيه على صدره. وتتقاطع قدميه عند الكاحلين. ألاحظ أن هذه الوضعية مثل مثل درع يسدله على نفسه للاحتماء. إنه يضع درعه غير المرئي مرة أخرى، يحمي نفسه من الانفتاح لي كثيراً.

يقول: «لا يتمكن معظم الناس من الحصول على أحدهما دون الآخر. لذا كان من الأسهل عليّ التخلي عن كليهما».

إنه يدرسني، ويقيس ردة فعلي على كلماته. أبذل قصارى جهدي كي لا أمنحه أي ردة فعل: «أيهما إذن ما لا تريد يا ما يلز؟» أقولها بصوت ضعيف يسبب لي الحرج: «الحب أم الجنس؟»

عيناه ثابتتان كما هما، لكن تعابير فمه تتغير. شفثيه تتجعد لترسم شبح ابتسامة: «أعتقد أنك تعرفين الإجابة عن ذلك بالفعل يا تاي».

رائع. زفرت، دون أن أهتم إذا كان يعرف تأثير هذه الكلمات في نفسي. الطريقة التي ينطق بها اسمي تجعلني أشعر بالارتباك كما فعلت قبّلتها. عقدت ساقَيَّ عند الركبتين، على أمل ألا يلاحظ أن هذه الحركة هي درع حمايتي.

خفض نظره إلى ساقِي، وشاهدته وهو يأخذ نفسه بهدوء. ست سنوات. أمر لا يُصدق.

خفضت نظري أنا الأخرى. أريد أن أطرح عليه سؤالاً آخر، لكنني لا أستطيع النظر في عينيه وأنا أسأل: «كم مضى من الوقت منذ أن قبّلت فتاة؟» يجيب دون تردد: «ثمانى ساعات». أرفع عيني إليه فيبتسم لأنه يعرف ما الذي أسأل عنه: «الفترة نفسها» يقول بهدوء. «ست سنوات».

لا أعرف ما الذي اعتراني، لكن شيئاً ما تغير. شيئاً ما يتهاوى. شيء صلب أو بارد أو ربما أن الدرع الشخصي الذي يغطيني، أصبح الآن سائلاً، بعد أن أدركت ما الذي تعنيه حقاً هذه القبلية. أشعر أنني مجرد سائل، والسوائل لا تستطيع الوقوف أو المشي بعيداً، لذا لا أتحرك، أسأل بعدم تصديق: «هل تمزح معي؟». أعتقد أنه من يحمر خجلاً الآن.

أشعر بالارتباك الشديد. لا أفهم كيف أخطأت في تصنيفه أو كيف يكون ما يقوله ممكناً. إنه حسن المظهر. لديه وظيفة رائعة. وبالتأكيد يعرف كيف يُقبَّل، فلماذا لم يفعل ذلك؟. سألته: «إذن، ما الذي يعيبك؟ هل تعاني من أمراض منقولة جنسياً؟» الممرضة التي بداخلي تطل برأسها. لا يمكنني الهرب منها.

يقول ضاحكاً: «سليم جداً». ومع ذلك، لا يُقدم لي أي تفسير.

«لو أن ست سنوات قد مرّت منذ أن قبّلت فتاة، فلماذا قبّلتني؟ لقد ظننت أنني لم أروق لك قط. من الصعب جداً معرفة ما يجول بخاطرك».

لم يسألني لماذا لدي انطباع بأنني لا أروق له. أعتقد الآن أن حقيقة كونه شخصاً مختلفاً عندما أكون في الأنحاء، أمر مقصود من جانبه.

تنهد بشدة وهو يمرر أصابعه في شعره، ويمسك مؤخرة عنقه: «ليس الأمر أنك لا تروقين لي يا تاي. أنا فقط لا أريد أن أُعجب بك. لا أريد أن أُعجب بأحد. لا أريد مواعدة أي شخص. لا أريد أن أحب أحداً. أنا فقط...» يطوي ذراعيه للخلف وينظر إلى الأرض.

أسأله وأحثه من أجل إنهاء هذه الجملة: «أنت ماذا؟». رفع نظره ببطء ونظر في عيني، فبدلت كل ما في وسعي كي أبقى جالسة على هذا المنضدة، وهو ينظر إلي بهذه الطريقة - وكأنني عشاء عيد شكر يرغب في تناوله.

يقول بصوت منخفض: «أنا منجذب إليك يا تاي. أريدك، لكن أريدك دون بقية الأشياء الأخرى».

يتوقف مخي عن العمل.

الدماغ = يصبح سائلاً.

القلب = يدوب مثل قالب الزبدة.

لكن لا يزال بإمكانني التنهد، وها أنا ذا أفعل.

أنتظر حتى يعود عقلي للعمل مرة أخرى. وأبدأ في التفكير.

لقد اعترف حالاً أنه يريد ممارسة الجنس معي؛ لكنه لا يريد أن يعني ذلك أي شيء. لا أعرف لماذا تُغريني هذه الفكرة بدلاً من أن أرغب في لكمه! لكن حقيقة أنه اختار تقبيلي بعد عدم تقبيله أي شخص لمدة ستة سنوات، تجعلني أبدو وكأنني فزت للتو بجائزة بوليتزر.

نحديق بعضنا في بعض مرة أخرى، ويبدو متوتراً بعض الشيء. أنا متأكدة من أنه يتساءل عما إذا كان قد أغضبني للتو. لا أريده أن يعتقد ذلك، لأنني أريد أن أصرخ بملء رئتي: «لقد فزت!».

ليس لدي أي فكرة ما الذي يجب عليه قوله. لقد أجرينا أغرب المحادثات وأكثرها حرجاً منذ أن التقيت به، وهذه المحادثة على رأس القائمة. أقول: «محادثاتنا غريبة جداً». يضحك بارتياح: «نعم».

كلمة «نعم» أجمل بكثير عندما تخرج من فمه، مصحوبة بهذا الصوت. ربما يستطيع أن يجعل أي كلمة جميلة. أحاول أن أفكر في كلمة أكرهها. أنا أكره نوعاً ما كلمة ثور. إنها كلمة قبيحة. قصيرة جداً ومقتضية. أتساءل عما إذا كان صوته يمكن أن يجعلني أحب هذه الكلمة. «قل كلمة ثور».

يرتفع حاجبه وكأنه يتساءل عما إذا كان قد سمعني جيداً. لا بد أنه يظنني غريبة الأطوار. لا أهتم.

أقول له: «فقط قل ذلك».

يقولها بتردد طفيف: «ثور».

أبتسم. أنا الآن أحب كلمة ثور. إنها كلمتي المفضلة الجديدة.

يقول مستمتعاً: «أنت غريبة جداً».

أفك عقدة ساقي، فيلاحظ ذلك: «إذن يا مايلز. دعني أرى ما إذا كنت قد فهمت الأمر بطريقة صحيحة. أنت لم تمارس الجنس منذ ست سنوات. لم يكن لديك حبيبة منذ ست سنوات. لم تُقبل فتاة منذ ثماني ساعات. ومن الواضح أن العلاقات لا تروق لك. وكذلك الحب. لكنك رجل. والرجال لديهم احتياجات».

يراقبني وهو مستمتع. «استمري» يقول ذلك بتلك الابتسامة المثيرة التي لا يتعمدها.

«أنت لا تريد أن تنجذب إلي، لكنك منجذب بالفعل. تريد أن تمارس الجنس معي، لكنك لا تريد مواعدي. لا تريد أن تحبني. ولا تريدني أن أحبك».

لا يزال يبتسم فمن الواضح أن كلامي مسلٌّ: «لم أكن أعرف أنني شفافاً لهذه الدرجة».

أنا لست شفافاً يا مايلز. ثق بي.

قلت ياغواء: «إذا قررنا الماضي قدماً في ذلك، أعتقد أننا يجب أن نأخذ الأمر بروية، لا أريد أن أدفعك لفعل شيء لست مستعداً له. أنت عملياً لا تزال بكرّاً».

تلاشت ابتسامته وخطى ثلاث خطوات نحوِي، ببطء متعمد. توقفت عن الابتسام، لأنه بدا مخيفاً للغاية. عندما وصل إلي، وضع يديه بجواري، ثم اقترب من رقبتِي وهمس: «لقد مرت ست سنوات يا تايِت. عندما أقول لكِ إنني جاهز.. صدقيني».

أصبحت هذه الكلمات، كلماتي المفضلة الجديدة أيضاً. صدقيني وأنا ومتى وأقول لكِ وأنتِ وأنا جاهز. كلها صارت الكلمات المفضلة لدي.

ابتعد وأنا أكتُم أنفاسي، وعاد إلي مكانه المقابل لي. هز رأسه وكأنه لا يصدق ما حدث للمتو: «لا أستطيع أن أصدق أنني طلبت منك ممارسة الجنس. أي نوع من الرجال يفعل ذلك؟».

أبتلع ريقِي: «كل الأنواع على الأغلب».

يضحك، لكن أستطيع أن أقول إنه يشعر بالذنب. ربما يخشى أنني لا أستطيع التعامل مع هذا. قد يكون على حق، لكنني لن أخبره بذلك. إذا كان يعتقد أنني لا أستطيع التعامل مع هذا، فسوف يتراجع عن كل ما يقوله. وإذا تراجع عن كل ما يقوله، فهذا يعني أنني لن أخوض مرة أخرى تجربة القبلة التي منحني إياها.

سأوافق على أي شيء إن كان هذا يعني أنه سيُقبلني مرة أخرى. لا سيما أن هذا يعني أنني سأختبر ما هو أكثر من مجرد قبلة. مجرد التفكير في الأمر يجعل حلقي جافاً. ألتقط كأسِي وأخذ رشفة أخرى بطيئة من العصير بينما تعتمل هذه الأفكار في رأسي. إنه يريد أن يمارس الجنس معي. أنا أفتقد الجنس نوعاً ما. لقد مر وقت طويل.

أعلم تماماً أنني منجذبة إليه ولا أستطيع التفكير في أي شخص آخر في حياتي، فأنا أفضل ممارسة جنس عرضي لا معنى له معه، بدلاً من الارتباط بجاري طيار الخطوط الجوية، ذي الملابس المهندمة.

وضعت كأس العصير في مكانه، ثم ضغطت بكفي على المنضدة ومِلت قليلاً إلى الأمام: «استمع لي يا مايلز. أنت أعزب. وأنا عزباء. أنت تعمل كثيراً، وأنا أركز على مسيرتي المهنية مرضية. حتى لو أردنا علاقة حقيقية، فلن تنجح أبداً. حياتنا لن تتوافق. نحن أيضاً

لسنا أصدقاء، لذلك لا داعي للقلق بشأن تخريب صداقتنا. هل تريد ممارسة الجنس معي؟
سأسمح لك بفعل ذلك. كثيراً».

إنه يراقب فمي وكأن كل كلماتي أصبحت كلماته المفضلة الجديدة. سألني: «كثيراً؟»
أومأت برأسي: «نعم. كثيراً».
نظر إلي نظرة تحدُّ: «حسناً» قالها بكل جراءة.
«حسناً».

لا نزال على مسافة عدة أقدام. لقد أخبرت هذا الرجل للتو أنني سأمارس الجنس معه دون
أي توقعات، ولا يزال واقفاً في مكانه وأنا هنا في محلي، ومن الواضح أنني قد أخطأت في
تصنيفه. إنه عصبي أكثر مني. مع أنني أعتقد أن أعصابنا تنبع من أماكن مختلفة في أجسادنا.
إنه متوتر لأنه لا يريد أن يتحول هذا الأمر إلى أي شيء.

أنا متوترة لأنني لست متأكدة من إمكانية ممارسة الجنس معه. بناءً على الطريقة التي
انجذبت بها إليه، لدي شعور قوي أن الجنس سيكون أقل مشكلاتنا. ومع ذلك، أجلس هنا،
متظاهراً أنه لا مانع لدي في ممارسة الجنس فقط.

ربما إذا بدأ الأمر بهذه الطريقة، سيتحول في نهاية المطاف إلى شيء أكبر.
«حسناً، لا يمكننا ممارسة الجنس الآن».

اللعنة.

«لم لا؟».

«لأن الواقي الذكري الوحيد الذي في محفظتي، قد تفتت».

أضحك. أنا أحب روح الدعابة التي تشوبها سخرية من الذات.

يقول بابتسامة مليئة بالأمل: «أريد أن أقبلك مرة أخرى».

أنا مندهشة حقاً أنه لا يُقبلني.

«بالتأكيد».

مشى عائداً ببطء إلى حيث أجلس، حتى أصبحت ركبتاي تحيطان خصره. أغوص في
عينيه، لأنهما ينظران إلي وكأنه ينتظر أن أُغير رأبي. لن أُغير رأبي. فأنا أريد هذا أكثر مما
يريد.

رفع يديه ليتخللا شعري، ومرر إبهامه على خدي. أخذ نفساً مُتَقَطَّعاً بينما عيناه على فمي:
«أنتِ تجعلين من التنفس أمراً صعباً للغاية».

قطع كلامه بقُبلة. واضعاً شفثيه على شفثي. كل جزء لم يكن قد ذاب بعد في حضوره،
أصبح الآن مجرد سائل مثل بقية جسدي. أحاول أن أتذكر متى حظيت بمثل هذا الشعور من
قبل. ينزلق لسانه عبر شفثي، ثم يغوص داخل فمي، يتذوقني، يملأني، يستحوذ علي.

أوه...

أنا.

أحب.

هذا.

الفم.

أميل برأسي حتى أتذوق المزيد منه. فيميل هو الآخر ليتذوق المزيد مني.

يملك لسانه ذاكرة قوية، إنه يعرف بالضبط كيف يفعل ذلك. يُريح يده المجروحة على
فخذي، بينما تُمسك يده الأخرى بمؤخرة رأسي، وتنسحق شفاهنا معاً. لم تعد يدي قابضة
على قميصه. إنها تستكشف ذراعيه ورقبته وظهره وشعره.

تأوهت بهدوء، فدفعه المواء إلى الضغط علي، وسحبي عدة بوصات أقرب إلى حافة
المنضدة.

«حسناً، أنت لست مثلياً بالتأكيد»، قالها أحدهم من خلفنا.

يا إلهي.

أبي.

أبي!

اللعنة.

تراجع مايلز بعيداً.

قفزتُ من فوق المنضدة.

سار أبي من جوارنا.

فتح الثلاجة وسحب زجاجة مياه، كما لو أنه معتاد على رؤية ضيف يتحسس جسد ابنته كل ليلة!

استدار وواجهنا، وهو يأخذ رشفة طويلة. عندما انتهى، أعاد غطاء الزجاجة ووضعها مرة أخرى في الثلاجة. أغلق الثلاجة وسار نحونا، ثم مرَّ بيننا تاركًا مساحة أكبر.

قالها وهو يخرج من المطبخ: «أذهبي إلى النوم يا تايث». غطيتُ فمي بيدي. بينما غطى مايلز وجهه بيديه. كلانا مذعور تمامًا. إنه مذعور أكثر مني، أنا متأكدة.

قال: «يجب أن نذهب للنوم».

اتفق معه.

نخرج من المطبخ دون تلامس. وصلنا إلى باب غرفة نومي، فتوقفت واستدرت لأواجهه. توقف هو أيضًا.

نظر إلى يساره، ثم إلى يمينه، للتأكد من أننا وحدنا في الردهة. ثم خطا خطوة إلى الأمام وسرق قبلة أخرى. ظهري مستند إلى باب غرفة نومي، لكنه قادر بطريقة ما على سحب شفثيه بعيداً عني.

سأل وهو يبحث في عيني عن الشك: «هل أنت متأكدة من أن كل شيء على ما يرام؟». لا أعرف إذا كان كل شيء على ما يرام. فهذا الشعور جيد، وهو ذو مذاق جيد، ولا أستطيع التفكير في أي شيء أريده أكثر من أن أكون معه. ومع ذلك، فإن أسباب امتناعه عن ممارسة الجنس لمدة ست سنوات تثير شكوكي.

أجبرت نفسي على الابتسام وقلت: «أنت كثير القلق. هل سيفيد لو وضعنا قواعد؟». درسني بهدوء ثم أخذ خطوة للوراء. وقال: «ربما. لا أستطيع أن أفكر إلا في قاعدتين الآن».

«ما هما؟».

ركّز عينيه على عيني لعدة ثوان. يقول بحزم: «لا تسأليني عن الماضي. ولا تنتظري مستقبلاً لنا أبداً».

بالطبع لا تعجبني أيًا من هذه القواعد. كلاهما يجعلني أرغب في تغيير رأيي بشأن هذا الاتفاق والاستدارة والهرب، لكن بدلاً من ذلك أومئ بالموافقة. أوافق لأنني سأخذ كل ما يمكنني الحصول عليه. أنا لست تابت عندما أكون بالقرب منه. أنا مجرد سائل، والسائل لا يعرف كيف يكون حازماً أو كيف يدافع عن نفسه. السوائل تغمر وتتدفق. وهذا كل ما أريد أن أفعله مع مايلز. غمر وتدفق.

أقول بهدوء: «حسناً، لدي قاعدة واحدة». إنه ينتظرها. لا أستطيع التفكير في قاعدة. ليس لدي أي قواعد. لماذا ليس لدي قواعد؟ إنه لا يزال ينتظر: «أنا لا أعرف ما هي بعد. ولكن عندما أعرفها، عليك أن تلتزم بها».

يضحك مايلز. انحنى إلى الأمام وقبلني على جبهتي، ثم سار نحو غرفته. فتح الباب ثم نظر إليّ لبرهة قبل أن يختفي في الغرفة.

لست واثقة، لكنني متأكدة تماماً من أن التعبير الذي رأيته للتو على وجهه كان الخوف. أتمنى فقط أن أعرف ما الذي يخاف منه، لأن الرب وحده يعلم أنني أعرف بالضبط ما أخاف منه.

أنا خائفة من كيف ستنتهي هذه العلاقة.

الفصل العاشر

مايلز

قبل ست سنوات

إيان يعرف.

كان عليّ إخباره. فبعد الأسبوع الأول من المدرسة، عَرَفَ أن ريتشل أصبحت كل شيء بالنسبة لي.

ريتشل تعرف أن إيان يعرف. وتعرف أنه لن يتفوه بكلمة.

منحتُ ريتشل غرفتي عندما انتقلت للسكن معنا، وانتقلت أنا لغرفة النوم الاحتياطية. غرفتي هي غرفة النوم الوحيدة التي لها حمام خاص. وأنا أريد أن تحصل ريتشل على الغرفة الأفضل.

يسأل إيان ريتشل: «هل تريد هذا الصندوق هنا؟». تسأله عما به. فيخبرها أنه يحتوي على حمالات صدر وملابس داخلية. «أعتقد أنه يجب علي الذهاب رأساً إلى غرفة مايلز ووضعه هناك».

تُبرِّق ريتشل بعينها وتقول لإيان: «ششش». يضحك. فكونه متورطاً في هذا الأمر، شيء يروق له. ولهذا نعلم أنه لن يتفوه أبداً بكلمة. إنه يُدرك قوة الأسرار.

غادر إيان بعد أن فرغنا جميع الصناديق. مرَّ أبي في الردهة ثم توقف. توقفه يعني توقفي أنا الآخر.

«شكراً لك مايلز».

يعتقد أن لا مشكلة لدي مع هذا الأمر. مع حقيقة أنه يسمح لامرأة أخرى بمحو آخر ما يذكرني بأمي.

أنا لست موافقاً على ذلك.

أنا فقط أظاهر بأنني موافق على ذلك، لأن لا شيء من هذا يهم.

ريتشل هي من تهمني.

هو لا يهمني.

أقول: «لا مشكلة».

يبدأ بالتحرك، ثم يتوقف مرة أخرى. أخبرني أنه يُقدّر كم أنا لطيف مع ريتشل. وأنه يتمنى لو أنه وأمي قد تمكنا من منحي أخاً عندما كنت أصغر.

يقول إنني كنت سأكون أخاً جيداً.

الكلمات مريعة عندما تخرج من فمه.

عدت إلى غرفة ريتشل. وأغلقت الباب.

نحن الاثنان فقط.

نبتسم.

أسير نحوها وأحيطها بذراعي ثم أقبل رقبته. لقد مرت ثلاثة أسابيع منذ أول ليلة قبّلتها فيها.

يمكنني عدّ المرات التي قبّلتها فيها منذ ذلك الحين. لا يمكننا أن نتواصل بهذه الطريقة في المدرسة. ولا في الأماكن العامة.

لا يمكننا أن نتواصل بهذه الطريقة أمام آبائنا. لا أستطيع لمسها إلا عندما نكون بمفردنا، ولم نتمكن من البقاء بمفردنا كثيراً خلال الأسابيع الثلاثة الماضية.

الآن؟

الآن أقبلها.

تقول: «نحن بحاجة إلى بعض القواعد الإرشادية حتى لا نسبب لأنفسنا المشكلات».

تسحب نفسها مني. وتجلس على مكثبي، وأنا أجلس على سريري.

حسناً... هي تجلس على مكثبها، وأنا أجلس على سريرها.

تقول: «أولاً، لا داعي لتبادل القبلات عندما يكونان في المنزل. إنها مجازفة خطيرة

لللغاية».

لا أريد الموافقة على هذه القاعدة، لكنني أومئ بالموافقة.

«ثانياً، ممنوع ممارسة الجنس».

لا أومئ برأسي.

أسألها: «إطلاقاً؟».

تومئ بالإيجاب. أوه، أنا حقاً أكره تلك الإيماءة.

«لماذا؟».

تتنهد بشدة. «الجنس سيجعل الأمر أكثر صعوبة عندما يحين الافتراق. أنت تعلم ذلك».

إنها محقة. لكنها أيضاً مخطئة تماماً، ولدي شعور أنها ستكتشف ذلك لاحقاً.

«هل يمكنني أن أسأل ما القاعدة رقم ثلاثة قبل أن أوافق على القاعدة رقم اثنين؟».

تبتسم. «لا توجد قاعدة رقم ثلاثة».

أبتسم. «إذن الجنس هو الشيء الوحيد المحظور؟ ونحن نتحدث عن المضاجعة، أليس

كذلك؟ لا نتحدث عن الجنس الفموي؟».

تغطي وجهها بيديها. «يا إلهي، هل يجب أن تتكلم بهذا التفصيل؟».

إنها تبدو فاتنة عندما تشعر بالحر: «فقط للتوضيح. لدي قائمة أشياء أبدية أريد أن أفعلها

معك، وليس لدينا سوى ستة أشهر لفعلها جميعاً».

تقول: «دعنا نترك التفاصيل لحينها».

«منصف بما فيه الكفاية»، قلت ذلك وأنا مفتون باحمرارها خجلاً.

«ريتشل؟ هل أنتِ عذراء؟».

ترداد وجنتاها احمراراً. تهز رأسها وتقول لا. تسأل إن كان هذا يزعجني.

أقول بصراحة: «لا إطلاقاً».

تسألني إذا كنت بكر، بصوت خجول متردد.

أقول: «لا. لكن الآن بعد أن التقيتك، أتمنى لو كنت كذلك».

يروقها أنني قلت ذلك. أقف وأستعد للذهاب إلى غرفة نومي الجديدة للبدء في ترتيبها. قبل

أن أخرج، أغلق باب غرفة نومها من الداخل، أستدير وأبتسم لها.

أسير نحوها ببطء.

أخذها بين ذراعيّ وأرفعها لأعلى. ألف ذراعي حول أسفل ظهرها وأسحبها في اتجاهي.

أقبلها.

الفصل الحادي عشر

تايت

«أنا بحاجة للتبول».

يثن كوربين: «مرة أخرى؟».

أجيب مدافعة: «لم أقض حاجتي منذ ساعتين».

في الحقيقة، لست بحاجة إلى دخول الحمام، لكنني أحتاج الخروج من هذه السيارة. بعد المحادثة التي أجريتها مع مايلز الليلة الماضية، يبدو ركوب السيارة معه الآن أمراً مختلف. وجوده طاغ ويهيمن على المكان، وكل دقيقة تمر وهو صامت، تجعلني أتساءل عما يجول في رأسه. أتساءل عما إذا كان نادماً على هذه المحادثة. إذا كان سيتظاهر بأنها لم تحدث من الأساس.

أتمنى لو يستطيع أبي التظاهر بأن هذا لم يحدث قط. هذا الصباح، وقبل أن تغادر، كنت أجلس حول طاولة المطبخ معه، عندما دخل مايلز.

سأله في اللحظة التي انضم فيها إلينا على الطاولة: «هل نمت جيداً يا مايلز؟». ظننت أنه سيشعر بالحرج، لكنه نظر إلى أبي وهز رأسه: «لم أنم جيداً. ابنك يتحدث في أثناء نومه».

التقط أبي كأسه ورفعها في اتجاه مايلز: «من الجيد معرفة أنك كنت في الغرفة مع كوربين الليلة الماضية».

لحسن الحظ، لم ينضم كوربين لنا بعد، ولم يسمع هذا التعليق من أبي. ظل مايلز هادئاً بقية فترة الإفطار، والمرة الوحيدة التي لاحظت أنه تحدث فيها بعد ذلك كانت عندما كنا أنا وكوربين في السيارة. تقدم مايلز نحو أبي وصافحه، قائلاً شيئاً لم يسمعه سوى أبي. حاولت أن أقرأ تعابير وجه أبي، لكنه بقي جامد الوجه. يُجيد أبي تماماً إخفاء ما يجول في خاطره، مثل مايلز.

أريد حقاً أن أعرف ما الذي قاله مايلز لأبي هذا الصباح قبل أن يغادر. أريد أيضاً أن أعرف عشرات الإجابات الأخرى عن الأسئلة التي تدور في ذهني حول مايلز. لطالما اتفقنا دائماً أنا وكوربين عندما كنا أصغر، على أنه إذا كان بإمكاننا امتلاك قوة خارقة، فسنختار القدرة على الطيران. الآن بعد أن عرفت مايلز، غيّرت رأبي. لو كان لدي قوة خارقة، فستكون الاختراق. كنت سأحترق عقله حتى أتمكن من رؤية جميع أفكاره.

سأحترق قلبه وأنتشر فيه كالفيروس. سأطلق على نفسي المُخرقة.

«اذهبي لقضاء حاجتك». يقولها كوربين بانفعال، وهو يتجه إلى ساحة انتظار السيارات.

أتمنى لو أنني ما زلتُ في المدرسة الثانوية، حتى أتمكن من نعته بالوغد؛ فالبالغون لا يطلقون على إخوانهم «أوغاد».

خرجت من السيارة وشعرت أنه بإمكانني التنفس مرة أخرى، حتى فتح مايلز بابه وخرج هو الآخر من السيارة واجتاح العالم. الآن يبدو مايلز أكبر، وتبدو رثتي أصغر. نسير معاً إلى محطة الوقود، دون أن نتحدث.

من الممتع كيف يسير هذا الأمر. ففي بعض الأحيان، يصبح الصمت أكثر بلاغة من كل الكلمات الموجودة في العالم. أحياناً يقول صمتي: لا أعرف كيف أتحدث إليك. لا أعرف ما الذي تفكر فيه. تحدث معي. أخبرني بكل ما سبق وأن قلته في حياتك. كل الكلمات. بدءاً من أول كلمة نطقتها.

وأتساءل ما الذي يقوله صمته.

ما إن خطونا إلى الداخل، بحثَ عن لافتة الحمامات، ثم أوماً برأسه وسار أمامي. إنه يقودني. لقد سمحت له بذلك. أنه متماسك وأنا سائل، أنا الآن أسير في أعقابه.

عندما وصلنا إلى الحمامات، دخل إلى حمام الرجال دون أن يتوقف. لم يلتفت وينظر إلي. لم ينتظر حتى أدخل أولاً إلى قسم النساء. دفعت الباب كي أفتحه، لكنني لا أحتاج إلى استخدام الحمام. أردت فقط أن أتنفس، لكنه لم يسمح لي بذلك. إنه يغزوني. لا أعتقد أنه يقصد ذلك. لكنه يغزو أفكاري وأحشائي ورثتي وكل عالمي.

هذه هي قوته الخارقة. الغزو.

الغازي والمُخرق. يحملان المعنى نفسه إلى حد كبير، لذا أظن أننا نشكل معاً فريقاً رائعاً.

غسلتُ يدي وأهدرت وقتاً كافياً لجعل الأمر يبدو وكأنني كنت حقاً في حاجة إلى توقف كوربين هنا. فتحت باب الحمام، وها هو يغزوني مرة أخرى. إنه في طريقي، يقف أمام المدخل الذي أحاول الخروج منه.

إنه لا يتحرك ومع ذلك، يغزو كل كياني. لكنني لا أريده حقاً أن يتوقف لذا تركته يجتاحني، يسأل: «هل تريد شرب أي شيء؟».

أهز رأسي: «معي مياه في السيارة».

«تشعرين بالجوع؟».

أخبره أنني لست كذلك. يبدو محبطاً بعض الشيء لأنني لا أريد أي شيء. ربما لا يريد بعدُ العودة إلى السيارة.

قلت: «ربما أريد بعض الحلوى».

ارتسمت إحدى ابتساماته النادرة والعزيزة ببطء: «سأشتري لك بعض الحلوى إذن».

استدار ومشى نحو ممر الحلوى. توقفت بجانبه ونظرت إلى الخيارات المتاحة. حدقنا في الحلوى المعروضة لفترة طويلة جداً. أنا لا أريد حقاً أي شيء، لكن كلانا يُحدق في المعروض ونتظاهر بأننا نحاول الاختيار.

همست: «هذا غريب».

سألني: «ما الغريب؟»، اختيار الحلوى أم الاضطرار إلى التظاهر بأننا لا نريد بشدة أن نكون متمددين معاً في المقعد الخلفي للسيارة الآن؟».

رائع. أشعر وكأنني قد اخترقت أفكاره حقاً بطريقة أو أخرى. هذه الكلمات التي تفوه بها عن طيب خاطر. الكلمات التي جعلتني أشعر أنني في أفضل حال.

أقول بثبات: «كلاهما». استدرتُ له: «هل تدخن؟».

رمقني مرة أخرى بهذه النظرة. النظرة التي تُشعرنني بالغرابة.

لكنني لا أهتم.

أجاب عرضياً: «لا».

«هل تتذكر تلك الحلوى على شكل سجائر التي كانت تُباع ونحن أطفال؟».

يقول: «نعم. إذا كنت تُفكرين فيها، فهذا تفكير مرضي».

أومئ برأسي: «لقد اعتدت أنا وكوربين الحصول عليها طوال الوقت. ومن رابع المستحيالات أن أسمح لطفلي بشراء مثل هذه الأشياء».

يقول مايلز: «أشك في أنهم يُصنعونها الآن».

نلتفت للنظر في رف الحلوى.

سأل: «هل تفعلين؟».

«أفعل ماذا؟».

«تُدخين».

أهز رأسي: «لا».

يقول: «جيد». نحدق في الحلوى لفترة أطول قليلاً. استدار لمواجهتي، وأنا أحدق فيه:

«هل تريدن حقاً أي حلوى يا تاي؟».

«لا».

يضحك. «إذن، أعتقد أن علينا العودة إلى السيارة».

أتفق معه، لكن لا أحد منا يتحرك.

مد يده نحو يدي ولمسها بنعومة شديدة، كما لو كان يعلم أنه مصنوع من حمم بركانية وأنا لست كذلك. أمسك باثنين من أصابعي، ولم يقترب حتى من القبض على يدي بالكامل، ثم سحبهما برفق.

قلت له، وأنا أجذب يده إلى الخلف: «انتظر». نظر إلي من فوق كتفه ثم استدار لمواجهتي كاملاً: «ماذا قلت لأبي هذا الصباح؟ قبل أن نغادر؟».

اشتدت أصابعه حول يدي، ولم تتغير تعابير وجهه عن النظرة الفاتنة التي يتقنها: «لقد اعتذرت له».

يستدير نحو الباب مرة أخرى، وأتبعه هذه المرة. لم يُفلت يدي حتى اقتربنا من المخرج. وعندما ترك يدي تسقط أخيراً، بدأت في التلاشي مرة أخرى.

تبعته نحو السيارة وأنا أتمنى ألا أُصدّق في قدرتي على الاختراق. أذكر نفسي بأنه مصنوع من الدروع الحديدية. وأنه لا يمكن اختراقه.

لا أعرف إذا كان بإمكانني فعل هذا يا مايلز. لا أعرف إذا كان بإمكانني الالتزام بالقاعدة الثانية، لأنني فجأة أرغب في أن أقفز إلى مستقبلك أكثر من رغبتني في القفز إلى المقعد الخلفي للسيارة معك.

ما إن صعدنا إلى السيارة، حتى قال مايلز لكوربين: « كان طابور الانتظار طويلاً». أدار كوربين محرك السيارة وغير محطة الراديو. لم يعترض على التأخير. لم يكن متشككاً، أو كان سيعلق على تأخرنا. كما أنه ليس هناك ما يثير الشك بعد.

سرنا بالسيارة لمدة خمس عشرة دقيقة قبل أن أدرك أنني لم أعد أفكر في مايلز. خلال الخمس عشرة دقيقة الأخيرة من الرحلة، كانت الذكريات هي كل ما يجول في ذهني.

«هل تتذكر عندما كنا أطفالاً وكنا نتمنى أن تكون قوتنا الخارقة هي الطيران؟».

يقول كوربين: «نعم، أتذكر».

«أنت الآن تملك هذه القوة الخارقة. تستطيع الطيران».

ابتسم كوربين لي في مرآة الرؤية الخلفية. وقال: «نعم. أعتقد أنني بطل خارق».

أسندت ظهري إلى المقعد وحدقت خارج النافذة، وأنا أشعر بالغيرة من كليهما. أحسدهما على الأشياء التي رأوها. والأماكن التي سافروا إليها.

«كيف يبدو شروق الشمس من أعلى؟». يهز كوربين كتفيه: «لا أشاهده حقاً. أكون مشغولاً بالعمل عندما أطيّر».

أشعر بالحزن. لا يجب أن تتعامل مع الأمر بوصفه من المسلمات يا كوربين.

«أنا أراقب شروق الشمس». ينظر مايلز من النافذة، ويقول بصوت هادئ جداً لدرجة أنني

لا أسمعته تقريباً: «أشاهده، في كل مرة أكون في الأعلى».

ومع ذلك، لا يخبرني كيف يبدو الأمر. صوته بعيد، وكأنه يريد الاحتفاظ بهذا الشعور

لنفسه. تركته يحتفظ به. أقول: «أنتما تكسران قوانين الكون عندما تحلّقان بالأعلى. إنه أمر

مثير للإعجاب. تحدّي الجاذبية؟ مشاهدة شروق الشمس وغروبها من أماكن لم تسمح

الطبيعة الأم لكما بالوجود فيها! أنتما حقاً بطلان خارقان، إذا فكرتما في الأمر».

نظر إليّ كوربين في المرآة الخلفية وضحك. لا تعد وجودك في الأعلى أمراً مسلماً به يا

كوربين. لم يضحك مايلز. وما زال يحدق من النافذة.

قال لي مايلز: «أنت تنقذين الأرواح. هذا أكثر إثارة للإعجاب». فُتِحَ قلبي على الفور لهذه الكلمات.

القاعدة الثانية لا تبدو مناسبة من مكاني هذا.

الفصل الثاني عشر

مايلز

قبل ست سنوات

عُدّلت القاعدة رقم واحد والتي تقول بعدم العبث في أثناء وجود آبائنا في المنزل. يُمكننا الآن تبادل القُبلات، لكن خلف باب مغلق.

القاعدة الثانية لا تزال - للأسف - كما هي. لم نمارس الجنس إلى الآن. ومؤخراً، أُضيفت قاعدة ثالثة: ممنوع التسلل ليلاً. فليزا تتفقد ريتشل أحياناً في منتصف الليل. وذلك لأنها أم لفتاة مراهقة، وهذا هو الشيء الصحيح الذي ينبغي لها فعله. لكنني أكره أن تفعل ذلك.

لقد عشنا شهراً كاملاً في المنزل نفسه. لم نتحدث عن حقيقة أنه لم يتبق لنا معاً سوى ما يزيد قليلاً على خمسة أشهر. ولم نتطرق إلى ما سيحدث عندما يتزوج أبي من أمها. لم نتحدث عن حقيقة أنه إذا جرى ذلك، فإننا سنبقى متصلين لمدة أطول بكثير من خمسة أشهر. في الإجازات.

زيارات نهاية الأسبوع.

اجتماعات لم الشمل.

سيتوجب علينا حضور كل مناسبة، لكن سنحضرها ونحن عائلة. لم نتحدث عن ذلك، لأنه يُشعرنا بأن ما نفعله خطأ. ولا نتطرق له أيضاً لأنه صعب. عندما أفكر في اليوم الذي سنتنقل فيه إلى ميشيجان وسأبقى أنا في سان فرانسيسكو، لا أستطيع أن أرى ما هو أبعد منه. لا أستطيع أن أرى أي شيء، فحينها لن تكون ريتشل كل شيء بالنسبة لي.

يقول: «سنعود يوم الأحد».

«سيكون لديك المنزل بأكمله. ريتشل ستقيم مع صديقة. ربما يجب عليك دعوة إيان».

«لقد دعوته»، أنا أكذب.

ريتشل كذبت أيضا. إنها ستكون هنا خلال عطلة نهاية الأسبوع. لا نريد أن نعطيها أي سبب للشك فينا. من الصعب بما فيه الكفاية محاولة تجاهلها في حضورهما. من الصعب التظاهر بأنه لا شيء مشترك بيننا، عندما أريد أن أضحك على كل ما تقوله. أريد أن أثني على كل ما تفعله. أريد أن أتباهى أمام أبي بذكائها، ودرجاتها المرتفعة، ولطفها، وسرعة بديتها. أريد أن أخبره أن لدي حبيبة رائعة للغاية وأريد أن يلتقي بها لأنه سيحبها تماما. إنه يحبها بالفعل. لكن ليس بالطريقة التي كنت أتمنى أن يحبها بها. أريده أن يحبها من أجلي.

نودّع آباءنا. تطلب ليزا من ريتشل أن تحسن التصرف، لكنها في الحقيقة ليست قلقة. فريتشل رائعة على حد علم ليزا. ريتشل تحسن التصرف، ولا تكسر القواعد. باستثناء القاعدة رقم ثلاثة. من المؤكد أن ريتشل ستكسر القاعدة رقم ثلاثة في نهاية هذا الأسبوع.

نحن نلعب لعبة المنزل. نتظاهر بأن هذا المنزل لنا. وأن هذا مطبخنا، وأنها تطبخ لي. أتظاهر بأنها ملكي، وأتبعها بينما تطبخ، معانقا إياها. ألمسها. وأقبل رقبتها. أدفعها بعيداً عن المهام التي تحاول إكمالها حتى أشعر بها معي. إنها تحب ذلك، لكنها تتظاهر بالعكس.

عندما ننتهي من تناول الطعام، تجلس معي على الأريكة. نضع فيلماً للعرض، لكن لا يُشاهد على الإطلاق. لا يمكننا التوقف عن تبادل القبلات. نفعل ذلك كثيراً لدرجة أن شفاهنا تؤلمنا. أيدينا تؤلمنا. معدتنا تؤلمنا، لأن أجسادنا تريد كسر القاعدة الثانية، وهذا أمر سيئ للغاية.

ستكون عطلة نهاية أسبوع طويلة. لا بد أن أستحم، وإلا سأتوسل من أجل خرق القاعدة الثانية. أستحم في حمامها. أنا أحب هذا الحمام. أحبه أكثر مما أحبته عندما كان يخصني. أحب رؤية أشياءها هنا. أحب النظر إلى ماكينة الحلاقة الخاصة بها وتخيل كيف تبدو عندما

تستخدمها. أحب النظر إلى زجاجات الشامبو الخاصة بها والتفكير فيها ورأسها مائل للخلف تحت تيار الماء وهي تشطف الشامبو من شعرها.

أحب أن يكون حمامي هو حمامها أيضاً.

«مايلز»؟. تطرق الباب، لكنها أصبحت بالفعل داخل الحمام. كان الماء ساخناً على جلدي، لكن صوتها جعله أكثر سخونة. فتحت ستارة الحمام. ربما فتحتها أكثر مما ينبغي لأنني أريدها أن تكسر القاعدة الثانية.

تأخذ نفساً ناعماً، وتقع عينيها حيث أريدهما.

«ريتشل»، ابتسمت لنظرة الخجل التي ترسم على وجهها. إنها تنظر في عيني.

إنها تريد الاستحمام معي. لكنها تخجل من أن تُصرِّح بذلك.

«ادخلي».

صوتي أجش، كما لو أنه قد بُح من كثرة الصراخ.

كان صوتي عادياً قبل خمس ثوانٍ.

أغلقتُ ستارة الحمام كي لا أرى ما تفعل ولأمنحها أيضاً الخصوصية في أثناء خلع ملابسها. لم أرها بدون ملابس من قبل. لكنني تحسست ما تحتها.

فجأة أشعر بالتوتر.

لقد أطفأت الأنوار.

«هل تمنع في ذلك؟» تسأل بخجل. لا أمانع، وإن كنتُ أتمنى لو أنها تملك الكثير من

الثقة في نفسها. أحتاج أن أجعلها أكثر ثقة.

فَتَحْتُ ستارة الحمام، ورأيت إحدى ساقيها تشق الطريق إلى حوض الاستحمام. تلاشيت عندما أصبحت جميعها في الداخل.

لحسن الحظ، هناك ما يكفي من ضوء الليل لإلقاء وهج خافت عليها.

أستطيع أن أراها بما فيه الكفاية.

أستطيع أن أراها تماماً.

تتقاطع نظراتها مع نظراتي مرة أخرى. تقترب مني. أتساءل عما إذا كانت قد تشاركت

الحمام مع أي شخص من قبل، لكنني لا أسأل. أقترب خطوة منها، لأنها تبدو خائفة. لا

أريدها أن تكون خائفة.

أنا الخائف.

ألمس كتفيها وأرشدتها للوقوف تحت الماء. لا أضغط بجسدي عليها حتى وأن كنتُ أريد ذلك. أحافظ على المسافة بيننا.

يجب علي ذلك.

الأجزاء الوحيدة التي تتلامس هي شفاهنا. أقبلها بهدوء، بالكاد ألمس شفتيها، لكن القبلّة تؤلمني بشدة. مؤلمة أكثر من أي قبلة أخرى سبق وأن تبادلنا ها. تصطدم شفاهنا، فتتولد القبلات.

أسناننا تصطدم بعضها ببعض. قبلاتنا محمومة وسريعة لدرجة أنها تركتنا مغطين باللعاب. قبلات ساخنة تنتهي بقضم شفتها أو عض شفتي.

لم تكن أي من تلك القبلات مؤلمة مثل هذه، ولا أستطيع أن أعرف لماذا تؤلمني هذه القبلة كثيراً.

لا بد لي من التراجع. طلبت منها أن تمنحني دقيقة، فأومأت برأسها، ثم وضعت خدها على صدري. اتكأت بظهري على الحائط وسحبتها معي بينما أبقيت عيوني مغلقة بإحكام.

تحاول الكلمات مرة أخرى كسر الحاجز الذي بنيته حولهن. في كل مرة أكون معها تريد هذه الكلمات الخروج، لكنني أعمل وأعمل على ترسيخ الجدار الذي يحيط بهن. إنها لا تحتاج إلى سماع هذه الكلمات.

لا أحتاج أن أقولها.

لكنهن يدقن على الجدار الذي أحطتهن به. إنهن دائماً ما يضربن بقوة حتى تنتهي كل قبلاتنا بهذه الطريقة. أنا بحاجة إلى دقيقة وهي تمنحني إياها. الكلمات بحاجة الآن إلى الخروج أكثر من أي وقت مضى. إنهن بحاجة إلى الهواء. إنهن يطالبن بأن يُستمع إليهن.

هناك قدر من الدق الذي يمكنني تحمله قبل أن ينهار الجدار. لا يوجد سوى مرات عديدة يمكن أن تلمس فيها شفتي شفتيها دون أن تتدفق الكلمات على الجدار وتخرق الشقوق، وتنتقل إلى صدري حتى أحمل وجهها بين يدي، وأنظر في عينيها، وأسمح للكلمات المحبوسة بتحطيم كل الحواجز التي تعترض الطريق بيننا وبين حسرة لا مفر منها.

تتدفق الكلمات في النهاية.

أقول لها: «لا أستطيع رؤية أي شيء».

أعلم أنها لا تعرف ما الذي أتحدث عنه. لا أريد الإسهاب، لكن الكلمات تتدفق. لقد تمكنت مني: «لا أرى أي شيء بعد أن تنتقلي إلى ميشيجان وأظل أنا في سان فرانسيسكو. سابقاً كنت أرى المستقبل الذي أريده، لكني الآن لا أرى أي شيء».

أقبل الدمعة التي سالت على خدها.

أقول لها: «لا أستطيع أن أفعل هذا. الشيء الوحيد الذي أريد رؤيته هو أنت، وإذا لم أستطع الحصول على ذلك، فلا شيء آخر يستحق. أنت من يجعل الأمر أفضل، يا ريتشل. تجعلين كل شيء أفضل».

أقبلها بقوة، وبعد أن أصبحت الكلمات حرة، لم تكن هذه القبلة مؤلمة أبداً. أقول لها: «أنا أحبك»، وأتحرر تماماً من أي قيود.

أقبلها مرة أخرى دون أن أعطيها فرصة للرد. لا أحتاج أن أسمع إجابتها إلى أن تصبح مستعدة لها، ولا أريدها أن تخبرني بأن الطريقة التي أشعر بها خاطئة.

يديها على ظهري، تسحبني وتقربني منها أكثر. ساقها تلتفان حولي وكأنها تحاول زرع نفسها بداخلي. وهي بالفعل كذلك.

نعود للقبلات المحمومة مرة أخرى. ما بين اندفاع ولهاث؛ تصطدم أسناننا وتضم شفاهنا ونتلامس. إنها تتأوه، وأستطيع أن أشعر بها وهي تحاول الابتعاد عن فمي، لكن يدي متوغلة في شعرها، وفمي يغطي فمها بيأس، على أمل ألا تقطع هذه السيمفونية. تُجبرني على إفلاتها.

أسند جبتي على جبينها، وألهث في محاولة لمنع مشاعري من السقوط من علّ. تقول بلا مبالاة: «مايلز، مايلز، أنا أحبك. وأنا جداً. لا أريد لعلاقتنا أن تنتهي».

أنت تحبيني، يا ريتشل.

أراجع وأحدق في عينيها.

إنها تبكي.

لا أريدها أن تكون خائفة. أقول لها إن كل شيء سيكون على ما يرام. أخبرها أننا سننتظر حتى نتخرج، ثم سنخبرهما بأمرنا. أخبرها أنهما لن يمانعا في ذلك. وأنه بمجرد تركنا المنزل، سيكون كل شيء مختلفاً. كل شيء سيكون على ما يرام. سيكون عليهما أن يتفهما. أخبرها أن لدينا مخططاً. تومئ برأسها بقوة.

ترد بالموافقة: «لقد حصلنا على خطة».

أضغط جبهتي على جبهتها. وأقول لها: «لقد تمكنا من ذلك يا ريتشل».

«لا أستطيع أن أتركك الآن. مستحيل».

تأخذ وجهي بين راحتيها، وتقبلني.

لقد وقعت في حبي يا ريتشل.

قبلتها تزيل عبأً ثقيلاً عن صدري، فأشعر وكأنني أطفو. وأنها تطفو معي. أديرها حتى يصبح ظهرها على الحائط. أرفع ذراعيها فوق رأسها وأشبك أصابعي في أصابعها، وأضغط يديها على جدار الحمام خلفها.

ننظر في أعين بعضنا بعضاً... ونحطم تماماً القاعدة الثانية.

الفصل الثالث عشر

تايت

قال مايلز لكوربين: «شكراً على السماح لي بالذهاب معكم. لقد قضيت وقتاً ممتعاً، بغض النظر عن إصابة يدي واكتشاف أنك كنت تظني مثلي الجنس».

ضحك كوربين واستدار كي يفتح باب شقتنا: «ليس خطأي تماماً أنني افترضت أنك مثلي الجنس. أنت لا تتحدث إطلاقاً عن الفتيات، ويبدو أن ممارسة الجنس كانت خارج جدول أعمالك لمدة ست سنوات متتالية».

فتح كوربين الباب واتجه نحو غرفة نومه. وقفتُ عند المدخل، في مقابلة مايلز. نظر إلي مباشرة وقال وهو يغزوني بابتسامة: «لقد أصبح الأمر مدرجاً على جدول الأعمال الآن».

أنا جدول أعمال الآن. لا أريد أن أكون جدول أعمال. أريد أن أكون خطة. خريطة. أريد أن أكون ضمن خريطة مستقبله. لكن هذا يخالف القاعدة الثانية.

ذهب مايلز إلى شقته، وما إن فتح الباب حتى أومأ برأسه في اتجاه غرفة نومه. قال هامساً: «بعد أن يذهب للنوم؟».

حسناً يا مايلز. يمكنك التوقف عن الإلحاح. سأكون على جدول أعمالك. أومأ لي برأسه قبل أن يغلق الباب.

استحمت وحلقت ونظفت أسناني وودندت بالأغاني وأنا أضع ما يكفي من مستحضرات التجميل، لأبدو وكأنني لم أترين على الإطلاق. أصلحت شعري ليبدو وكأنني لم أمشطه أبداً. ارتديت الملابس نفسها التي كنت ارتديها سابقاً حتى لا يبدو إطلاقاً أنني غيرت ملابسني. لكن في الحقيقة، غيرت حمالة صدري وسروالي الداخلي، لأنهما لم يكونا متطابقين، لكنهما أصبحا الآن. ثم شعرت بالذعر لأن مايلز سيرى حمالة صدري وسروالي الداخلي الليلة. وربما يلمسهما.

لو أن ذلك ضمن جدول أعماله، فربما هو من يخلعهما عني.

استقبل هاتفي رسالة نصية، وباغتني صوت استلام الرسالة، لأنها ليست على جدول الأعمال عند الساعة الحادية عشرة ليلاً. الرسالة من رقم غير معروف. كل ما تقوله:

- ألم يدخل إلي في غرفته بعد؟

- أنا: كيف لديك رقمي؟

- مايلز: لقد سرقته من هاتف كوربين بينما كنا نقود السيارة.

يصدح صوتٌ غريب في رأسي: «نا-نا-نا-نا-بوو-بوو. رقم هاتفي قد سرقه». أنا الآن هذا الطفل من البرنامج التلفزيوني.

- أنا: نعم، إنه يشاهد التلفاز.

- مايلز: جيد. عليّ تنفيذ مهمة. سأعود خلال عشرين دقيقة. سأترك الشقة مفتوحة في حال أنه خلد إلى النوم قبل عودتي.

من يذهب لتنفيذ مهام في الساعة الحادية عشرة ليلاً؟

- أنا: أراك لاحقاً.

أحرق في رسالتي الأخيرة له وأنكمش على ذاتي. يبدو الأمر عادياً للغاية. يُعطي انطباعاً بأنني أفعل هذا طوال الوقت. ربما يعتقد أن كل أيامي تسير على هذا النحو:

رجل عشوائي: تاي، هل تريد ممارسة الجنس؟

أنا: بالتأكيد. اسمح لي أن أنهي محادثتي مع هذين الرجلين، وسأكون معك. بالمناسبة، ليس لدي أي قواعد، كل شيء مسموح.

الرجل العشوائي: رائع.

مرت خمس عشرة دقيقة، وأخيراً انطفأ التلفاز. بمجرد أن أغلق كوربين باب غرفة النوم، فُتحت غرفتي. عبرتُ غرفة المعيشة وتسحبتُ بخفة من الباب الأمامي، ثم اصطدمت بمايلز الذي كان يقف في الردهة.

قال: «توقيت جيد». إنه يحمل كيساً. ينقله إلى يده الأخرى حتى لا يكون مرئياً بالنسبة لي. قال وهو يفتح بابه: «من بعدك يا تاي».

لا يا مايلز. أنا أتبعك. هذا هو الحال بيننا. أنت صلب وأنا سائل. أنت تخوض غمار الماء، وأنا في عقبك.

قال وهو يسير نحو مطبخه: «هل تشعرين بالعطش؟»، لكنني لست متأكدة إذا كان بإمكانني اللحاق به هذه المرة. لا أعرف كيف أفعل ذلك، وأخشى أن يلاحظ أنني لم أطبق القاعدة رقم واحد أو اثنين من قبل. إذا كان الماضي والمستقبل ممنوعين، إذن لا يبق لي إلا الحاضر فقط، وليس لدي أي فكرة عما يجب فعله في الوقت الحاضر. في الوقت الحاضر؛ أمشي إلى المطبخ.

سألته: «ماذا لديك؟».

الكيس موضوع الآن على المنضدة، وقد رأني وأنا أختلس النظر إليه، فدفعه جانباً بعيداً عن نظري.

قال: «أخبريني ما تريدين، وسأرى إذا كان لدي».

«عصير البرتقال».

ابتسم، ومد يده نحو الكيس. سحب علبة عصير برتقال، وحقيقة أنه فكّر في هذا الأمر، دليل على مدى كرمه. إنه أيضاً دليل على أن الأمر لا يتطلب الكثير لأبدأ في الذوبان. عليّ إخباره أن قاعدتي الوحيدة هي التوقف عن فعل الأشياء التي تجعلني أرغب في خرق قواعده. آخذ منه عصير البرتقال بابتسامة: «ماذا يوجد أيضاً في الكيس؟».

يهز كتفيه: «بعض الأشياء».

يشاهدني أفتح العصير. يشاهدني وأنا أشرب العصير. يشاهدني وأنا أعيد الغطاء فوق العبوة. كان يراقبني وأنا أضع العصير على طاولة مطبخه، لكنه لم يكن يراقبني عن كذب بما يكفي ليلاحظ مدى السرعة التي يمكنني بها الاندفاع للحصول على الكيس.

أمسكت به قبل أن تلتف ذراعه حول خصري.

إنه يضحك: «أعيديه يا تاي».

فتحته ونظرتُ بداخله.

واقيات ذكورية.

أضحك وأرمي الكيس مرة أخرى على المنضدة. أستدير، فلا تُفلتني ذراعه: «أريد حقاً أن أقول شيئاً غير لائق أو مُحرجاً كي أجعلك تضحك، لكن لا أستطيع التفكير في أي شيء. فقط تظاهر أنني فعلت ذلك، وابدأ في الضحك مُجدداً».

يقول دون أن يضحك، وذراعه لا تزالان حولي: «أنتِ غريبة الأطوار جداً». «لا أهتم».

يضحك: «هذا الأمر برمته غريب».

إنه يخبرني كم هذا الأمر غريباً، لكنه يبدو جيداً جداً بالنسبة لي. لست متأكدة مما إذا كان الشعور الغريب جيداً أم سيئاً بالنسبة له: «هل هو جيد أم سيئ؟».

يقول: «كلاهما».

أقول له: «أنت غريب الأطوار».

يبتسم ابتسامة عريضة: «لا أهتم».

يحرك يديه إلى أعلى ظهري، إلى كتفي، ثم ينزل ببطء إلى ذراعي حتى تلمس يده يدي. هذا يذكرني.

أسحب يده بيننا: «كيف حال يدك؟».

يقول: «بخير».

قلت: «ربما ينبغي لي فحصها غداً».

«لن أكون هنا غداً. سأغادر خلال عدة ساعات».

عبرت فكرتان خلال ذهني. أولاً، أشعر بخيبة أمل كبيرة لأنه سيغادر الليلة. ثانياً، لماذا أنا هنا إذا كان سيغادر الليلة؟

«ألا يجب أن تكون نائماً؟».

يهز رأسه: «لا أستطيع النوم الآن».

أقول: «أنت لم تحاول حتى. لا يمكنك قيادة الطائرة وأنت لم تحصل على قسط من النوم يا مايلز».

«الرحلة الأولى قصيرة. علاوة على أنني مساعد الطيار. سأنام على متن الطائرة».

النوم ليس على جدول أعماله. لكن تابت على جدول الأعمال.

تابت أزاحت النوم من جدول أعماله.

وأتساءل ما الذي أزاحته تابت أيضاً؟

أهمس وأنا أترك يده، «إذن؟». أتسمّر، لأن ليس لدي ما أقوله. لا شيء، ولا حتى «ترن ترن».

يخيم الصمت علينا.

لقد أصبح الأمر محرّجاً.

يقول: «إذن». تتحرك أصابعه وتتخلل أصابعي. أصابعي مثل أصابعه.

سألته: «هل تريد أن تعرف كم من الوقت مضى منذ آخر مرة مارستُ فيها الجنس، لأنني أعرف هذه التفاصيل الحميمة عنك؟».

هذا منصف، مع الأخذ في الاعتبار أن عائلتي بأكملها تعرف المدة التي مرت منذ آخر مرة فعل فيها ذلك.

يقول ببساطة: «لا. لكنني أريد تقبيلك».

همم. لست متأكدة من كيفية التعامل مع ذلك، لكنني لن أشغل نفسي بتحليل سبب الرفض، ما دام قد تبعه بهذا الطلب.

أقول: «إذن قبّلني».

ترك أصابعه أصابعي وتنتقل إلى جانبي رأسي. يقول وهو يحيط بي: «آمل أن يكون مذاقك مثل عصير البرتقال مجدداً».

واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة ثمانية.

أحسب عدد الكلمات في الجملة الأخيرة، ثم أبحث في رأسي عن مكان لتخزين تلك الكلمات الثمانية إلى الأبد. أريد أن أخفيها في درج العقل، وأكتب عليها أشياء يجب سحبها وقراءتها عندما تصبح قاعدته الغبية رقم اثنين، هي الحاضر الحزين الوحيد.

مايلز في فمي. إنه يغزوني مرة أخرى. أغلق درج العقل وأخرج من رأسي وأعود إليه. اغزني. اغزني. اغزني.

من الواضح أن مذاقي مثل عصير البرتقال فعلاً، لأنه يتصرف كما لو كان يستمتع بالمذاق. يجب أن أستمتع بتذوقه أيضاً، أجذبه إلي، وأقبله، وأبذل قصارى جهدي للتسلل إليه والانتشار التام بداخله. ينسحب ليلتقط أنفاسه ويتكلم: «لقد نسيت كم هو جيد هذا الشعور».

إنه يقارنني. لا أحب أن يقارنني بأي شخص آخر جعله يشعر بهذه السعادة ذات مرة.

يقول: «هل تريد أن تعرف شيئاً؟».

نعم. أريد أن أعرف كل شيء، لكن لسبب ما، اخترت هذه اللحظة للانتقام، والرد على رفضه السابق.

«لا». سحبته مرة أخرى نحو فمي. لا يُقبِّلني على الفور، لا بد وأنه يُفكِّر فيما حدث للتو. لكن فمه يتفاعل معي بسرعة كبيرة. أعتقد أنه كره إجابتي المبتورة بقدر ما كرهت رده، وها هو الآن يستخدم يديه لينتقم.

لا أستطيع أن أحدد أين يلمسني، لأنه بمجرد أن يلمس مكاناً ما، تتحرك يداه إلى مكان آخر. إنه يلمس كل جسدي، في وقت واحد.

الجزء المفضل لدي في تبادل القبلات مع مايلز هو الصوت. صوت شفثيه عندما تقترب من شفثي. صوت أنفاسنا ونحن نتقاسمها. أحب الطريقة التي يئن بها عندما تتحد أجسادنا معاً.

يميل الرجال عادةً إلى كبح أصواتهم أكثر من الفتيات. مايلز لا يفعل ذلك. مايلز يريدني، ويريدني أن أعرف ذلك، وأنا أحب ذلك. يا إلهي، أنا أحب ذلك.

تمتم في فمي: «تأيت، دعينا نذهب إلى غرفة نومي».

أومات برأسي، أبعد نفسه بالكاد عن فمي، وعبر الطريق إلى الطاولة المرتفعة، وتناول علبة الواقي الذكري. بدأ بالسير معي نحو غرفة نومه، لكنه عاد سريعاً إلى المطبخ وأحضر عصير البرتقال. عندما تجاوزني ليقودني إلى غرفة نومه؛ غمز لي.

القشعريرة التي أثارها هذه الغمزة الصغيرة، جعلتني أرتعب مما سيثار بداخلي من مشاعر، عندما يصبح مايلز بداخلي. لا أعرف إذا كان بإمكانني النجاة.

بدأ القلق يجتاحني، عندما وصلنا إلى غرفة نومه. ربما لأن هذا مكانه، وهذا الوضع برمته يخضع لشروطه، وأشعر بأنني مسلوبة المزاي.

سألني وهو يخلع حذاءه: «ما الخطب؟». أتجه إلى الحمام وأطفأ الأنوار ثم أغلق الباب.

همست: «شعرتُ إلى حدٍّ ما بالتوتر». أقف الآن في منتصف غرفة نومه، أعرف بالضبط ما سيحدث. عادةً، لا تُناقش هذه الأمور أو يجري ترتيبها مسبقاً. إنها تحدث عفويًا ومحمومة،

ولا يعرف أيُّ من الطرفين ما يحدث، إلى أن يحدث.
لكن مايلز وأنا نعلم ما سيحدث.

يتجه إلى السرير ويجلس على حافته. ويقول: «تعالى هنا». ابتسمت، ثم مشيت بضعة أقدام إلى حيث يجلس. جذبني ووضع يده على فخذي من الخلف، وضغط بشفتيه على القميص فوق بطني. وضعت يدي على كتفيه ونظرت إليه. إنه ينظر إليَّ بكل هدوء، هذا الهدوء في عينيه مُعد.

قال: «يمكن أن نتمهل. ليس علينا فعلها الليلة. القواعد لم تشترط ذلك». ضحكت وأنا أهز رأسي بالرفض: «لا، لا بأس. فأنت ستغادر خلال ساعات قليلة ولن تعود لمدة خمسة أيام؟».

يقول: «تسعة هذه المرة».

أكره هذا الرقم.

أقول: «لا أريد أن أجعلك تنتظر تسعة أيام بعد أن ارتفعت آمالك».

تركت يده الجزء الخلفي من فخذي ووصلت إلى الجزء الأمامي من بنطالي الجينز. وفتح الزرّ دون أي عناء يُذكر.

قال بينما أصابعه تلمس السحاب: «مجرد تخيُّل فعل ذلك معك، قمة العذاب لا محالة». بدأ في سحبه للأسفل، وقلبي يدق بقوة في صدري لدرجة أنني أشعر وكأننا في موقع بناء وقلبي مطرقة. ربما يبني قلبي لنفسه درجاً على طول الطريق إلى الجنة، لأنه يعلم أنه سينفجر ويتوقف عن العمل، في اللحظة التي ينزلق فيها هذا الجينز عن جسدي.

همست: «هذا كله، تعذيب لي لا محالة».

فُتح السحاب وانزلت يده داخل بنطالي الجينز. يحيط فخذي بيديه، ويبدأ في خلع بنطالي.

أغمضت عيني وحاولت ألا أتأرجح، لكن يده الأخرى رفعت قميصي بما يكفي حتى تضغط شفتيه على بطني. إنه أمر لا يمكن احتمالاه.

تنزلق كلتا يديه داخل بنطالي الجينز الآن، وتحيط بمؤخرتي.

يدفع بنطالي الجينز ببطء إلى الأسفل حتى يصل إلى ركبتي. يلتقي لسانه ببطني، وتتوارى يدي في شعره.

عندما أصبح بنطالي الجينز أخيراً حول كاحلي، خرجت منه ومن حذائي في الوقت نفسه. انزلت يده إلى أعلى فخذتي وخصري. سحبني إليه حتى أتداخل معه. عدل ساقيه حول جانبي، ثم وضع كلتا يديه على مؤخرتي وسحبني نحوه. ألثت. لا أعرف لماذا يبدو أنني الشخص عديم الخبرة هنا. لقد توقعت بالتأكيد أنه لن يمسك بزمام الأمور، لكنني لا أتدمر. مُطْلَقاً.

رفعت ذراعي عندما حاول خلع قميصي عني. رماه على الأرض خلفي، وعادت شفتيه إلى شفتي بينما كانت يده تضغطان على مشبك حمالة صدري. هذا ليس عدلاً. أنا على وشك أن يتبقى على جسدي قطعة واحدة من الملابس، وهو لم يخلع أي شيء بعد.

همس وهو يتراجع ليسمح لحمالة صدري بالانزلاق: «أنت جميلة جداً». انزلت أصابعه تحت الأشرطة، وبدأ في تحريكها أسفل ذراعي. أحبس أنفاسي في انتظار أن يخلعها عني. أريد التمام فمه بشدة، لدرجة أنني لا أستطيع التفكير جيداً. عندما نُزعت حمالة الصدر لتكشف عني بالكامل، زفر. وقال بأنفاس مرتجفة: «واو».

ألقي حمالة الصدر على الأرض ونظر إليّ. ابتسم وضغط شفتيه على شفتي لفترة وجيزة وقبلهما بهدوء. ابتعد قليلاً ورفع يديه ولمس خدي ونظر في عيني. «هل أنت مستمتعة؟».

بقدر ما أريد أن أبتسم الآن؛ عضضت على شفتي السفلية حتى لا أبتسم. انحنى إلى الأمام وأخذ شفتي بين شفتيه، وسحبها بعيداً عن أسناني. قبلها بضع ثوانٍ ثم أطلقها. قال: «لا تعضي على شفتيك مرة أخرى. أحب رؤيتك تبسمين».

وبطبيعة الحال، ابتسمت مرة أخرى.

كانت يدي على كتفيه، فأنزلتهما على ظهره وبدأت في شد قميصه. أطلق وجهي ورفع ذراعيه حتى أتمكن من خلعه عنه. أميل إلى الخلف وأقبله، تماماً كما يغمرني الآن. مررت

يدي على صدره، ولمستُ كل منحني من عضلاته: «أنت أيضاً وسيم». ضغط بكفيه على ظهري، وحثني على الجلوس باستقامة. بمجرد أن فعلت ذلك، خفض فمه إلى ثديي ومرر لسانه بهدوء فوق حلمتي. أتأوه فيلتقمها كاملةً بجمه. تحركت إحدى يديه إلى فخذي وانزلت تحت حافة سروالي الداخلي. همس قائلاً: «أريدك على ظهرك». يضع إحدى يديه على ظهري وهو يبذل الوضع بسلاسة، ويسحبني من حضنه إلى سريره. لقد انحنى فوقني الآن، وسحب سروالي الداخلي بينما كان لسانه يغوص داخل فمي. سقطت يدي على الفور نحو زر بنطاله الجينز، فككت أزراره، لكنه ابتعد بسرعة. وحذرني قائلاً: «لن أفعل ذلك الآن. وإلا فإن هذا سينتهي أسرع مما بدأ».

أنا لا أهتم نوعاً ما كم من الوقت سيستمر. أنا فقط أريد خلع ملابسه عنه بشدة. بدأ في نزع سروالي الداخلي عني. ثنى إحدى رجليّ وأنزله عن قدمي، ثم فعل ذلك بالأخرى. إنه بالتأكيد لم يعد ينظر في عيني بعد الآن.

سمح لساقي بالرجوع إلى السرير، ثم وقف باستقامة وابتعد عني قدمين تقريباً. همس وهو يحدق بي: «واو».

إنه واقف هنا، يحدق بي وأنا أستلقي فوق سريره عاريةً، بينما هو لا يزال يرتدي بنطاله الجينز.

قلت: «هذا يبدو غير عادل إلى حدٍّ ما».

هز رأسه وسحب قبضته إلى فمه، وعض مفاصل أصابعه. استدار حتى أصبح ظهره لي وأخذ نفساً عميقاً طويلاً. واجهني مرة أخرى، ومرر نظره على جسدي حتى التقت عيوننا: «هذا كثير جداً يا تاي».

شعرت بخيبة الأمل تتسرب إلى كلماته. لا يزال يهز رأسه، لكنه يسير نحو طاولة الفراش الجانبية. يلتقط علبة الواقي الذكري ويفتحها، ثم يسحب واحداً ويضعه بين أسنانه ويمزق غلافه.

قال وهو يخلع بنطاله الجينز بطريقة محمومة: «أنا آسف. أردت أن يكون هذا جيداً بالنسبة لك. أردت أن تكون ذكري لا تُنسى، على الأقل». لقد خلع بنطاله الجينز الآن. إنه ينظر في

عيني، لكنني أجد صعوبة في الحفاظ على التواصل البصري معه، لأنه بلا أية ملابس داخلية الآن. «لكن إذا لم أضاجعك خلال ثانيتين، فسيكون هذا محرّجاً جداً بالنسبة لي».

مشى بسرعة نحوي وهو يضع الواقي الذكري بطريقة ما، في الوقت نفسه الذي كان يدفع فيه ركبتيّ بعضهما عن بعض بيده الأخرى. قال وهو يتموضع بين ساقي في انتظار موافقتي: «سأعوضك خلال بضع دقائق. وعد».

قلت: «مايلز، أنا لا أهتم بأيّ من ذلك. أريدك فقط بداخلي».

يتنهد: «شكراً للرب». أخذ ساقي من خلف الركبة بيده اليمنى، ثم التقت شفثاه بشفتي. ودفع نفسه بداخلي بقوة وبسرعة غير متوقعة لدرجة أنني صرخت صرخة حقيقية في فمه. لم يتوقف ليسألني إذا كان الأمر مؤلماً. إنه لا يتمهل. يدفع نفسه بقوة أكبر وأعمق لدرجة أن لا مجال للاقتراب أكثر.

إنه أمر مؤلم، ولكن بأفضل طريقة ممكنة.

أتأوه في فمه، ويتأوه هو فوق رقبتي، وشفثاه مع يديه، تلمسان كل شبر في جسدي. إنه يتعامل بخشونة. شهواني وثقيل ومثير، ولا يتمهل أبداً. كان الأمر سريعاً، ويمكنني أن أقول من خلال تصلّب ظهره تحت يدي أنه كان على حق. لم يستغرق وصوله إلى النشوة وقتاً طويلاً.

يتنهد: «تأيت. يا إلهي يا تأيت».

تتصلب عضلات ساقيه، ويبدأ بالارتعاش. يتأوه: «اللعنة». تضغط شفثاه على شفثي بقوة، ويظل ثابتاً على الرغم من الارتعاشات التي تختلج ساقيه وظهره. يسحب شفثيه من شفثي ويزفر نفساً عميقاً، وتسقط جبهته إلى جانب رأسي.

يقول وهو لا يزال متوتراً: «يا للجحيم». لا يزال يرتعش. ويضغط بكل قوة في داخلي.

في اللحظة التي ينسحب فيها عني، تُصبح شفثيه على رقبتي، وتتحرك للأسفل حتى تلتقي بشديي. يقبلهما ولكن لفترة وجيزة فقط قبل أن يعود إلى فمي مرة أخرى. يقول: «أريد أن أتذوقك. هل هذا مقبول؟».

أومئ بالموافقة.

موافقة بشدة.

يبتعد عن السرير، ويتخلص من الواقي الذكري، ويعود إلى مكانه بجوارى. أراقبه طوال الوقت، لأنه - بقدر ما لم يكن يريد أن يعرف كم من الوقت مضى منذ أن كنت مع رجل- فقد مر عام تقريباً. فترة لا تقترب من السنوات الست التي انتظرها، لكنها كانت طويلة بما يكفي لدرجة أنني لا أريد أن أفوت هذا بإبقاء عيني مغلقة. خاصة الآن بعد أن أصبح بإمكانني التحديق بحرية في حرف الـ V المرسوم فوق بطنه، ولا يجب أن أشعر بالحرج من حقيقة أنني لا أستطيع أن أرفع عيني عنه.

إنه الآن يراقب جسدي بالانبهار نفسه الذي تنزلق به يده على بطني. يتحرك إلى الأسفل حتى يصل إلى فخذي. يباعد بين ساقِي، وهو يراقب تأثير ما يفعله بي، مع الكثير من المتعة لدرجة أنني يجب أن أبقى عيني مفتوحتين حتى أتمكن من مراقبته وهو يراقبني. رؤية ما أفعله به تُشيرني دون أن يلمسني.

انزلقت اثنان من أصابعه بداخلي، وفجأة وجدت صعوبة كبيرة في الاستمرار في مراقبته. ظل إبهامه خارجاً يداعب كل نقطة يمكن أن يلمسها. أتأوه وأترك يدي تسقط على السرير فوق رأسي بينما أغمض عيني. أدعو الله ألا يتوقف. لا أريده أن يتوقف.

يلتقم فمه بلمي، ويقبلني بهدوء شديد، في تناقض صارخ مع ما يفعله بيده. يبدأ فمه في استكشاف طريقه ببطء إلى أسفل ذقني حتى وصل إلى رقبتي، ينخفض نحو حلقي، ويتدحرج إلى أسفل صدري، ويلتقم حلمتي، ثم أسفل بطني، ثم أسفل، أسفل، ياللججيم، أسفل. استقر بين ساقِي، وترك أصابعه بداخلي بينما بدأ لسانه بتدوق بشرتي، ثم باعد بين ساقِي، مما تسبب في تقوس ظهري وذهاب عقلي. أترك نفسي.

لا يهمني أن أتأوه بصوت عالٍ لدرجة أن الطابق بأكمله ربما يستيقظ. لا يهمني أنني أغرس كعبي في الفراش، في محاولة للابتعاد عنه، لأن هذا كثير جداً. لا يهمني أن تتركني أصابعه ليمسك بفخذي ويضممني إلى فمه، ويرفض أن يسمح لي بالابتعاد عنه، شكراً للرب.

لا يهمني أنني على الأرجح أؤذيه، أو أسحب شعره، أو أجذبه بشدة نحوي، أو أن أفعل كل ما بوسعي للوصول إلى أقصى درجات النشوة، فأنا شبه متأكدة من أنني لم أصل إلى هناك من قبل.

بدأت ساقاي في الارتعاش، وعادت أصابعه لتجد طريقها مرة أخرى إلى داخلي، وأنا متأكدة تمامًا من أنني أحاول كتم نفسي بالوسادة، لأنني لا أريد أن أتسبب في طرده من هذا المبنى بسبب صراخي بصوت عالٍ، والذي أحتاج إليه الآن. فجأة، أشعر وكأنني في الهواء، أطيّر. أشعر وكأنني أستطيع أن أنظر إلى أسفل وسيكون هناك شروق للشمس أسفل مني. أشعر وكأنني أُحلق.

أنا...

يا إلهي.

أنا...

يا للمسيح.

أنا... هذا... هو.

أتهاوى.

أطفو.

رائع.

واو واو واو.

لا أريد أن ألمس الأرض مرة أخرى.

عندما دُبت تمامًا على السرير، عاد فمه بمنتهى الجوع إلى جسدي. رفع الوسادة عن وجهي وألقاها جانبًا، وقبلني لثوانٍ معدودة.

قال: «فلنفعها مرة أخرى». نهض من السرير وعاد إليه في غضون ثوانٍ، ثم أصبح بداخلي مرة أخرى، لكنني لم أحاول حتى أن أفتح عيني هذه المرة. ذراعي منتشرتان فوق رأسي، وأصابعه متشابكة مع أصابعي، وهو يدفعني ويضغط ويتماهي في داخلي. خدّانا مضغوطان معًا، وجبهته على وسادتي، ولم يعد لدى أيّ منا طاقة لإصدار صوت هذه المرة.

يميل رأسه حتى تلتقي شفثاه بأذني، ثم يبطن من سرعته بإيقاع لطيف، ويندفع نحوي، ثم ينسحب بالكامل. لقد ثبتت نفسه في مكانه، ثم دفع مرة أخرى، ثم انسحب إلى الخارج. لقد فعل ذلك عدة مرات، وكل ما يمكنني فعله هو الاستلقاء هنا والشعور به.

همس وشفثاه قريبتان من أذني: «تأيت». انسحب وثبتت نفسه مرة أخرى: «أستطيع أن أقول بكل يقين أن هذا مئة في المئة».

يخرج ويدخل مرة أخرى.

«ال»

ينسحب، ويكرر الحركة مرة أخرى.

«شعور»

يفعلها مرة أخرى.

«الأفضل»

يفعلها مرة أخرى.

«الذي حظيت به».

مرة أخرى.

«على»

مرة أخرى.

«الإطلاق».

ظل ساكناً، وهو يتنفس بصعوبة بجانب أذني، ويقبض على يدي بقوة تؤلمني؛ لكنه لم يصدر صوتاً واحداً في أثناء وصوله إلى النقطة للمرة الثانية.

لا نتحرك.

لا نتحرك لفترة طويلة.

لا أستطيع مسح الابتسامة المتعبة من على وجهي. أنا متأكدة من أنها صارت دائمة الآن. تراجع مايلز ونظر إليّ. ابتسم عندما رأى وجهي، ما أعاد انتباهي إلى أنه لم يتواصل بصرياً معي أبداً في أي مرة كان فيها بداخلي. ما يجعلني أتساءل عما إذا كان هذا مقصوداً؟ أم أنه مجرد صدفة؟

يسألني بطريقة تثير الحنق: «هل لديك أية تعليقات؟ اقتراحات؟». أضحك: «أنا آسفة. أنا فقط... لا أستطيع... الكلمات...» هزرت رأسي لأعلمه أنني ما زلت بحاجة لبعض الوقت قبل أن أتمكن من الكلام. قال: «عاجزة عن الكلام. هذا أفضل». قبّلني على خدي، ثم نهض وسار إلى حمامه. أغمضت عيني وتساءلت كيف بحق الجحيم لهذا الأمر بيننا أن ينتهي جيداً. لن يحدث ذلك. أستطيع أن أقول ذلك بالفعل لأنني لا أريد أن أفعل هذا مرة أخرى مع أي شخص آخر. مايلز فقط.

عاد إلى غرفة النوم وانحنى ليلتقط سرواله الداخلي. التقط أيضاً ملابسني الداخلية وبنطالي الجينز ووضعهما على السرير بجواري. أعتقد أن هذه إشارته بأنه يريد مني أن أرتدي ملابسني؟ جلست وشاهدته وهو يلتقط حمالة صدري وقميصي ويعطيها لي.

في كل مرة تلتقي عيناه بعيني، بيتسم، لكنني أجد صعوبة في الرد عليه. بمجرد أن ارتديت ملابسني، سحبني وقبّلني، ثم لف ذراعيه حولي. قال: «لقد غيرت رأيي. بعد ما حدث، أنا متأكد من أن الأيام التسعة المقبلة ستكون عذاباً خالصاً». أعض على ابتسامتي، لكن دون أن يلاحظ، لأنني ما زلت مغمورة بين ذراعيه: «نعم». يقبلني على جبهتي: «هل يمكن أن توصدي الباب وأنت مغادرة». أبتلع خيبة أمني وأجد بطريقة ما القوة لأبتسم له عندما يُطلق سراحني: «بالتأكيد». أمشي نحو باب غرفة نومه وأسمعه يسقط على سريره.

أغادر، ولا أعرف ما أشعر به. لم يعدني بأي شيء أكثر مما حدث بيننا للتو. لقد فعلنا ما وافقت عليه عن طيب خاطر، وهو ممارسة الجنس. لكنني لم أكن أتوقع هذا الشعور الطاغي بالخرج.

لا بسبب الطريقة التي طردني بها مباشرة بعد أن مارسنا الجنس، بل بسبب الطريقة التي أشعر بها بفعل هذا الطرد. ظننت أنني أريد أن يكون هذا مجرد جنس خالٍ من أية مشاعر

تماماً كما يفعل هو، لكن وبناءً على نبضات قلبي في الدقيقتين الأخيرتين، لست متأكدةً من أنني قادرة على فعل أي شيء بسيط معه.

هناك صوت صغير في مؤخرة رأسي يحذرني ويطلب مني الابتعاد سريعاً قبل أن تتعقد الأمور معه. لكن لسوء الحظ، هناك صوت أعلى بكثير، يحثني على المضي قدماً ويخبرني أنني وبسبب الكثير من العمل الموجود في حياتي، أستحق القليل من المرح.

مجرد التفكير في مقدار المتعة التي حظيت بها الليلة، يكفي لجعلي أقبل وأتقبل لامبالاته بعد ذلك. وربما مع بعض من الممارسة، يمكنني أن أتعلم كيف أفعل ذلك أنا الأخرى.

أسير نحو شقتي، ثم أتوقف عندما أسمع شخصاً يتحدث. أضع أذني على الباب وأنصت. كوربين يخوض محادثة من طرف واحد في غرفة المعيشة، يبدو أنه يتحدث مع شخص ما عبر هاتفه المحمول.

لا أستطيع الدخول الآن. إنه يعتقد أنني قد ذهبت للنوم.

نظرت إلى باب شقة مايلز، لكن لا أستطيع طرده. لأن الأمر لن يكون محرّجاً فحسب، بل سيعني ذلك أيضاً أنه سيحصل على نوم أقل مما كان على وشك الحصول عليه بالفعل.

مشيت إلى المصعد وقررت الجلوس لمدة نصف ساعة في ردهة المدخل، على أمل أن يعود كوربين إلى غرفة نومه قريباً. من السخافة أنني أشعر أنني يجب أن أخفي هذا عن كوربين، لكن آخر شيء أريده هو أن ينزعج من مايلز. وهذا بالضبط ما سيحدث.

وصلت إلى ردهة المدخل وخرجت من المصعد، ولم أكن متأكدة تماماً مما أفعله. أعتقد أنه يمكنني الانتظار في سيارتي.

«هل تُهتِ؟»

ألقيت نظرة سريعة على كاب، وهو يجلس في مكانه المعتاد، مع أن الوقت قد اقترب من منتصف الليل. ربت على الكرسي الفارغ بجانبه: «تفضلي بالجلوس».

سرتُ نحو الكرسي الفارغ بجانبه. قلت: «آسفة، لم أحضر أي طعام هذه المرة». هز رأسه: «أنت لا تروقين لي بسبب طعامك، يا تاي. أنت لست طباحة ماهرة».

ضحكت، ومن الجيد أن أضحك. فالأوضاع كانت غاية في الغرابة خلال اليومين الماضيين.

سألني: «كيف كان عيد الشكر؟ هل قضى الصبي وقتاً ممتعاً؟»، نظرت إليه وأنا أميل رأسي في حيرة. «الصبي؟».

يومئذ: «السيد. آرتشر. ألم يقضِ العطلة معك أنت وأخيك؟». أومأت وقد فهمت سؤاله الآن. قلت: «نعم». أريد أن أضيف أنني متأكدة تماماً من أن السيد آرتشر حظي بأفضل عيد شكر له منذ أكثر من ست سنوات، لكنني لم أفعل ذلك: «أعتقد أن السيد آرتشر قضى وقتاً رائعاً».

«وما مغزى هذه الابتسامة؟».

مسحت ابتسامتي التي لم أكن أعرف أنها تعلو وجهي على الفور.

قطبت أنفي: «أية ابتسامة؟».

ضحك كاب وقال: «يالللجسيم. أنتِ والصبي؟ هل أنتِ واقعة في الحب يا تايث؟».

هزرت رأسي وقلت على الفور: «لا، الأمر ليس كذلك».

«كيف هو إذن؟».

نظرتُ بعيداً بسرعة عندما شعرت أن احمرار وجنتي يزحف إلى رقبتني. ضحك كاب عندما رأى وجنتي تتحولان إلى لون أحمر مثل لون الكراسي التي نجلس عليها.

قال: «قد أكون كبيراً في السن، لكن هذا لا يعني أنني لا أستطيع قراءة لغة الجسد».

«هل هذا يعني أنك والصبي... ما المصطلح الذي تستخدمونه الآن في علاقة؟

تتضاععان؟».

ملت إلى الأمام ودفنت وجهي بين يدي. لا أستطيع أن أصدق أنني أجري هذه المحادثة مع

رجل يبلغ من العمر ثمانين عاماً.

هزرت رأسي بسرعة: «أمتنع عن الإجابة عن ذلك».

قال كاب وهو يومئ برأسه: «فهمت». جلسنا هادئين لحظة بينما نُدرك ما أفصحت عنه

للتو. قال: «حسناً، هذا أمر جيد. فربما يبتسم الصبي بين الحين والآخر».

أومأت برأسي متفكّة معه. يمكنني بالتأكيد رؤية ابتسامته كثيراً الآن: «هل يمكننا تغيير هذا

الموضوع الآن؟».

أدار كآب رأسه ببطء نحوي وقوَّس حاجبه الرمادي الكثيف: «هل أخبرتك يوماً عن المرة التي وجدت فيها جثة بالطابق الثالث؟». هزرت رأسي، وأنا أشعر بالارتياح لأنه غير دفة الحديث. لكنني شعرت بالارتباك لأن موضوع الجثة منحني شعوراً بالارتياح. أنا حقاً غريبة الأطوار مثل كآب.

الفصل الرابع عشر

مايلز

قبل ست سنوات

تسألني ريتشل: «هل تعتقد أن حقيقة أننا لا ينبغي أن نفعل ذلك، هو السبب وراء ولعنا بفعل ذلك كثيراً؟».

إنها تعني تبادل القبلات.

نحن نفعل ذلك بكثرة.

نغتنم كل فرصة نحصل عليها، ونغتنم حتى الفرص التي لا نحصل عليها.

«عندما تقولين لا ينبغي، هل تقصدين لأن والدنا معاً؟»

تقول نعم. صوتها لاهث، لأنني حالياً أقبل رقبتها.

أحب الطريقة التي أسلبها بها أنفاسها.

«هل تتذكرين المرة الأولى التي رأيتك فيها يا ريتشل؟».

تموء بصوت يعني نعم.

«وهل تتذكرين مرافقتي لك إلى صف السيد كلايتون؟».

منحتني نعم أخرى دون أن تتفوه بها.

«أردت أن أقبلك في ذلك اليوم». عدت مرة أخرى إلى تقبيل شفيتها وأنا أنظر في عينيها:

«هل أردت تقبيلي؟».

قالت نعم، وأستطيع أن أرى في عينيها أنها تفكر في ذلك اليوم.

اليوم الذي أصبحت فيه كل شيء بالنسبة لي.

أسهبت: «لم نكن نعرف شيئاً عن والدنا في ذلك اليوم. ومع ذلك، ما زلنا نريد أن نفعل

هذا. لذلك لا، لا أعتقد أن هذا هو سبب ولعنا به الآن».

تضحك.

همست وأنا أفرك شفتي بهدوء على شفيتها لأظهر لها مدى روعة هذا الشعور: «أرأيت؟».

رفعت وسادتها واستندت إلى مرفقها.

سألتني: «ماذا لو أننا في المطلق نحب التقبيل؟. ماذا لو لم يكن الأمر يتعلق بي أو بك تحديداً؟».

إنها تفعل ذلك دائماً. أخبرتها أنها يجب أن تصيح محامية، لأنها تحب لعب دور محامية الشيطان كثيراً. لكني أحبها عندما تفعل ذلك، ولهذا أتفق دائماً معها.

أقول لها: «وجهة نظر سديدة. أنا أحب التقبيل. لا أعرف أي شخص لا يحبه. ولكن هناك فرقاً بين ما نفعله وبين مجرد حب التقبيل».

نظرت إلي بفضول: «ما الفرق؟».

أخفض فمي إلى فمها مرة أخرى. أهمس: «أنت، أنا أحب تقبيلك أنت».

هذا يجيب عن سؤالها، لأنها صمتت وأعدت فمها إلى فمي.

يعجبني أن ريتشل تُشكك في كل شيء.

يجعلني هذا أنظر إلى الأشياء بطريقة مختلفة.

لقد استمعت دائماً بتقبيل الفتيات اللاتي قبّلتهن في الماضي، لكن لأنني كنت منجذباً إليهن فقط. لم يكن هناك أي علاقة معهن على وجه التحديد.

عندما قبّلت جميع الفتيات الأخريات، شعرت بالسعادة. ولهذا السبب يستمتع الناس بالتقبيل، لأنه يمنحهم شعوراً جيداً.

لكن عندما تحب تقبيل فتاة ما لشخصها، فإن الفرق ليس في المتعة.

الفرق هو الألم الذي تشعر به عندما لا تُقبّلها.

لا يؤلمني عدم تقبيل أي من الفتيات الأخريات اللاتي سبق وأن قبّلتهن.

لكني أتألم عندما لا أُقبّل ريتشل.

ربما يفسر هذا لماذا الوقوع في الحب مؤلم للغاية.

أحب تقبيلك يا ريتشل.

الفصل الخامس عشر

تايت

مايلز: هل أنت مشغولة؟

أنا: مشغولة دائماً. ما أخبارك؟

مايلز: أنا بحاجة لمساعدتك. لن يستغرق الأمر وقتاً طويلاً.

أنا: سأكون عندك خلال خمس دقائق.

كان يجب أن أمنح نفسي عشر دقائق بدلاً من خمس، لأنني لم أستحم اليوم. فأنا متأكدة أنني بعد مناوبة مدتها عشر ساعات الليلة الماضية، في حاجة للاستحمام. لو كنت أعرف أنه في المنزل، لكان الاستحمام على رأس أولوياتي، لكنني اعتقدت أنه لن يعود حتى الغد. رفعت شعري لأعلى في هيئة كعكة غير محكمة الثبيت، وغيّرت ملابسني. استبدلت بنطال ملابس النوم بآخر من الجينز. لم يقترب النهار من الظهر بعد، لكنني أشعر بالحرج من الاعتراف بأنني ما زلت في السرير.

صاح بي أن أدخل، بعد أن طرقت على الباب. فدفعت الباب ليُفتح. كان يقف على كرسي بجوار إحدى نوافذ غرفة المعيشة. نظر إليّ ثم أشار برأسه نحو كرسي آخر.

قال: «أمسكي هذا الكرسي وادفعيه هناك»، مشيراً إلى مكان على بعد بضعة أقدام منه: «أحاول أخذ القياسات، لكنني لم أشتري ستائر من قبل. ولا أعرف إذا كان من المفترض أن أقيس الإطار الخارجي أم النافذة نفسها».

حسناً، ستحلّ عليّ اللعنة. إنه يشتري ستائر.

دفعت الكرسي إلى الجانب الآخر من النافذة وتسلقته. أعطاني أحد طرفي شريط القياس وبدأ في السحب.

اقترحت: «هذا يتوقف على نوع الستائر التي تريدها، لذا سأخذ قياسات كل من الإطار الخارجي، والنافذة».

كان يرتدي ملابس غير رسمية مرة أخرى، بنطال جينز وقميصاً أزرق داكناً. بطريقة ما، لون قميصه الأزرق الداكن يجعل عينيه تبدو أنقى زرقاً. يجعلهما تبدو صافيتين. يُمكن الرؤية من خلالها تقريباً، لكنني أعلم أن هذا مستحيل. لا يمكن سبر أغوار عينيه، بسبب الجدار الموجود خلفهما.

يُدون القياسات في هاتفه، ثم نأخذ قياساً آخر. بمجرد أن دَوّن القياسات في هاتفه، تنحنينا ودفننا الكراسي أسفل الطاولة.

سأل وهو يحدق في الأرضية أسفل الطاولة: «ماذا عن السجادة؟». هل تعتقدون أنني يجب أن أحصل على سجادة؟».

هزرت كتفي: « هذا يعتمد على ما تُفضّله.».

أوماً برأسه ببطء، وظل يحدق في الأرض العارية.

قال بهدوء: «لم أعد أعرف ما الذي أفضّله بعد الآن.» ألقى شريط القياس على الأريكة

ونظر إلي: «هل تريدون المجيء معي؟».

امتنعت عن الإيماء بالموافقة على الفور: «إلى أين؟».

رفع شعره عن جبهته ووصل إلى سترته الملقاة على ظهر الأريكة: «إلى حيث يشتري الناس الستائر».

يجب أن أقول لا. انتقاء الستائر شيء يفعله الأزواج. انتقاء الستائر شيء يفعله الأصدقاء.

اختيار الستائر ليس شيئاً يجب على مايلز وتايت فعله إذا أرادا الالتزام بقواعدهما، لكنني تماماً، وبكل تأكيد، وحتماً، لا أريد أن أفعل أي شيء آخر.

هزرت كتفي بخفة، كي أجعل إجابتي تبدو أكثر عرضية مما هي عليه بالفعل: «حسناً. دعني

أوصد بابي».

سألته عندما كنا في المصعد: «ما لونك المفضل؟». أحاول صب تركيزي على المهمة التي

أؤديها، لكن لا أستطيع أن أنكر رغبتني في أن يمد يده ويلمسني. قبلة، عناق... أي شيء.

لكننا نقف على طرفين متعاكسين داخل المصعد. لم نتلامس منذ الليلة التي مارسنا فيها

الجنس أول مرة. لم نتحدث أو نبعث رسائل نصية منذ ذلك الحين أيضاً.

يقول وهو غير متأكد من إجابته: «أسود؟. أنا أحب اللون الأسود». أهز رأسي. «لا يمكنك تعليق ستائر سوداء. أنت بحاجة إلى لون. ربما شيء قريب من الأسود، ولكن ليس الأسود».

سأل: «الأزرق الداكن؟». لاحظت أن عينيه لم تعد تركز على عيني بعد الآن. كانت عيناه تتحركان ببطء من رقبتى وصولاً إلى قدمي.

أستطيع أن أشعر بعينيه، في كل مكان تمر عليه. أقول بهدوء: «ربما يليق الأزرق الداكن». أنا متأكدة من أن هذا الحديث يدور فقط، من أجل إجراء محادثة. أستطيع أن أرى من الطريقة التي ينظر بها إلي، أن لا أحد منا يفكر في الألوان أو الستائر أو السجاد في الوقت الحالي.

«هل عليك العمل الليلة يا تاي؟».

أومئ بالإيجاب. يروق لي أنه يفكر في هذه الليلة، وأحب الطريقة التي ينهي بها معظم أسئلته باسمي. أنا أحب كيف يقول اسمي. يجب أن أطلب منه أن يقول اسمي في كل مرة يتحدث معي: «ليس من الضروري أن أكون في العمل قبل العاشرة».

يصل المصعد إلى الطابق السفلي، فتتجه نحو الأبواب في الوقت نفسه. تلامس يده جزءاً صغيراً من ظهري، فيسري في جسدي تيار لا يمكن إنكاره. لقد كنت معجبة بشباب من قبل، بل وقعت في الحب سابقاً، لكن لم تكن أي من لمسات هؤلاء قادرة على جعلني أستجيب بالطريقة التي يفعل هو بها ذلك.

ما إن خطوات خارج المصعد، حتى تركت يده ظهري. الآن أدرك غياب لمستته أكثر من قبل أن يلمسني. كل قليل أحصل عليه، يجعلني أتوق بشدة إلى الأكثر.

الكابتن ليس في مكانه المعتاد. لكن هذا ليس مفاجئاً، مع الأخذ في الاعتبار أن الوقت ما زال ظهراً. إنه ليس شخصاً صباحياً جداً. ربما لهذا السبب نتفق جيداً.

يسأل مايلز: «هل تشعرين بالرغبة في المشي؟».

أقول له نعم، مع أن الجو بارد في الخارج. أفضل المشي، ونحن بالفعل قريبان من العديد من المتاجر التي قد يجد فيها ما يبحث عنه. اقترحت عليه متجراً مررت به قبل بضعة أسابيع، على بعد بنائيتين فقط من حيث كنا.

قال وهو يفتح لي الباب: «من بعدك». خطوت إلى الخارج وأحكمتُ معطفي حولي أكثر. أشك بشدة في أن مايلز من النوع الذي يمسك الأيدي في الأماكن العامة، لذلك لا أهتم لفكرة أن يدي ليست متاحة كي يمسكها. أعانق نفسي لأشعر بالدفء، ونبدأ في المشي جنباً إلى جنب. كنا هادئين في معظم الطريق، لكنني لا أتدمر. فأنا لست شخصاً يشعر بالحاجة إلى محادثة مستمرة، وأعرف أنه ربما يكون الشيء نفسه.

قلت: «إنه هنا»، وأشرت إلى اليمين عندما وصلنا إلى ممر للمشاة. ألقيت نظرة على رجل مسن يجلس على الرصيف، مرتدياً معطفاً رقيقاً وممزقاً. عيناه مغمضتان، والقفزات التي يرتديها في يديه المرتعشتين مليئة بالثقوب.

لقد كنت دائماً متعاطفة مع الأشخاص الذين ليس لديهم شيء وليس لديهم مكان يذهبون إليه. يكره كوربين أنني لا أستطيع أبداً المرور بالمشردين دون منحهم ما لا أو طعاماً. ويقول إن معظمهم بلا مأوى لأنهم مدمنون، وعندما أعطيتهم المال، فإن هذا يغذي إدمانهم.

بصراحة، لا يهمني إن كان الأمر هكذا. فإن كان شخص ما بلا مأوى، لأن حاجته إلى شيء آخر أقوى من حاجته إلى منزل، فهذا لن يثني. ربما أنا ممرضة، لكنني أو من أن الإدمان ليس اختياراً. الإدمان مرض، ويؤلمني أن أرى الناس مجبرين على العيش بهذه الطريقة لأنهم غير قادرين على مساعدة أنفسهم. كنت سأعطيهم المال لو أنني أحضرت حقيبتني معي.

أدركت أنني لم أعد أمشي عندما شعرت بأن مايلز يسرق نظرة سريعة في اتجاهي. إنه يراقبني وأنا أشاهد الرجل العجوز، لذلك أسرع في مشيتي ولحقت به. لم أقل أي شيئاً للدفاع عن التعبير المضطرب المرتسم على وجهي. هذا لا يجدي. لقد عانيت مع كوربين بما يكفي لأعلم أنني لا أملك الرغبة في محاولة تغيير كل الآراء التي لا أتفق معها.

قلتُ وأنا أتوقف أمام المتجر: «ها هو ذا».

توقف مايلز عن المشي وتفحص المعروض داخل نافذة المتجر. يسأل وهو يشير إلى نافذة العرض: «هل يعجبك ذلك؟». اقتربت خطوة وشاركته النظر إلى المعروض. إنها نافذة عرض لغرفة نوم، لكن بها عناصر يبحث عنها. السجادة الموجودة على الأرض ذات لون رمادي وبها عدة أشكال هندسية بدرجات مختلفة من اللون الأزرق والأسود. تبدو وكأنها تناسب ذوقه تماماً.

لكن الستائر ليست زرقاء داكنة. إنها رمادية اللون، مع خط أبيض عمودي أسفل الجانب الأيسر من التصميم.

أجيب: «يُعجبني ذلك حقاً».

يخطو أمامي ويفتح الباب للسماح لي بالدخول أولاً. تشق بائعة طريقها نحو الأمام قبل أن يغلق الباب خلفنا. تسأل إذا كان بإمكانها مساعدتنا في العثور على أي شيء. يشير مايلز إلى نافذة العرض: «أريد تلك الستائر. أربعة منهم. والسجادة».

تبتسم البائعة وتشير لنا أن نتبعها: «ما العرض والارتفاع الذي تحتاجه؟».

سحب مايلز هاتفه وقرأ لها القياسات. ساعدته في اختيار أعمدة الستائر ثم أخبرتنا أنها ستستغرق بضع دقائق. اتجهت إلى الخلف وتركتنا وحدنا عند صندوق الدفع. نظرت حولي، وشعرت فجأة بالرغبة في اختيار ديكورات لمنزلي. أخطط للبقاء مع كوربين بضعة أشهر أخرى، لكن لن يضرني أن يكون لدي فكرة عما أريده لمنزلي عندما أغادر أخيراً. آمل أن يكون التسوق عندما يحين ذلك الوقت سهلاً كما كان الحال مع مايلز اليوم.

قلت له: «لم أرَ أحداً يتسوق بهذه السرعة من قبل».

«مُحبطة؟».

أهز رأسي بسرعة. إذا كان هناك شيء واحد لا أجيد فعله بصفتي فتاة، فهو التسوق. في الواقع أشعر بالارتياح لأن الأمر استغرق دقيقة واحدة فقط. سأل: «هل تعتقد أنه يجب إلقاء النظر لفترة أطول على المعروض حولي؟». إنه الآن يتكئ على المنضدة ويراقبني. تعجبني الطريقة التي ينظر بها إلي، وكأنني الشيء الأكثر إثارة للاهتمام في المتجر.

«إذا كان ما اخترته بالفعل يعجبك، فلا تستمر في البحث. عندما تعرف، فأنت تعرف».

التقت نظراتنا، وفي اللحظة التي يحدث فيها ذلك، يجف فمي. إنه يركز علي، والنظرة الجادة على وجهه تجعلني أشعر بعدم الارتياح والتوتر والإثارة، في الوقت ذاته. ابتعدت عن المنضدة واتجه نحو ي.

«تعالى إلى هنا». وصلت أصابعه إلى يدي وأمسك بها، وبدأ في سحب خلفه.

دقات قلبي أصبحت مُزعجة. هذا أمر محزن حقاً.

إنها مجرد أصابع يا تاي. لا تدعيها تؤثر فيك بهذه الطريقة.

واصل سيره حتى وصل إلى ساتر خشبي ثلاثي الطي، مزين بكتابة آسيوية من الخارج. إنه أحد السواتر التي يضعها الأشخاص في زوايا غرف النوم. والتي لم أفهمها قط. أمي لديها واحدة، وأشك في أنها قد سبق لها أن وقفت وراءها لتغيير ملابسها. سألته: «ماذا تفعل؟».

استدار وواجهني وهو لا يزال ممسكاً بيدي. ابتسم وخطى خلف الساتر الخشبي، وسحبني معه لتكون مخفيين عن بقية المتجر. لم أستطيع إلا أن أضحك، لأنني شعرت كما لو أننا في المدرسة الثانوية، نختبئ من المعلم.

التقي إصبعه بشفاهي. همس وهو يبتسم لي ويحدق في فمي: «ششش». توقفت فوراً عن الضحك، ولكن ليس لأنني لم أعد أجد هذا مسلياً. توقفت عن الضحك لأنه بمجرد أن ضغط إصبعه على شفتي، نسيت كيف أضحك. أنسى كل شيء.

الآن، الشيء الوحيد الذي يمكنني التركيز عليه هو إصبعه وهو ينزلق بهدوء أسفل فمي وذقني. تتبع عيناه طرف إصبعه وهو يواصل التحرك بلطف نحو أسفل حلقي، وصولاً إلى صدري، إلى أسفل، إلى أسفل، إلى بطني.

أشعر بأن هذا الإصبع الواحد يلمسني بإحساس ألف يد. إن رثتي وعدم قدرتها على المجازاة، دليل على ذلك.

لا تزال عيناه مركزتين على إصبعه الذي توقف عند الجزء العلوي من بنطالي الجينز، فوق الزر مباشرة. ومع أن إصبعه لم يلامس بشرتي، فإن تسارع نبضات قلبي، يشي بغير ذلك. تدخل يده بالكامل على الخط الآن، وهو يتتبع آثار بطني بخفة، حتى الجزء العلوي من قميصي ثم تعود يده لتلتقي بخصري. قبضت كلتا يديه على فخذي وسحبني إلى الأمام، وثبتني أمامه.

أغلق عينيه لفترة وجيزة، وعندما فتحها مرة أخرى، لم يعد للنظر إلى الأسفل. إنه ينظر إلي مباشرة.

يقول: «لقد كنت أرغب في تقبيلك منذ أن دخلت من باب منزلي اليوم».

اعترافه جعلني ابتسم: «لديك صبر مدهش».

تركت يده اليمنى فخذي، ورفعتها إلى جانب رأسي، ولمس شعري بنعومة متناهية. بدأ بهز رأسه في اعتراض بطيء: «لو كان لدي صبر مدهش، لما كنت معي هنا الآن».

تمسكت بتلك الجملة وحاولت على الفور استنباط المعنى الكامن وراءها، لكن في اللحظة التي تلمس فيها شفتيه شفتي، لا أعود مهتمة بالكلمات التي خرجت من فمه. أنا فقط أهتم بفمه وكيف يشعر عندما يغزو فمي.

قبلته بطيئة وهادئة، عكس نبضي تماماً. تتحرك يده اليمنى إلى مؤخرة رأسي، ويده اليسرى تنزلق إلى أسفل ظهري. يستكشف فمي بصبر، كما لو كان يخطط لإبقائي خلف هذا الساتر لبقية اليوم.

أستجمع كل ما أستطيع أن أجده من قوة الإرادة كي أمنع نفسي من لف ذراعي وساقني من حوله. أحاول أن أجِد الصبر الذي يُظهره بطريقة ما، لكن من الصعب أن أجده في الوقت الذي تُفجّر فيه أصابعه ويدها وشفته ردادات الفعل الجسدية هذه مني.

ينفتح باب الغرفة الخلفية، ويصبح صوت نقرة كعب البائعة على الأرض مسموعاً. يتوقف عن تقبيلي، بينما قلبي يبكي.

لحسن الحظ، فإن هذا البكاء يمكن الشعور به فقط، وليس سماعه.

بدلاً من الابتعاد ليعود إلى المنضدة، أحاط وجهي بيديه، وهو ينظر إلي في صمت لعدة ثوانٍ. مرر إبهامه بخفة على فكي، وأطلق نفساً ناعماً. حواجه مُعقدة، وعيناه مغمضتان. ضغط بجبهته على جبهتي، وهو لا يزال ممسكاً بوجهي، وأستطيع أن أشعر بصراعه الداخلي. «تأيت».

يقول اسمي بهدوء شديد لدرجة أنني أشعر بالندم على الكلمات التي لم يتفوه بها بعد: «أنا أحب...» يفتح عينيه وينظر إلي: «أنا أحب تقبيلك يا تأيت».

لا أعرف لماذا بدأت هذه الجملة صعبة عليه، لكن صوته تراجع نحو النهاية وكأنه يحاول منع نفسه من إنهاء كلماته.

ما إن خرجت الجملة من فمه، أطلق سراحي وتحرك بسرعة حول الساتر وكأنه يحاول الهرب من اعترافه. «أحب تقبيلك يا تأيت».

على الرغم من الندم الذي أعتقد أنه يشعر به لقوله هذه الكلمات، فإنني متأكدة تماماً من أنني سأكررها بصمت لبقية اليوم.

أقضي عشر دقائق كاملة في التجول بالمعرض دون تفكير، وأعيد مجاملته في رأسي مراراً وتكراراً بينما أنتظره حتى ينهي معاملته.

كان يسلم بطاقته الائتمانية عندما وصلت إلى المنضدة. قالت البائعة: «سنسلمها خلال ساعة». أعادت له البطاقة الائتمانية وبدأت في رفع الحقائق عن المنضدة لوضعها خلفها. يأخذ منها إحدى الحقائق عندما تبدأ في رفعها. ويقول: «سأخذ هذا». يستدير ويواجهني: «مستعدة؟».

شققنا طريقنا نحو الخارج، وبدا الأمر كما لو أن درجة الحرارة انخفضت بطريقة ما عشرين درجة، منذ آخر مرة كنا فيها بالخارج. ربما يكون ذلك فقط لأنه جعل الأمور تبدو أكثر دفئاً في الداخل.

وصلنا إلى الزاوية، وبدأت أعود باتجاه المجمع السكني، لكنني لاحظت أنه توقف عن المشي. استدرت، كان يسحب شيئاً من الحقيبة التي يحملها. مزق بطاقة، وانكشفت بطانية. لا، لم يفعل.

يمد البطانية إلى الرجل العجوز الذي لا يزال هناك على الرصيف. ينظر الرجل إليه ويأخذ البطانية. ولا يقول أيُّ منهما كلمة واحدة.

يسير مايلز نحو سلة المهملات القريبة ويلقي الكيس الفارغ فيها، ثم يتجه نحوي بينما يحرق في الأرض. حتى إنه لم يتواصل معي بصرياً عندما بدأنا بالسير في اتجاه المجمع السكني.

أريد أن أقول له شكراً، لكنني لا أفعل. إذا قلت له شكراً لك، فسيبدو الأمر وكأنني أفترض أنه فعل ذلك من أجلي.

أعلم أنه لم يفعل ذلك من أجلي.

لقد فعل ذلك من أجل الرجل الذي كان يشعر بالبرد.

ما إن عدنا إلى المنزل، حتى طلب مايلز مني العودة إلى شقتي. قال إنه لا يريدني أن أرى شقته حتى يعلق كل شيء، وهو أمر جيد، فقد كان لدي الكثير من الواجبات المنزلية التي يجب إنجازها على أي حال. لم يكن لدي في جدولتي أي وقت كافٍ لتركيب الستائر، لذلك كنت ممتنة أنه لم يتوقع مساعدتي.

لقد بدا متحمساً بعض الشيء بشأن تعليق الستائر الجديدة. بقدر ما قد يبدو مايلز متحمساً على أية حال.

مرت عدة ساعات الآن. يجب أن أكون في العمل خلال أقل من ثلاث ساعات، وبمجرد أن أبدأ في التساؤل عما إذا كان سيطلب مني العودة، أتلقى رسالة نصية منه.

مايلز: هل تناولت طعامك بعد؟

أنا: نعم.

أشعر بخيبة أمل فجأة لأنني تناولت العشاء بالفعل. لكنني سئمت من انتظاره، ولم يقل أي شيء عن خطط للعشاء.

أنا: أعد كوربين قبل مغادرته ليلة أمس رغيف اللحم. هل تريد مني أن أحضر لك طبقاً؟

مايلز: أحب ذلك. أنا أنضوّر جوعاً. تعالي وانظري الآن.

أصنع له طبقاً وأغلفه بورق الألومنيوم وأتوجه عبر الردهة. يفتح الباب قبل أن أطرقه. يأخذ الطبق من يدي.

يقول: «انتظري هنا». يدخل إلى شقته ويعود بدون الطبق بعد ثوانٍ: «مستعدة؟».

ليس لدي أي فكرة عن كيفية معرفة أنه متحمس، لأنه لا يبتسم. لكنني أسمع ذلك في صوته. هناك تغيير طفيف، وهذا يجعلني أبتسم، لمعرفة أن شيئاً بسيطاً مثل تعليق بعض الستائر يمنحه شعوراً جيداً. لا أعرف السبب، ولكن يبدو أنه لا يوجد الكثير في حياته مما يمنحه هذا الشعور الجيد، لذلك يعجبني هذا الأمر.

فتح الباب على مصراعيه، وسرت بضع خطوات إلى داخل الشقة. أسدل الستار، ومع أنه تغيير طفيف، فإنه يبدو هائلاً.

فكرة أنه عاش هنا نحو أربع سنوات، وأنه يعلق الآن ستائر يضيفني على الشقة بأكملها طابعاً مختلفاً.

قلت له وأنا معجبة بمدى توافق الستائر مع القليل الذي أعرفه عن شخصيته: «لقد كان اختياراً جيداً».

نظرت إلى السجادة، وكان بإمكانه رؤية الارتباك وهو يرتسم على وجهي.
قال وهو ينظر إليها: «أعلم أنه من المفترض أن توضع تحت الطاولة».
«وهذا ما سيحدث. في النهاية».

كانت السجادة موضوعة في مكان غريب. إنها ليست في وسط الغرفة أو حتى أمام الأريكة.
أنا محتارة بشأن سبب وضعه لها في هذا المكان إذا كان يعرف المكان الذي يبدو مناسباً لها.
«لقد تركتها هنا لأنني كنت آمل أن تتمكن من تدشينها أولاً».

نظرت إليه مرة أخرى ورأيتُ التعبير المفعم بالأمل على وجهه. ما جعلني أبتسم. قلت وأنا
أنظر إلى السجادة: «أحب هذه الفكرة».

خيم صمت طويل علينا. لست متأكدة مما إذا كان يريد تدشين السجادة الآن، أم أنه يريد
أن يأكل أولاً. كلاهما جيد بالنسبة لي. طالما أن خطته تتناسب مع إطار الزمني الذي مدته
ثلاث ساعات.

عندما تحدث مرة أخرى، كنا لا نزال نحدق في السجادة. قال مجيباً عن السؤال الذي كان
يدور في رأسي بصمت: «سأتناول الطعام لاحقاً».

خلع قميصه، وخلعت حذائي، وانتهى الأمر ببقية ملابسنا معاً، بجوار السجادة.

الفصل السادس عشر

مايلز

قبل ست سنوات

كل شيء أصبح أفضل الآن بعد أن أصبح لدي ريتشل.
النوم أصبح أفضل، وأنا أعرف أن ريتشل تنام الآن في الجهة المقابلة من الردهة.
الاستيقاظ كل صباح صار أفضل بكثير، وأنا أعلم أن ريتشل تستيقظ في الجانب الآخر من
الردهة.

الذهاب إلى المدرسة أفضل، لأننا نذهب معاً الآن.
قلت لريتشل عندما توقفنا في باحة انتظار السيارات الخاصة بالمدرسة: «دعينا نتغيب
اليوم».

أنا متأكد من أن التغيب عن المدرسة أفضل مع ريتشل.
«ماذا لو ضبطونا؟»
لا يبدو أنها تهتم حقاً إذا ضبطونا.
أقول لها: «آمل أن يحدث ذلك. فهذا يعني أننا سنُعاقب بالحبس. معاً. في المنزل نفسه».
كلماتي تجعل ريتشل تبتسم. تميل عبر المقعد وتضع يدها حول رقبتني. يروق لي أن تفعل
ذلك.

«إن البقاء معك يبدو ممتعاً حقاً. دعنا نفعل ذلك». تميل إلى الأمام وتعطيني قبلة بسيطة
وسريعة على الشفاه.

القبلات البسيطة أفضل عندما تكون من ريتشل.
أقول لها: «أنتِ تجعلين كل شيء أفضل. حياتي أفضل معك».
جعلت كلماتي ريتشل تبتسم مرة أخرى. ريتشل لا تعرف هذا، لكن كل كلمة أتفوه بها،
أنطقها لهذا السبب الوحيد. لجعلها تبتسم.

خرجت من ساحة انتظار السيارات وأخبرت ريتشل أننا ذاهبان إلى الشاطئ. تقول إنها تريد بدلة السباحة الخاصة بها، لذلك نذهب إلى المنزل أولاً ونحضر ملابس السباحة الخاصة بنا. ونحزم أيضاً وجبة غداء وبطانية.

نذهب إلى الشاطئ.

تريد ريتشل أخذ حمام شمس في أثناء القراءة.

أريد أن أشاهد ريتشل وهي تأخذ حمام شمس في أثناء القراءة.

إنها مستلقية على بطنها، مستندة على مرفقيها. أضع رأسي على ذراعي وأراقبها.

تتبع عيني منحنيات كتفيها الناعمة.

تَشَبَّ ظهرها... بالطريقة التي تحني بها ركبتيها وترفع ساقيها في الهواء وتعدد قدميها عند الكاحلين.

ريتشل سعيدة.

أنا أجعل ريتشل سعيدة.

أنا أجعل حياة ريتشل أفضل.

حياتها أفضل مع وجودي فيها.

همست: «ريتشل».

تضع علامتها المرجعية داخل الكتاب وتغلقه، لكنها لا تنظر إلي.

«أريد أن تعرفي شيئاً».

أومأت برأسها، لكنها أغمضت عينيها وكأنها تريد التركيز على صوتي ولا شيء آخر.

«عندما ماتت أمي، توقفت عن الإيمان بالله».

وضعت رأسها على ذراعيها وأبقت عينيها مغمضتين.

«لم أكن أعتقد أن الله سيجعل شخصاً يعاني كل هذا القدر من الألم. لم أكن أعتقد أن الله

سيجعل شخصاً يعاني مثلما عانت. لم أكن أعتقد أن الله قادر على جعل شخص ما يمر بشيء

بشع إلى هذا الحد».

تسقط دمعة من عيون ريتشل المغلقة.

«لكن بعد ذلك التقيتك، وكل يوم منذ ذلك الحين، أتساءل كيف يمكن لشخص أن يكون جميلاً جداً إذا لم يكن هناك إله. لقد تساءلت كيف يمكن لشخص أن يجعلني سعيداً للغاية إذا لم يكن الله موجوداً. وأدركت... الآن... أن الله يمنحنا القبح حتى لا نأخذ الأشياء الجميلة في الحياة على أنها أمر مُسلّم به».

كلماتي لا تجعل ريتشل تبسم.

كلماتي تجعل ريتشل عابسة.

كلماتي تجعل ريتشل تبكي.

همست: «مايلز».

تقول اسمي بهدوء شديد كما لو أنها لا تريدني أن أسمعها.

تنظر إلي، وأستطيع أن أرى أن هذه اللحظة ليست من اللحظات الجميلة بالنسبة لها. ليس

كما هو الحال بالنسبة لي.

«مايلز... لقد تأخرت دورتي الشهرية».

الفصل السابع عشر

تايت

كوربين: هل تريدان تناول العشاء؟ في أي وقت ستخرجين من العمل؟

أنا: خلال عشر دقائق. في أي مكان؟

كوربين: نحن قريبون. سوف نلتقي بك أمام المستشفى؟

نحن؟

لا أستطيع تجاهل الإثارة التي غمرتني بها هذه الرسالة. لا بد وأن «نحن» تعنيه هو ومايلز. لا أستطيع أن أفكر في أي شخص آخر سيأتي معه، وأعلم أن مايلز عاد إلى المنزل الليلة الماضية.

أنهت آخر أعمال الورقية، ثم توقفت في الحمام لتفحص شعري - أكره أنني أهتم - قبل التوجه إلى الخارج لمقابلتهم.

في اللحظة التي خطوت فيها خارجاً، كان الثلاثة يقفون بالقرب من المدخل. إيان ومايلز مع كوربين. ابتسم إيان عندما رأيته، لأنه الوحيد الذي كان يواجهني. استدار كوربين على عقبه عندما وصلت إليهم.

«مستعدة؟ نحن ذاهبون إلى مطعم جاك».

إنهم فريق تماماً. جميعهم يتمتعون بمظهر جذاب بطريقتهم الخاصة، لكنهم يصبحون أكثر وسامة عندما يرتدون سترات الطيارين الخاصة بهم ويمشون في مجموعة مثل هذه. لا أستطيع أن أنكر أنني أشعر بأذني لا أرتدي أي ملابس إلى حد ما، وأنا أمشي بجانبهم مرتدية زيّ العمل.

قلت: «دعونا نفعل ذلك. أنا أتضور جوعاً».

ألقيت نظرة سريعة على مايلز، فأعطاني إيماءة بسيطة دون أن يبتسم. يداه مثبتتان بقوة في جيوب سترته، وأشاح بنظره بعيداً، عندما بدأنا جميعاً في السير. لقد كان يسبقني بخطوة طوال الوقت، لذا مشيت بجوار كوربين.

سألت ونحن نتجه نحو المطعم: «ما المناسبة؟ هل نحتفل أنكم جميعاً لا تعملون في الليلة نفسها؟». أُجريت محادثة صامته حولي. نظر إيان إلى مايلز. ونظر كوربين إلى إيان. ومايلز لا ينظر إلى أحد. يُبقي عينيه للأمام، ويركز على الرصيف الذي أمامنا.

سألني كوربين: «هل تتذكرين عندما كنا أطفالاً وأخذنا أمي وأبي إلى مطعم لا كابريس الإيطالي؟».

أتذكر تلك الليلة. لم يسبق لي أن رأيت أبي أكثر سعادة. ربما كنت في الخامسة أو السادسة من عمري، لكنها واحدة من الذكريات القليلة التي لدي في هذه السن المبكرة. كان ذلك اليوم الذي أصبح فيه أبي كبير الطيارين في خطوط الطيران التي يعمل بها.

توقفت ونظرت على الفور إلى كوربين: «هل أصبحت كابتن؟ لا يمكنك ذلك. أنت صغير جداً». أعلم حقيقة مدى صعوبة الحصول على لقب كابتن وعدد الساعات التي يجب أن يقضيها الطيار حتى يؤخذ بعين الاعتبار. معظم الطيارين في العشرينيات من عمرهم، مساعدو طيارين.

يهز كوربين رأسه. تتقاطع عيناه مع مايلز ويقول: «لم أحصل على لقب كابتن. لقد تنقلت كثيراً بين شركات الطيران، لكن السيد سجّلتني لساعات طيران إضافية، هنا، حصل على ترقية صغيرة لطيفة اليوم. لقد حطم الرقم القياسي للشركة». نظرت إلى مايلز، وهو يهز رأسه في وجه كوربين. أستطيع أن أقول إنه يشعر بالحرج لأن كوربين أعلن ذلك، لكن تواضعه هو مجرد شيء آخر أجده جذاباً فيه. لدي شعور بأن صديقهم ديلون، إذا أصبح كابتن، فسيكون واقفاً فوق منضدة عالية في مكان ما، مُعلنًا ذلك للعالم أجمع، عبر مكبر صوت.

قال مايلز: «إنه ليس بالأمر الجلل. إنها شركة طيران إقليمية. وليس هناك العديد من الأشخاص للترقي». هز إيان رأسه: «لم أحصل على ترقية. لم يترق كوربين. لم يترق ديلون. وانضمت إلى هذه الشركة بعدنا بعام، ناهيك عن حقيقة أنك تبلغ من العمر أربعة وعشرين عاماً فقط». ثم دار على عقبه ووقف أمامنا: «اترك التواضع لمرة واحدة يا رجل. وضع هذا الإنجاز في أعيننا. سنفعل ذلك بك إذا عكست الأدوار».

لا أعرف منذ متى وهم أصدقاء، لكن إيان يروق لي. أستطيع أن أقول أنه ومايلز قريبان، لأن إيان فخور به حقاً ولا يشعر بالغيرة مُطلقاً. أحب أن هؤلاء هم أصدقاء كوربين. يسعدني أن

كوريين يحظى بهذا الدعم. لا أعرف لماذا تصورته دائماً وهو بعيد عن المنزل، يعيش هنا، ويعمل كثيراً، ويقضي كل وقته بمفرده. كان والدنا طياراً، وكان يقضي في المنزل وقتاً لا بأس به؛ لذا لا ينبغي أن يكون لدي مفاهيم خاطئة عندما يتعلق الأمر بحياة كوريين طياراً. أعتقد أن كوريين ليس الوحيد الذي يشعر بالقلق على أخته دون داع. وصلنا إلى المطعم، فتح كوريين لنا الباب. دخل إيان أولاً، ثم تراجع مايلز، ليسمح لي بالدخول أمامه.

قال إيان: «سأذهب إلى الحمام. سوف أجدكم يا رفاق». سار كوريين نحو منصة إدارة الحجوزات، وأنا ومايلز خلفه. ألقى نظرة سريعة على مايلز: «مبروك يا كابتن».

قلتها بصوت خافت جداً، دون أن أعرف السبب. ليس الأمر كما لو أن كوريين سيشعر بالريبة إذا سمعني أهني مايلز. لكن أعتقد أنها ستعني الكثير، إذا قلتها بنبرة لا يسمعونها إلا مايلز.

وجه مايلز عينيه نحو عيني وابتسم، ثم نظر إلى كوريين. عندما رأى أن ظهر كوريين لا يزال لنا، انحنى وطبع قبلة سريعة على جانب رأسي.

يجب أن أشعر بالخجل من ضعفي. لا ينبغي السماح لرجل أن يُشعري بالطريقة التي جعلتني هذه القبلة المسروقة أن أشعر بها. يبدو الأمر كما لو أنني فجأة أطفو أو أغرق أو أطيرو. أي شيء لا يحتاج إلى دعم من ساقِي، لأنها أصبحت عديمة الفائدة بالنسبة لي.

همس وهو لا يزال يبتسم تلك الابتسامة الرائعة والمتواضعة إلى حد ما: «شكراً لك»، وكز كتفي بكتفه ونظر إلى قدميه: «تبدين جميلة يا تاي».

أريد أن ألصق هذه الكلمات الأربع على لوحة إعلانية، وأمر عليها يوماً خلال رحلة إلى العمل. لن آخذ يوماً آخر إجازة من العمل أبداً.

بقدر ما أريد أن أصدق أن مجاملته صادقة، فإنني أشعر بالاستياء من الزي الذي كنت أرتديه لمدة اثنتي عشرة ساعة متواصلة: «أنا أرتدي ملابس ميني ماوس».

مال نحوي مرة أخرى حتى تلامست أكتافنا. وقال بهدوء: «لقد كان لدي دائماً ذلك الولع تجاه ميني ماوس». استدار كوريين، لذا مسحت الابتسامة عن وجهي على الفور: «كُشك أم

طاولة؟».

هزرت أنا ومايلز أكتافنا وقال لكوربين: «سيان».

عاد إيان من الحمام في الوقت الذي قادتنا فيه المضيضة نحو مقاعدنا. سار كوربين وإيان في المقدمة، ثم أنا وخلفي تماماً مايلز. قريب جداً. قبضت يده على خصري ومال إلى الأمام نحو أذني، وهمس قائلاً: «لدي هذا الولع أيضاً للممرضات».

اجتاحت القشعريرة رقبتني بأكملها، فرفعت كتفي لأفرك أذني التي همس فيها للتو، حرر خصري ووضعت مسافة بيننا عندما وصلنا إلى كشك تناول الطعام. انطلق كوربين وإيان بسرعة للجلوس كلٌّ على جانب. جلس مايلز بجوار إيان، فجلست أنا بجوار كوربين، أمام مايلز مباشرةً على الجانب الآخر.

طلبنا أنا ومايلز مياهاً غازية، بينما طلب كوربين وإيان الجعة. اختيار مشروبه، كان مجرد شيء آخر فكرت فيه ملياً. فقبل عدة أسابيع، اعترف بأنه عادةً لا يشرب، لكن بالنظر إلى أنه كان ضائعاً للغاية في الليلة الأولى التي التقيته، فكنت أظن أنه سيحتسي مشروباً واحداً على الأقل الليلة. بالتأكيد لديه سبب للاحتفال. عندما أحضرت المشروبات إلى الطاولة، رفع إيان كأسه. قائلاً: «في نخب إحراجك لنا».

أضف كوربين: «مرة أخرى».

قال مايلز مدافعاً دفاعاً وهمياً: «أنا أعمل ضعف عدد الساعات التي يعملها أيُّ منكما».

رد إيان قائلاً: «أنا وكوربين نعيش حياة جنسية تتعارض مع العمل الإضافي».

هز كوربين رأسه: «ممنوع مناقشة حياتي الجنسية أمام أختي».

قلت فجأة: «ولم لا؟». ليس الأمر وكأنني لا ألاحظ كل الليالي المتفرقة التي تقضيها بعيداً عن البيت عندما لا تعمل». همهم كوربين: «أنا جاد. غيروا الموضوع».

وافقت على طلبه بكل سرور: «منذ متى وأنتم الثلاثة تعرفون بعضكم بعضاً؟»، لم أطرح

هذا السؤال على أحد منهم بعينه، لكن يهمني فقط سماع الإجابات التي تتعلق بمايلز.

قال إيان: «أنا ومايلز نعرف أخاك منذ أن التقيناه في مدرسة الطيران قبل بضع سنوات، وأعرف مايلز منذ أن كنت في التاسعة أو العاشرة من عمري». صحح له مايلز: «كلانا كان في الحادية عشرة. لقد التقينا خلال الصف الخامس». ليس لدي أي فكرة عما إذا كانت هذه

المحادثة تخالف القاعدة الأولى المتمثلة في عدم السؤال عن الماضي، لكن لا يبدو أن مايلز غير مرتاح بالحديث عنه.

أحضرت لنا النادلة سلة خبز مجانية، لكن لم يكن أحد منا قد فتح قائمة الطعام حتى الآن، لذا أخبرتنا أنها ستعود بعد قليل لأخذ الطلب.

قال كوربين لمايلز، وهو يغير الموضوع تماماً مرة أخرى بينما يفتح قائمته: «ما زلت لا أستطيع أن أصدق أنك لست مثلياً». نظر مايلز إليه من خلال قائمته: «اعتقدت أننا لن نناقش الحياة الجنسية».

قال كوربين: «لا. قلت أننا لن نناقش حياتي الجنسية. علاوة على ذلك، ليس لديك أي شيء لمناقشته». ثم وضع كوربين قائمته على الطاولة، ووجه الكلام مباشرةً لمايلز: «جدياً، لماذا لا تواعد أبداً؟». هز مايلز كتفيه، لأنه مهتم بالمشروب الذي بين يديه أكثر من التحديق بأخي: «العلاقات لا تستحق عناء نهايتها بالنسبة لي».

شيء ما تصدّع في قلبي، وبدا لي أن أحدهم قد يسمع صوته، بعد أن خيم الصمت علينا. مال كوربين إلى الخلف في مقعده.
«اللعة. لا بد أنها كانت عاهرة لعينة».

ركّزت بنظري فجأة على مايلز، في انتظار رد فعله على الكشف المحتمل عن ماضيه. هز رأسه قليلاً، رافضاً بصمت افتراض كوربين. نظف إيان حلقه بلطف، وتغيّر تعبيره حتى فقد الابتسامة المرسومة عادة على وجهه. يبدو جلياً من خلال رد فعل إيان، أنه مهما كانت المشكلات التي واجهها مايلز في ماضيه، فإن إيان بالتأكيد على علم بها.

جلس إيان باستقامة في مقعده ورفع كأسه، واضعاً ابتسامة مفتعلة على شفثيه: «مايلز ليس لديه وقت للفتيات. إنه مشغول جداً بتحطيم الأرقام القياسية للمشركة، ليصبح أصغر كبير طيارين ستحظى به شركتنا على الإطلاق».

نأخذ مقاطعة إيان على حقيقتها ونرفع كؤوسنا. نلامسها معاً، ويشرب الجميع. لم تمر النظرة التقديرية التي منحها مايلز لإيان دون أن ألاحظها، مع أن كوربين لم ينتبه لها. الآن صرت أكثر فضولاً بشأن مايلز. وأشعر بالقلق أكثر، لأنه كلما أمضيت وقتاً أطول معه، زادت رغبتني في معرفة كل ما يمكن معرفته عنه.

قال كوربين: «يجب أن نحتفل».

يُنزل مايلز قائمته: «اعتقدت أن هذا ما نفعه الآن».

قال كوربين: «أعني بعد هذا. سنخرج الليلة. نحن بحاجة للعشور على فتاة لإنهاء فترة جفافك هذه». كدت أن أبصق شرابي، لكن لحسن الحظ، تمكنت من كتم ضحكتي. لاحظ مايلز ردة فعلي وربت بقدمه على كاحلي من تحت الطاولة. ثم أبقى قدمه ملاصقة لقدمي.

قال مايلز: «سأكون بخير. علاوة على ذلك، يحتاج الكابتن إلى الراحة». تصبح جميع حروف الأصناف الموجودة في قائمة الطعام ضبابية، عندما يستبدلها عقلي بكلمات مثل إنهاء، وفترة جفاف، والراحة. ينظر إيان إلى كوربين ويومئ برأسه: «سأذهب أنا. دع الكابتن يعود إلى شقته وينام بفعل أثر الكولا التي يحتسيها».

ثبنتي مايلز بعينيه، ثم عدل وضعه في مقعده قليلاً، حتى تتلامس ركبتانا. لف قدمه حول الجزء الخلفي من كاحلي. وقال: «النوم يبدو جيداً حقاً». يستبدل بتحديقه بي القائمة التي أمامه.

«دعونا نسرع ونطلب حتى أتمكن من العودة إلى شقتي والنوم. يبدو الأمر وكأنني لم أُنم منذ أكثر من تسعة أيام، وهذا كل ما يُمكنني التفكير فيه».

خداي مشتعلان، بالإضافة إلى مناطق أخرى في جسدي. قال مايلز: «في الحقيقة، لدي رغبة ملحة في النوم الآن». يرفع عينيه لملاقاتي: «هنا على الطاولة».

درجة الحرارة الآن في بقية جسدي، تماثل الحرارة في خدي. يقول كوربين ضاحكاً: «يا إلهي، أنت سخيف. كان ينبغي أن نحضر ديلون بدلاً منك».

«لا، لا ينبغي لنا ذلك»، قال إيان ذلك وهو يدير عينيه في محجريهما بمبالغة.

أسأل: «ما القصة مع ديلون؟ لماذا تكرهونه كثيراً؟» يهز كوربين كتفيه: «ليس الأمر أننا نكرهه. نحن لا نستطيع تحمله، ولم يدرك أحد منا ذلك إلا بعد أن دعوناه بالفعل إلى ليالي المباريات».

يرمقني كوربين بتلك النظرة المألوفة للغاية: «وأنا لا أريدك وحدك معه أبداً. إن زواجه لا يمنعه من أن يكون وغداً».

وها هو الحب الأخوي المسيطر الذي كنت أفتقده طوال هذه السنوات.

«هل هو خطير؟».

قال كوربين: «لا. أنا فقط أعرف ما يفعله بزواجه، ولا أريدك أن تتورطي في ذلك. لكنني أوضحت له بالفعل أنك محظورة عليه».

أضحك على سخافته. «أنا في الثالثة والعشرين يا كوربين. يمكنك التوقف الآن عن التصرف مثل أبي».

قرص خديه في الوقت ذاته، فبدا للحظة نسخة من أبينا. قال وهو يهدر: «سأفعل ذلك بحق الجحيم. أنت أختي الصغيرة. لدي اشتراطات من أجل الارتباط بك، وديلون لا يقترب من تلبية أي واحدٍ منها».

لم يتغير ولو قليلاً. وبقدر ما كان الأمر مزعجاً في المدرسة الثانوية، وما يزال كذلك، فإنني أحب أنه يريد لي الأفضل. أنا فقط أخشى أن تعريفه لما هو الأفضل بالنسبة لي، غير موجود. «لن يقترب أي شخص من الاشتراطات التي وضعتها من أجل الارتباط بي يا كوربين».

أوما برأسه، مؤكداً ذلك: «صحيح تماماً».

لو أن كوربين قد حذر ديلون بالاقتراب مني، فهذا يجعلني أتساءل عما إذا كان قد حذر مايلز وإيان أيضاً. لكنه وللمرة الثانية، كان يعتقد أن مايلز مثلي الجنس، لذلك ربما لم ير أي احتمال في هذا.

أتساءل عما إذا كان مايلز يُطابق اشتراطات كوربين. أريد الآن أن أنظر بشدة إلى مايلز، لكنني أخشى أن أكون مكشوفة للغاية. بدلاً من ذلك، أجبرت نفسي على الابتسام وهزرت رأسي: «لماذا لم أولد أولاً؟» أجاب كوربين: «ما كان هذا ليُحدث أي فارق».

ابتسم إيان للنادلة وطلب قسيمة الدفع: «هذه الليلة على حسابي». وضع ما يكفي من نقود لتغطية الفاتورة والإكرامية، بينما نقف جميعاً ونُمدد أجسادنا.

سأل مايلز: «إذن من سيذهب إلى أين؟».

رد كوربين على الفور: «الحانة». ونطقها بطريقة تمنع أي شخص من الاعتراض. قلت: «لقد خرجت للتو من مناوبة عمل مدتها اثنتي عشرة ساعة. أنا مُتعبة».

سألني مايلز بينما نخرج جميعاً من المطعم: «هل تمانعين إذا ركبت معك السيارة؟ لا أشعر برغبة في الخروج الليلة. أريد النوم فقط».

أحب الطريقة التي يؤكد بها رغبتة في النوم أمام كوربين. يبدو الأمر كما لو أنه يريد التأكد من أنني أعني أنه ليس لديه أي نية حقيقية للنوم.

قلت مشيرةً نحو الطريق العام: «نعم، سيارتي في الخلف، عند المستشفى». قال كوربين وهو يشبّك يديه معاً: «حسناً، إذن، اذهبا للنوم أيها الأحمقان السخيفان سنخرج أنا وإيان».

استدار كوربين وإيان إلى الاتجاه الآخر، كي لا يضيعا أي وقت. دار كوربين على عقبه وسار بضع خطوات للخلف وهو يوازي إيان، وقال: «سنشرب على شرفك يا كابتن».

بقينا أنا ومايلز دون حراك في دائرة من الضوء المسلط علينا من أحد مصابيح الشارع، بينما نشاهد ههما وهما يتعدان. نظرت إلى الرصيف أسفلنا وأخذت أدفع حذائي إلى حافة دائرة الضوء، وأراقبه وهو يختفي في الظلام. نظرت إلى مصباح الشارع، وتساءلت لماذا يسطع بشدة ويسلط علينا الضوء بهذه الكثافة.

قلت وأنا ما زلت أنظر إلى الضوء: «أشعر وكأننا على خشبة المسرح». مال برأسه إلى الخلف وانضم إلي في فحص مصدر الإضاءة الغربية. قائلاً: «المريض الإنجليزي». نظرت إليه متسائلة. فأشار إلى مصباح الشارع فوق رؤوسنا. «إذا كنا على خشبة المسرح، فمن المحتمل أن يكون عرضاً فنياً للمريض الإنجليزي». ثم حرك يده ذهاباً وإياباً بيننا: «إننا نرتدي بالفعل، بعض أزياء العمل؛ ممرضة وطيار».

فكرت ملياً فيما يقول، وربما أكثر من اللازم. أعلم أنه يقول إنه الطيار، لكن إذا كان هذا بالفعل عرضاً مسرحياً لرواية «المريض الإنجليزي»، فأعتقد أنه سيكون الجندي وليس الطيار. الجندي هو الشخصية التي تتورط جنسياً مع الممرضة. لا الطيار.

لكن الطيار هو صاحب الماضي السري... أقول وأنا أنظر إليه بوجه خالٍ من التعابير: «هذا الفيلم هو السبب الذي جعلني أصبحت ممرضة».

أعاد يديه إلى جيوبه، وحوّل نظره عن الضوء الموجود فوق رأسه نحو: «حقاً؟»

فلتت مني ضحكة: «لا».

ابتسم مايلز.

هذه القصيدة النثرية.

استدرنا في الوقت نفسه للعودة نحو المستشفى. وجدت نفسي أستغل الهدوء الذي خيم على محادثتنا لنظم قصيدة سيئة للغاية في رأسي.

لا يبتسم مايلز

من أجل شخص آخر

مايلز يبتسم فقط

من أجلي.

سألني: «لماذا تبتسمين؟».

لأنني أردت أبيات شعر من الصف الثالث محرجة عنك.

أعقد شفتي معاً، كي أجبر ابتسامتي على التلاشي. وعندما أتأكد من أنها زالت تماماً، أجيبه: «فقط أفكر في مدى تعبتي. أتطلع حقاً» - وأشحت بنظري عنه - «إلى نوم جيد الليلة».

هو من يبتسم الآن: «أنا أعرف ما تعنيه. لا أعتقد أنني كنت متعباً إلى هذا الحد من قبل. قد أنام حتى بمجرد أن نكون داخل سيارتك».

سيكون هذا لطيفاً.

ابتسمت وأنا أنسحب من المحادثة المليئة بالاستعارات. لقد كان يوماً طويلاً، وأنا في الواقع متعبة جداً. نسير في صمت، ولا يسعني إلا أن ألاحظ أن يديه مشبتان بقوة في جيوب سترته، وكأنه يحميني منهما. أو ربما يحميها مني.

كنا على بعد مبنى واحد فقط من ساحة انتظار السيارات، عندما تباطأت خطواته، ثم توقفت تماماً. وبطبيعة الحال، توقفت عن المشي واستدرت لأرى ما لفت انتباهه. إنه ينظر إلى السماء، فتركزت عيني على الندبة التي تمتد على طول فكه. أريد أن أسأله عن ذلك. أريد أن أسأله عن كل شيء. أريد أن أطرح عليه مليون سؤال، بدءاً من تاريخ يوم ميلاده ثم كيف كانت قبلته الأولى. وبعد ذلك أريد أن أسأله عن أبويه وعن طفولته بأكملها وعن حبه الأول.

أريد أن أسأله عن ريتشل. أريد أن أعرف ما الذي حدث بينهما، ولماذا جعله يرغب في تجنب أي شكل من أشكال العلاقة الحميمة لأكثر من ست سنوات.

والأهم من ذلك كله، أنني أريد أن أعرف ما الذي وضع حداً لهذا الأمر في النهاية.

أقول: «مايلز». وكل سؤال من هذه الأسئلة يريد أن يهرب من طرف لساني.
يقول: «لقد شعرت بقطرة مطر».

شعرت بذلك أيضاً، قبل أن ينتهي من لفظ الجملة. كلانا ينظر إلى السماء الآن، وها أنا أبتلع كل الأسئلة مع غصة في حلقي. بدأ المطر بالتساقط بطريقة أسرع، لكننا واصلنا الوقوف هناك ووجوهنا مشدوهة نحو السماء. تحولت القطرات المتفرقة إلى رذاذ، ثم تحولت بعد ذلك إلى أمطار غزيرة، لكن لا أحد منا يتحرك. لم يندفع أيُّ منا نحو السيارة بجنون. المطر ينزل على بشرتي، وعلى رقبتي، وعلى شعري، ويبل قميصي. لا يزال وجهي مشدوهاً نحو السماء، لكن عيني مغمضتان الآن.

لا يوجد شيء في العالم يضاهي ملمس المطر الطازج ورائحته.
بمجرد أن تخطر هذه الفكرة في ذهني، تلمس وجنتي يد دافئة وتنزل إلى مؤخرة رقبتي، وتسرق القوة من ركبتي والهواء من رثتي. طوله يحميني الآن من أغلب المطر، لكنني أبقى عيني مغلقتين ومشدوهتين نحو السماء. تنزل شفته بلطف فوق شفتي، وأجدني أقارن ملمس المطر الطازج ورائحته بقبلته.
قبلته أفضل بكثير.

شفته مبللتان بفعل المطر، وباردتان قليلاً، لكن لسانه الدافئ الذي يداعب لساني، يوزان ذلك. المطر المتساقط، والظلام الذي يلفنا، وتبادل القبلات بهذه الطريقة، يجعلنا نشعر وكأننا حقاً على خشبة المسرح وقد وصلت قصتنا إلى أوج ذروتها. أشعر كما لو أن قلبي وأحشائي وروحي يتدافعون جميعاً للخروج مني ذهاباً إليه. إذا وضعت كل سنواتي الثلاثة والعشرين على رسم بياني، فستكون هذه اللحظة هي قمة المنحنى.

ربما يجب أن أشعر ببعض الحزن وخيبة الأمل بشأن ما أدركته للتو. فقد كانت لدي بعض العلاقات الجادة في الماضي، لكن لا يمكنني تذكر قبلة واحدة شعرت فيها بهذا الشعور، مع أيٍّ من هؤلاء الرجال. أينعم أنني لست في علاقة مع مايلز، وأشعر أن أثر هذا في يجب أن يخبرني بشيء ما، إلا أنه يستثمر فمه بشدة لاستكشافي. تحول المطر إلى هطول غزير، لكن لا يبدو أن أيّاً منا قد تأثر به. يُسقط يديه إلى أسفل ظهري، وأقبض بيدي على قميصه، وأقربه أكثر. فمه يناسبني تماماً، كما لو كنا قطعتين من الأحجية نفسها.

الشيء الوحيد الذي يمكن أن يفصلني عنه الآن، هو صاعقة من البرق. أو حقيقة أنها تمطر بشدة لدرجة أنني لا أستطيع التنفس. ملابسني ملتصقة في أجزاء من جسدي، لم أكن أعرف حتى أن الملابس يمكن أن تلتصق بها. شعري مشبع بالماء لدرجة أنه لا يستطيع امتصاص قطرة أخرى.

أدفعه حتى يُحرر فمي من فمه، ثم أدفن رأسي تحت ذقنه وأنظر إلى الأسفل كي أتمكن من التنفس دون أن أغرق. يلف ذراعه حول كتفي ويوجهني نحو ساحة انتظار السيارات، ويرفع سترته فوق رأسي. إنه يسرع من وتيرته، وأنا أماشيته خطوة بخطوة حتى نركض.

وصلنا أخيراً إلى سيارتي، واقترب معي إلى باب السائق، وهو لا يزال يحميني من المطر. يندفع إلى ناحية الراكب بمجرد أن أدخل إلى السيارة. أغلقنا بابينا وزاد الصمت داخل السيارة من شدة تنفسنا الثقيل. أرفع يدي خلف رأسي وأجمع شعري، ثم أعصر الماء الزائد منه. ينزلق الماء على رقبتني وظهري ومن ثم مقعدني. إنها المرة الأولى التي أشعر فيها بالارتياح لامتلاك مقاعد جلدية في كاليفورنيا.

أسقطت رأسي للخلف وتنهدت بشدة، ثم سرقت نظرة في اتجاهه: «لا أعتقد أنني كنت مبتلة بهذا الشكل في حياتي». شاهدت ابتسامة ترتسم ببطء على وجهه. من الواضح أن هذا الاعتراف أثار فيه أفكاراً قذرة.

همست بإغواء: «منحرف».

رفع حاجباً وابتسم: «خطوك». مد يده عبر المقعد ولف أصابعه حول معصمي، وسحبني نحوه: «تعالى إلى هنا».

أجري جرداً سريعاً لما يحيط بنا، لكن المطر يتساقط بشدة، لدرجة أنني لا أستطيع حتى رؤية الخارج. مما يعني أنه لا يمكن لأحد أن يرى من الداخل.

أضبط نفسي فوقه وأمتطيه بينما يُحرك المقعد إلى الخلف إلى أقصى ما يمكن. ومع ذلك لا يُقبلني. يدها تنزلقان على ذراعي ثم ترتاحان على فخذي. يعترف بصوت يعتريه الأمل: «لم أمارس الجنس في سيارة من قبل».

أرد: «لم أمارس الجنس مع كبير طيارين من قبل».

مرر يديه أسفل الجزء العلوي من زيّ التمریض، ورفعہ إلى أعلى بطني، حتى التقى بحمالة صدري. غطّي ثديي ثم مال إلى الأمام، وبدأ في لثمهما. لم تطل قبلته، لأنه أوقفها ليعاود الكلام مرة أخرى: «لم يسبق لي أن مارست الجنس من قبل وأنا كبير طيارين». ابتسمت: «لم يسبق لي أن مارست الجنس وأنا أرتدي زي التمریض من قبل». انزلت يده حول ظهري، وأدخلهما عميقاً تحت حزام الخصر. سحب فخذي نحوه في الوقت الذي رفع فيه نفسه قليلاً، فاشتدت قبضتي حول كتفيه وأخذت في اللهاث. تحرك فمه نحو أذني، وبدأت يديه في خلق إيقاع حسي بيننا، بسحب فخذي نحوه. «بقدر ما تبدين مثيرة في هذا الزيّ، لكنني أفضل ممارسة الجنس معك وأنت عارية تماماً». أشعر بالحرّج من السهولة التي أتأوه بها بفعل كلماته فقط. أشعر أيضاً بالحرّج من السرعة التي يمكن أن يدمرني بها صوته، لدرجة أنني ربما أرغب في خلع ملابسني أكثر منه. أقول بصوت مثقل بالرغبة: «أرجوك أخبرني أنك جئت متأهباً». يهز رأسه: «مجرد معرفة أنني سألتقيك الليلة، لا تعني أن أجيء محملاً بالتوقعات». تملؤني خيبة الأمل على الفور. يرفع نفسه عن المقعد ويدخل يده في جيبه الخلفي. «ومع ذلك، فقد جئت مع جحيم الكثير من الأمل».

أخرج الواقي الذكري من محفظته مبتسماً، وبدأ كلانا على الفور في التحرك. تتواصل يدي مع زر بنطاله الجينز أسرع من اتصال شفاهنا. حرك يديه إلى أعلى الجزء الخلفي من قميصي وبدأ في فك حمالة صدري، لكنني هزرت رأسي. أقول وأنا ألهث: «فقط اتركها»، فكلما قلّت قطع الملابس التي نخلعها، تمكنا من ارتداء ملابسنا أسرع إذا ضُبطنا.

يستمر في فك حمالة صدري، على الرغم من احتجاجي: «لا أريد أن أكون بداخلك إلا إذا شعرت بكل جسدك فوق جسدي». رائع. حسناً إذن.

ما إن تُفك حمالة صدري، حتى يرفع قميصي فوق رأسي، وتنزلق أصابعه تحت أشرطة حمالة صدري. يسحبها إلى أسفل ذراعي حتى تسقط حمالة الصدر. يرميها في المقعد الخلفي

ثم يسحب قميصه فوق رأسه. بعد أن انضم قميصه إلى حمالة صدري في المقعد الخلفي، لف ذراعيه حولي وسحبني إليه حتى يلتقي صدرانا العاريان.

نلتقط على الفور أنفاساً عميقة وحادة. دفء جسده يخلق إحساساً لا أريد الابتعاد عنه. يبدأ بتقبيل رقبتي نزولاً إلى أسفل، بينما أنفاسه موجات عاتية تلاطم بشرتي. همس في حلقي: «ليس لديك أي فكرة عما تفعلينه بي». أبتسم، لأن الفكرة نفسها بالضبط، خطرت ببالي. أجبت: «أوه، أعتقد أن لدي فكرة».

يده اليسرى تلامس أحد ثديي، وهو يتأوه بينما يده اليمنى تنغمس في سروالي الداخلي. قال بكل بساطة وهو يجذب الشريط المطاطي: «اخلعيه».

ليس عليه أن يسأل مرتين. عدت إلى مقعدي الفارغ وبدأت في خلع بقية ملابسني بينما أشاهده وهو يفتح سحاب بنطاله الجينز. كانت عيناه تمر فوقني وهو يمزق غلاف الواقي الذكري بأسنانه.

عندما كانت القطعة الوحيدة من الملابس المتبقية هي بنطاله الجينز غير المُررر، انطلقت نحوه.

أشعر بخجل لدرجة السخافة، لأنني في سيارتي في باحة انتظار السيارات في مكان عملي وأنا عارية تماماً. لم أفعل شيئاً مثل هذا من قبل. لم أرغب أبداً في فعل أي شيء مثل هذا من قبل. أحب مدى تحرقنا اشتياقاً إلى بعضنا البعض الآن، لكنني أعلم أيضاً أنني لم أشعر أبداً بهذا النوع من الكيمياء مع أي شخص من قبل.

أضع يدي على كتفيه وأبدأ في اعتلائه في الوقت الذي يضع فيه الواقي الذكري. يقول بسخرية: «أبقي الأمر هادئاً. أكره أن أتسبب في طردك من العمل».

أحدق في النافذة، لكن لا زال من الصعب رؤية الخارج. أقول: «إنها تمطر بشدة بحيث لا يستطيع أحد أن يسمعنا. علاوة على ذلك، كنت أنت الأكثر صخباً في المرة الأخيرة».

يرفض ذلك بضحكة سريعة ويبدأ في تقبيلي مرة أخرى. قبضت يديه على فخذي، وسحبني إليه، وبدأ في الاستعداد لاختراقي. عادةً ما يتسبب هذا الوضع في أن أتأوه، لكنني شعرت فجأة بالعناد في أن أصدر أي أصوات كالتي ذكرها.

قال وشفته لا تزالان تلامسان شفتي: «من المستحيل أني كنت الأكثر صخبًا. لو حدث شيء، فربما تعادلنا».

أهز رأسي: «أنا لا أؤمن بإنهاء الأمور بالتعادل، هذا مخرج آمن للأشخاص الذين يشعرون بالخوف الشديد من احتمال الخسارة».

تلتقي يداه بفخذي، وقد بدأ في التموذج بطريقة تجعل كل ما يجب علي فعله كي أشعر به داخلي، هو السماح بحدوث ذلك. ومع ذلك، فأنا أرفض أنا أخفض من جسمي والسماح بذلك، لأنني أحب المنافسة وأشعر بأنها على وشك البدء.

يرفع وركيه، وأصبح جليًا أنه مستعد لاختراعي. لكن ساقى تتصلبان، وأبتعد بما فيه الكفاية. يضحك من مقاومتي له: «ما الأمر يا تايث؟ هل أنت خائفة الآن؟ لأنه بمجرد أن أكون بداخلك، سترى من هو الأكثر صخبًا حقًا؟».

يظهر بريق التحدي في عينيه. أنا لا أجيئه على تحديه لمعرفة من يمكنه البقاء أكثر هدوءًا. بدلاً من ذلك، أبقيت عيني مغلقة بينما أرحت نفسي عليه ببطء. كلانا بدأ في اللهاث في الوقت ذاته، لكن هذا هو الصوت الوحيد الذي نسمعه.

بمجرد أن يصير بداخلي، تلتقي يداه بظهري، ويسحبني نحوه. الأصوات الوحيدة التي نصدرها هي التنهدات الثقيلة وحتى اللهاث الأثقل. ضخم صوت هطول المطر على النوافذ والسقف الصمت الذي نعيشه داخل السيارة.

تقترن القوة التي يتطلبها التراجع بالحاجة إلى التمسك بعضنا ببعض بمزيد من الشوق. كانت ذراعاه حول خصري، وتمسك بي بقوة لدرجة أنه يصعب علي التحرك. ذراعاي ملتفتان حول رقبته، وعينا مغمضتان. بالكاد نتحرك الآن بسبب قبضتنا القوية بعضنا على بعض، لكنني أحب ذلك. يعجبني مدى بطء إيقاعنا وثباته بينما نركز على كيفية الاستمرار في كبت التأوه العالق في حناجرنا.

نستمر بهذه الطريقة لعدة دقائق، نتحرك بما يكفي ولكن ليس بما يكفي في الوقت نفسه. أعتقد أن كلانا خائف جدًا من القيام بأي حركات مفاجئة، وإلا فإن شدة الحركة ستتسبب في خسارة أحدنا.

تنزلق إحدى يديه إلى أسفل ظهري، بينما تلتقي اليد الأخرى بمؤخرة رأسي. يأخذ قبضة من شعري ويسحبها بلطف حتى يتعرض حلقي لقمه. أجفل في اللحظة التي تلتقي فيها شفثاه برقبتي، لأن البقاء هادئة أصعب بكثير مما كنت أتخيله. خاصة أنه يتمتع بميزة في الوضع الذي نتموضع فيه. يدها حرتان للتجول في أي مكان يريده، وهذا بالضبط ما يفعلانه الآن. تتجول، تداعب، ويسحب بطني حتى يتمكن من لمس المكان الوحيد الذي يمكن أن يجعلني أتنازل عن النصر.

أشعر وكأنه يغش بطريقة ما.

بمجرد أن وجدت أصابعه المكان المحدد الذي عادة ما يجعلني أصرخ باسمه، أحكمت قبضتي حول كتفيه وأعدت تموضع ركبتي حتى أتمكن من التحكم أكثر في حركاتي. أريد أن أخضعه للقدر نفسه من التعذيب الذي أتعرض له الآن.

بمجرد أن أعيد تموضعي وأتمكن من تخفيف نفسي عليه من الضغط أكثر، يختفي البطء والثبات. يلتقي فمه بفتحي في قبلة محمومة. قبلة حارة وقوية أكثر من أي قبلة سبقتها. يبدو الأمر كما لو أننا نحاول الهروب من رغبتنا الطبيعية في التعبير اللفظي عن مدى روعة هذا الشعور.

اجتاحني فجأة إحساس، أخذ ينتشر في جسدي بأكمله، وكان عليّ أن أرفع نفسي عنه وأظل ساكنة قبل أن أخسر. على الرغم من حاجتي إلى إبطاء الأمور، فإنه يفعل العكس ويضغط عليّ بيده أكثر. أدفن وجهي في رقبته وأعض على كتفه برفق لكي أمنع نفسي من التأوه باسمه. في اللحظة التي تلتقي فيها أسناني بجلده، أسمع أنفاسه وأشعر بالتصلب في ساقه. يكاد يخسر.

تقريباً.

إذا تحرك بداخلي ولو بوصة واحدة أكثر بينما يلمسني بهذه الطريقة، فسوف يفوز. لا أريده أن يفوز.

ثم مرة أخرى، أريده أن يفوز نوعاً ما، وأعتقد أنه يريد الفوز بالطريقة التي يتنفس بها على رقبتي، ويخفضني بلطف على جسده.

مايلز، مايلز، مايلز.

يمكنه أن يشعر أن هذا لن ينتهي بتعادل، لذلك يزيد من الضغط علي بأصابعه في الوقت نفسه الذي يلتقي فيه لسانه بأذني.

أوه، واو.

أنا على وشك الخسارة.

في أي ثانية الآن.

يا للكلمات التي في حلقي.

يرفع وركيه وهو يسحبني إليه، ويجبرني على أن تفلت «مايلز!» مني، جنباً إلى جنب مع التأوه والأنفاس المتقطعة. أبتعد عنه، ولكن بمجرد أن يُدرك أنه فاز للتو، يزفر بقوة ويسحبني إليه مرة أخرى بقوة أكبر.

قال بلهفة وفمه على رقبتني: «أخيراً. لم أكن أعتقد أنني أستطيع أن أصمد لثانية أخرى». الآن بعد أن انتهت المنافسة، أطلق كل منا العنان لنفسه تماماً، حتى أصبح صوتنا مرتفعاً لدرجة يجب معها العودة إلى تبادل القبلات من أجل كتم أصواتنا. تتحرك أجسادنا بالتزامن، وتتسارع، وتتصادم معاً بقوة أكبر. واصلنا وتيرتنا المحمومة لبضع دقائق أخرى، وتصاعدنا في حدتها حتى أصبحت متأكدة من أنني لا أستطيع تحمل ثانية أخرى.

قال وهو يضغط على فمي مبطناً إيقاع وركيَّ بيديه: «تأيت. أريد أن نصل إلى النشوة معاً». أوه، يا للجحيم المقدس.

إذا كان يريد مني أن أستمّر لفترة أطول، فلا يمكنه أن يقول أشياء من هذا القبيل. أومأت برأسي، غير قادرة على تشكيل جواب متماسك.

سألني: «هل اقتربت؟».

أومأت برأسي مجدداً وحاولت بذل قصارى جهدي للمتحدث هذه المرة، لكن لم يخرج شيء سوى تأوه آخر.

«هل هذه نعم؟».

توقفت شفثيه عن تقبيل شفثتي، وهو يركز على ردي الآن. وضعت يدي على مؤخرة رأسه وضغطت خدي أمامه.

قلت بطريقة أو أخرى: «نعم. نعم، يا مايلز. نعم». شعرت بجسدي يتصلب في الوقت نفسه الذي شهق فيه بنفس حاد. اعتقدت أننا كنا نحتضن بعضنا بعضاً بقوة من قبل، لكن هذا لا يمكن مقارنته بهذه اللحظة. يبدو الأمر كما لو أن جميع حواسنا قد امتزجت معاً بطريقة سحرية ونشعر بالأحاسيس ذاتها تماماً، ونصدراً الأصوات نفسها، ونختبر الشدة نفسها، ونشارك الاستجابة نفسها تماماً.

بدأ إيقاعنا في التباطؤ تدريجياً، جنباً إلى جنب مع الارتعاشات في أجسادنا. بدأت قبضتنا الشديدة بعضنا حول بعض في الارتخاء. دفن وجهه في شعري وتنفس بكثافة. همس: «خاسرة».

أضحك وأتحرك لأعضه هزلاً على رقبته. أقول: «لقد غششت. لقد جلبت تعزيزات غير قانونية عندما بدأت باستخدام يديك».

يضحك وهو يهز رأسه: «استخدام اليدين لعب عادل. لكن إذا كنت تعتقد أنني غششت، فربما يتعين علينا إجراء مباراة العودة».

أرفع حاجبي: «أفضل اثنين من أصل ثلاثة؟».

رفعني من خصري وبدأ في دفعي نحو باب الراكب وهو يكافح من أجل الجلوس خلف عجلة القيادة. ناولني ملابسي، وسحب قميصه فوق رأسه، وزرر بنطاله الجينز. بمجرد أن وصل إلى مكانه، ضبطت نفسي في مقعد الراكب وأكملت ارتداء ملابسي بينما يحرك السيارة. يلف عجلة القيادة في الاتجاه المعاكس ويبدأ في السير إلى الوراء. يقول وهو يغمز: «اربطي حزام الأمان».

بالكاد تمكنا من الخروج من المصعد، ناهيك عن سريره. لقد كاد أن يضاجعني في الردهة. الجزء المحزن هو أنني لم أكن لأمانع.

فاز مرة أخرى. لقد بدأت أدرك أن التنافس على من يمكنه البقاء الأكثر هدوءاً ليس فكرة جيدة حقاً عندما يكون منافسي هو بطبيعة الحال أهدأ شخص قابلته على الإطلاق. سأفوز عليه في الجولة الثالثة. لكن ليس الليلة، لأن كوربين سيعود إلى منزله قريباً.

يحدق مايلز في وجهي. إنه مستلقي على بطنه، ويداه مطويتان على وسادته، ورأسه مستند إلى ذراعيه. أرتدي ملابسني، لأنني أريد أن أسبق كوربين إلى شقتنا حتى لا أضطر إلى الكذب بشأن المكان الذي كنت فيه.

يتبعني مايلز بعينه في غرفة نومه وأنا أرتدي ملابسني. يقول ضاحكاً: «أعتقد أن حمالة صدرك لا تزال في الردهة. قد ترغيبين في الوصول إليها قبل أن يجدها كوربين».

أجعد أنفي وأقول: «فكرة جيدة». ركعت على السرير وقبلته على خده، لكنه لف ذراعه حول خصري وسحبني للأمام وهو يتدحرج على ظهره. لقد أعطاني قبلة أفضل من تلك التي كنت أعطيها له حالاً.

«هل يمكن أن أسألك سؤالاً؟».

أوماً برأسه، لكنها إيماءة قسرية. إنه يتوتر بشأن أسئلتي.

«لماذا لا تتواصل بصرياً معي عندما نمارس الجنس؟».

سؤالي يفاجئه تماماً. نظر إليّ بصمت لعدة لحظات، حتى ابتعدت أكثر وجلست بجانبه على السرير، في انتظار إجابته.

دفع نفسه إلى أعلى وارتكأ إلى الخلف على ظهر السرير، وحدق في يديه. قال وهو يهز كتفيه: «يصبح الناس غير محصنين أثناء ممارسة الجنس. من السهل الخلط بين المشاعر والعواطف تجاه شيء ليس كذلك، خاصة عندما يتعلق الأمر بالتواصل البصري». يرفع عينيه نحوي: «هل يزعجك؟».

أهز رأسي لا، ولكن قلبي يبكي نعم: «سأعتاد على ذلك، على ما أعتقد. لقد كنت فضولية فقط». أحب أن أكون معه لكنني أكره نفسي أكثر فأكثر مع كل كذبة جديدة تمر على شفتي.

بيتسم ويسحبني إلى فمه، ويقبلني قبلة نهائية هذه المرة: «طابت ليلتك يا تاي».

تراجعت وخرجت من غرفته، وأنا أشعر بعينه عليّ. من المضحك كيف يرفض الاتصال معي بالعين في أثناء ممارسة الجنس ولكن يبدو أنه لا يستطيع أن يبقي عينيه بعيداً عني بقية الوقت.

لا أشعر برغبة في العودة إلى الشقة بعد، لذا بعد أن استعدت حمالة صدري، مشيت إلى المصاعد وتوجهت إلى المدخل لأرى إذا ما كان كاب لا يزال موجوداً. بالكاد أتحت لي الفرصة للتلويح إليه في وقت سابق قبل أن يدفعني مايلز إلى المصعد ويفترسني.

من المؤكد أن كاب لا يزال جالساً على كرسيه، مع أن الساعة تجاوزت العاشرة ليلاً. سألت بينما أتوجه إلى الكرسي المجاور له: «ألا تنام أبداً؟».

قال: «الناس أكثر إثارة للاهتمام في الليل. أحب أن أنام متأخراً. أتجنب بذلك كل الحمقى الذين هم في عجلة من أمرهم في الصباح».

تنهدت بصوت أعلى بكثير مما كنت أنوي عندما أسندت رأسي إلى الكرسي. يلاحظ كاب ويستدير لينظر إلي.

يقول: «أوه، لا. مشكلة مع الصبي؟ يبدو أنكما كنتما على ما يرام منذ عدة ساعات. أعتقد أنني ربما رأيت لمحة من الابتسام على وجهه عندما دخل معك».

أتوقف لبضع ثوان، وأجمع أفكاري، أقول: «الأمور على ما يرام».

«هل سبق لك أن وقعت في الحب يا كاب؟».

ارتسمت ابتسامة ببطء وانتشرت على وجهه. قال: «أوه، نعم. كان اسمها واند».

«منذ متى وأنت متزوج؟».

نظر إلي وحرك حاجبه. يقول: «لم أتزوج قط. أعتقد أن زواج واند استمر نحو أربعين عاماً قبل وفاتها».

ملت برأسي محاولة لفهم ما يقوله: «عليك أن تشرح أكثر من ذلك».

جلس باستقامة على كرسيه، والابتسامة لا تزال على وجهه: «كانت تعيش في أحد المباني التي قمت بصيانتها. لقد كانت متزوجة من نذل يعود إلى المنزل لمدة أسبوعين فقط كل شهر. لقد وقعت في حبها عندما كنت في الثلاثين من عمري تقريباً. كانت في منتصف العشرينات من عمرها. في ذلك الوقت، لم يكن الناس يتطلقون بعد الزواج. وخاصة النساء مثلها، اللاتي ينتمين إلى نوع العائلة التي أتت منها. لذلك أمضيت الخمسة وعشرين عاماً التالية في حبها بأقصى ما أستطيع لمدة أسبوعين من كل شهر».

أحذق به، غير متأكدة من كيفية الرد على ذلك. إنها ليست قصة الحب النموذجية التي يرويها الناس عادة. لست متأكدة حتى مما إذا كان من الممكن عدها قصة حب. قال: «أعرف ما تفكرين فيه». ثم أوماً برأسه مؤكداً افتراضه: «يبدو محبطاً. أشبه بالمأساة».

«الحب ليس جميلاً دائماً يا تاي. في بعض الأحيان تنفقين كل وقتك على أمل أن يكون الأمر مختلفاً في النهاية. شيء أفضل. ثم وقبل أن تدرك ذلك، تعودين إلى المربع الأول، وقد فقدت قلبك في مكان ما على طول الطريق».

أتوقف عن النظر إليه وأنظر إلى الأمام. لا أريده أن يرى العبوس الذي يبدو أنني لا أستطيع إزالته عن وجهي. هل هذا ما أفعله؟ هل أنتظر أن تصبح الأمور مع مايلز شيئاً مختلفاً أو أفضل؟ أتأمل كلماته طويلاً. طويلاً جداً لدرجة أنني أصبحت أسمع الشخير. أدت عيني في اتجاه كاب، فرأيت ذقنه وقد سقطت على صدره، وفمه مفتوحاً على مصراعيه، وهو نائم.

الفصل الثامن عشر

مايلز

قبل ست سنوات

أفرك ظهرها مطمئناً إياها، وأقول لها: «دقيقتان إضافيتان». أومأت برأسها لكنها أبتت وجهها مضغوطاً في راحتي يديها. لا تريد أن تنظر. لا أخبرها أننا لا نحتاج في الواقع إلى الدقيقتين. لم أخبرها أن النتائج موجودة بالفعل، واضحة مثل النهار.

لم أخبر ريتشل بأنها حامل بعد، لأنه لا يزال أمامها دقيقتان من الأمل. أواصل فرك ظهرها. لا تتحرك عندما يرن المؤقت. لا تلتفت لتنظر إلى النتائج. أسقطت رأسي إلى جانبها حتى أصبح فمي قريباً من أذنها. همست: «أنا آسف جداً يا ريتشل. أنا آسف جداً جداً». انفجرت في البكاء.

قلبي يتقطع من الصوت.
هذا خطأي. هذا كله خطأي.

الشيء الوحيد الذي يمكنني التفكير في فعله الآن هو معرفة كيفية تصحيحه. أدرتها نحوي ولففت ذراعي حولها: «سأخبرهم أنك لست على ما يرام ولا يمكنك الذهاب إلى المدرسة اليوم. أريدك أن تبقي هنا حتى أعود».

إنها حتى لا تومئ برأسها. تستمر في البكاء، لذا أحملها بين ذراعي وأضعها في السرير. أعود إلى الحمام وأجمع أداة اختبار الحمل، ثم أخفيها في الخلف تحت الحوض. أسرعتُ إلى غرفتي وبدلتُ ملابسِي.

أغادر.

لقد كنتُ غائباً معظم اليوم.

أعمل على تصحيح الأمر.

أخيراً كنت في طريق العودة إلى المنزل، ولا يزال أمامي ما يقرب من ساعة قبل أن يعود أبي وليزا إلى المنزل. جمعت كل شيء من على المقعد الأمامي وأسرت إلى الداخل للاطمئنان عليها. لقد تركت هاتفي خلفي أثناء اندفاعي هذا الصباح، لذلك لم يكن لدي طريقة للاطمئنان عليها مطلقاً، وسأكون كاذباً إذا قلت إن ذلك لم يقتلني.

ذهبت إلى الداخل.

إلى بابها.

حاولت فتح الباب، لكنه مقفل.

أطرق.

«ريتشل؟».

أسمع حركة. اصطدم شيء ما بالباب، فقفزت إلى الخلف. وعندما أدركت ما حدث، تقدمت إلى الأمام مرة أخرى وطرقت الباب صرخت محمومًا: «ريتشل! افتحي الباب!».

أسمعها تبكي: «ابتعد!».

تراجعت خطوتين إلى الوراء، ثم اندفعت إلى الأمام ودفعت كتفي نحو الباب بأقصى ما أستطيع. انفتح الباب، وأسرعت إلى الداخل. ريتشل متكومة على طرف السرير، وتبكي ويديها تغطي وجهها. وصلت إليها.

إنها تدفعني بعيداً.

أعود إليها.

تصفعني، ثم تخرج من السرير. وقفت ودفعت راحتيها إلى صدري وأبعدتني إلى الخلف. تصرخ من خلال دموعها: «أنا أكرهك!». أمسك يديها وأحاول تهدئتها. ما يجعلها أكثر غضباً. تصرخ بي: «فقط ارحل!». «إذا لم تكن تريد فعل أي شيء معي، فقط غادر!». كلماتها أذهلتني.

توسلت إليها: «ريتشل، توقف. أنا هنا. لن أذهب إلى أي مكان».

تهطل دموعها الآن بغزارة، وتصرخ في وجهي. تقول إنني تركتها. وأنني وضعتها في السرير هذا الصباح وتركتها لأنني لم أستطع التعامل مع الأمر. وأني خيبت أملها.

أنا أحبك، ريتشل. أكثر مما أحب نفسي. أقول لها وأنا أسحبها نحوي: «حبيبي، لا. أنا لم أتركك. لقد أخبرتك أنني سأعود».

أكره أنها لم تفهم سبب مغادرتي اليوم.

أكره أنني لم أشرح لها ذلك.

أعود بها إلى السرير وأسندها على ظهره. أقول لها، وأنا ألمس خدها المملطخ بالدموع: «ريتشل»، أقول لها: «أنا لن أخيب أملك مطلقاً. إلا لو كنت أنوي تخيب أمني. ولهذا السبب أريد أن أفعل كل ما بوسعي لتغيير هذا الأمر من أجلك. من أجلنا. وهذا ما كنت أفعله اليوم. لقد كنت أحاول إيجاد طريقة لجعل هذا الأمر أفضل بالنسبة لنا».

أقف وألتقط المجلدات، ثم أضعها على السرير. أظهر لها كل شيء. أريها كتيبات السكن العائلي التي التقطتها من الحرم الجامعي. أريها النماذج التي نحتاج إلى تعبئتها للحصول على رعاية مجانية للأطفال في الحرم الجامعي. أريها كتيبات المساعدات المالية، والفصول الليلية، ومراجعة الدورات التدريبية عبر الإنترنت، وقائمة المستشارين الأكاديميين، وكيف سنسقتها جميعاً مع جدول رحلات الطيران الخاصة بي. كل الاحتمالات مطروحة أمامها، وأريدها أن ترى أنه مع أننا لم نرغب في ذلك، مع أننا لم نخطط لذلك... فإنه يمكننا القيام بذلك.

«أعلم أن الأمر سيكون أصعب بكثير مع طفل رضيع، يا ريتشل. وأنا أعلم ذلك. لكن الأمر ليس مستحيلاً».

تحقق في كل ما وضعته أمامها. أراقبها في صمت حتى يبدأ كتفاها بالارتعاش وتغطي فمها بيدها. تلتقي عيناها بعيني بينما تتدفق الدموع الغزيرة منها. تزحف إلى الأمام وتضع ذراعيها حول رقبتني.

تقول لي إنها تحبني.

أنت تحبيني كثيراً، يا ريتشل.

نُقبلي مراراً وتكراراً.

همست في أذني: «لقد تمكنا من فعل ذلك يا مايلز».

أومئ وأعانق ظهرها: «لقد تمكنا من فعله يا ريتشل».

الفصل التاسع عشر

تايت

إنه الخميس.

ليلة مشاهدة المباراة.

عادةً ما يزحف صوت خميس ليلة المباراة تحت جلدي.

الليلة، إنها موسيقى تطرب أذني، مع العلم أن مايلز يجب أن يكون في المنزل. ليس لدي أي فكرة عما يمكن توقعه منه أو من هذا الترتيب الذي قمنا به. لم أراسله أو أتحدث معه منذ رحيلة من خمسة أيام.

أعلم أنه بقدر ما أفكر فيه، لا ينبغي لي أن أفعل هذا. بالنسبة لشيء من المفترض أن يكون شيئاً عرضياً، فقد شعرت أنه ليس شيئاً عرضياً البتة. بالنسبة لي، لقد كان الأمر غاية في التورط، عميقاً. إنه كل ما فكرت فيه منذ تلك الليلة تحت المطر، ومن المثير للشفقة أنني وصلت إلى مقبض الباب لأدخل شقتي ويدي ترتعش، لأنني أعلم أنه قد يكون هناك.

أفتح باب الشقة، وكان كوربين هو أول من نظر إلي. يومئ برأسه دون أن يلقي بالتحية. يلوح لي إيان من مقعده على الأريكة، ثم ينظر إلى التلفاز.

تتجول عيون ديلون على جسدي صعوداً وهبوطاً، وأفعل ما في وسعي لمنع نفسي من تحريك عيني.

مايلز لا يفعل أي شيء، لأن مايلز ليس هنا.

ينتفض جسدي كله من خيبة الأمل. أسقطت حقيبتي على الكرسي الفارغ في غرفة المعيشة وقلت لنفسي إنه لأمر جيد أنه ليس هنا، لأن لدي الكثير من الفروض المنزلية التي يتعين علي أدائها على أي حال.

يقول كوربين: «هناك بيتزا في الثلاجة».

«جيد». دخلت إلى المطبخ وفتحت الخزانة لآخذ طبقاً. أسمع خطوات تقترب مني، ويرتفع معدل نبضات قلبي قليلاً.

لمست يد أسفل ظهري، فابتسمت على الفور واستدرت لمواجهة مايلز.
فقط إنه ليس مايلز. إنه ديلون.

قال وهو يقترب مني نحو الخزانة: «مرحباً يا تاي» اليد التي لمست أسفل ظهري في المرة الأولى لا تزال فوقي، ولكن الآن بعد أن استدرت لمواجهته، انزلت يده إلى خصري. أبقى عينيه مغلقتين في عيني وهو يقترب مني ويفتح الخزانة. قال مبرراً حقيقة وجوده هنا: «فقط أحتاج إلى كوب من أجل الجعة». يلمسني. ووجهه على بعد بوصات فقط من وجهي. أكره أنه رأني مبتسمة عندما استدرت. لقد أعطيته فكرة خاطئة فحسب. قلت وأنا أدفع يده عني: «حسناً، لن تجد كوباً في جيبي»، نظرت بعيداً عن ديلون عندما دخل مايلز إلى المطبخ. عيناه تحرقان الفجوات في الجزء الذي كان ديلون يلمسه للتو. رأى مايلز يد ديلون عليّ.

ينظر مايلز إلى ديلون الآن كما لو أنه سيرتكب جريمة قتل للتو.
قال مايلز: «منذ متى وأنت تشرب الجعة من كوب؟». يستدير ديلون وينظر إلى مايلز، ثم ينظر إليّ ويبتسم ابتسامة مغالزة صارخة للغاية: «صرت أفعل بما أن تاي كانت تقف بالقرب من الخزانة». يا للقرف. إنه حتى لا يخفي ذلك. إنه يعتقد أنني معجبة به. يسير مايلز إلى الثلاجة ويفتحها: «إذن يا ديلون. كيف حال زوجتك؟». لا يحاول مايلز أخذ أي شيء. إنه واقف هناك، محدقاً في الثلاجة، وأصابعه تمسك بمقبض الباب بقوة أكبر من أي وقت مضى، أنا متأكدة من ذلك. لا يزال ديلون ينظر إليّ، ويحدق بي. يقول بوضوح: «إنها في العمل. لمدة أربع ساعات أخرى على الأقل». يغلق مايلز الثلاجة ويخطو خطوتين سريعتين نحو ديلون. استقام ديلون في وقفته، فانطلقت على بعد قدمين منه على الفور. «لقد أمرت كوربين بإبعاد يديك عن أخته تحديداً. أظهر له بعض الاحترام اللعين!». ارتعش فك ديلون، دون أن يتراجع أو ينظر بعيداً عن مايلز. في الواقع، خطأ نحوه، ليقصص المسافة بينهما. يقول ديلون غاضباً: «بيدولي أن هذا لا يتعلق حقاً بكوربين».

يدق قلبي بعنف في صدري. أشعر بالذنب لأنني أعطيت ديون فكرة خاطئة، بل أشعر بالذنب أكثر لأنهما يتجادلان بشأن الفكرة الخاطئة الآن. لكن اللعنة، يروق لي أن مايلز يكرهه كثيراً. أتمنى فقط أن أعرف ما إذا كان السبب في ذلك هو أنه لا يحب أن يفعل ديون ذلك لأنه متزوج، أم لأنه لا يحب أن يغازلني ديون.

والآن يقف كوربين عند المدخل.

يا للقرف.

يسأل كوربين وهو يراقب الاثني اللذين يواجهان بعضهما بعضاً: «ما الذي لا يتعلق بي حقاً؟».

يتراجع مايلز خطوة ويستدير حتى يتمكن من مواجهة ديون وكوربين في الوقت نفسه. تظل عيناه مثبتتين بقوة على عين ديون: «إنه يحاول أن يضاجع أختك».

يا للمسيح يا مايلز. هل سمعت يوماً عن تجميل الكلام؟

لا يجفل كوربين حتى. يقول بحزم: «عد إلى المنزل، إلى زوجتك يا ديون».

مع أن هذا أمر محرج، فإنني لا أفعل أي شيء للتدخل والدفاع عن ديون، لأنني أشعر أن مايلز وكوربين كانا يبحثان عن عذر لإبعاده منذ فترة. كما أنني لن أدافع أبداً عن رجل لا يحترم زواجه. يحدق ديون في كوربين لعدة ثوانٍ طويلةً بجهدٍ مضنٍ، ثم يستدير لمواجهتي وظهره لكل من مايلز وكوربين.

هذا الصبي يرغب في الموت بشدة.

يهمس بغمزة: «أنا أسكن في شقة 1012. مُري علي في أي وقت. إنها تعمل في ليالي نهاية الأسبوع». يستدير ويمشي بين كوربين ومايلز.

«أما أنتما الاثنان، فيمكنكما مضاجعة أنفسكما».

يستدير كوربين، وقبضته مشدودتان. يبدأ في ملاحقة ديون، لكن مايلز يمسك بذراعه ويسحبه مرة أخرى إلى المطبخ. لم يطلق كوربين ذراعه حتى يُغلق باب الشقة.

استدار كوربين لمواجهتي، وبدا غاضباً جداً لدرجة أنني فوجئت بعدم خروج البخار من أذنيه. وجهه أحمر اللون، ويفرقع أصابعه. لقد نسيت مدى حمايته لي بجنون. أشعر وكأنني في الخامسة عشرة من عمري مرة أخرى، ولكن فجأة أصبح لدي شقيقان مفرطان في حمايتي.

يقول كوربين: «امسحي رقم الشقة هذا من رأسك يا تايث». هزرت رأسي، وأنا أشعر بخيبة أمل إلى حد ما لأنه قد يعتقد أنني أرغب في تذكر رقم شقة ديلون: «لدي قواعد سلوكية يا كوربين». أوما برأسه، لكنه ما زال يحاول تهدئة نفسه. يأخذ نفساً عميقاً، ثم يفرقع فكه، ويعود إلى غرفة المعيشة.

يستند مايلز إلى المنضدة، ويحدق عند قدميه. أشاهده بصمت حتى يرفع عينيه أخيراً وينظر إلي. ينظر نحو غرفة المعيشة، ثم يبتعد عن المنضدة ويسير نحوي. كلما اقترب مني خطوة، ضغطت نفسي أكثر على المنضدة خلفي، محاولة الابتعاد عن الحدة في عينيه، مع من أنني لا أستطيع الذهاب إلى أي مكان. يصل إلي.

رائحته طيبة. مثل التفاح. الفاكهة المحرمة.

يهمس قائلاً: «أسألني إذا كان بإمكانك المذاكرة في شقتي». أومات برأسي، وأنا أتساءل لماذا بحق الجحيم قد يطلب مني ذلك بعد كل ما حدث للتو. رغم ذلك، أفعل ما يطلبه على أي حال: «هل يمكنني الدراسة في شقتك؟». انفجر في ابتسامة كبيرة وأسقط جبهته إلى جانب رأسي بحيث تكون شفثيه فوق أذني مباشرة. يقول وهو يضحك بهدوء: «قصدت أن تسأليني أمام أخيك. ليكون لدي عذركي أخذك إلى هناك».

حسنا هذا محرج.

الآن يعرف بالضبط كم أنا لست تايث عندما أكون بالقرب منه. أنا مجرد سائل. يمثل لأوامره. أفعل ما يطلبه، أفعل ما يقال لي، أفعل ما يريد مني أن أفعله. قلت بهدوء وأنا أشاهده يبتعد عني: «أوه، هذا يجعل الأمر منطقياً». لا يزال يبتسم، وها أنا أدرك كم اشتقت لرؤية تلك الابتسامة. يجب أن يبتسم طوال الوقت. للأبد. في وجهي.

يخرج من المطبخ ويعود إلى غرفة المعيشة، فأذهب إلى غرفتي للاستحمام في وقت قياسي.

لم أكن أدرك أنني ممثلة جيدة.

لقد تدرّبت على ذلك. خمس دقائق من التدريب. وقفت في غرفتي، محاولة التفكير في أفضل جملة وأكثرها عفوية عندما أدخل إلى غرفة المعيشة لأطلب من مايلز مفتاحه. قررت الانتظار حتى لحظة صاحبة خاصة في أثناء المباراة، ثم خرجت من الغرفة وصرخت عليهم جميعاً.

«أنتم يا رفاق إما أن تخفضوا صوت هذا التلفاز اللعين وإما أن تذهبوا لمشاهدة المباراة في المنزل المجاور، أنا أحاول أن أدرس!».

نظر مايلز إلي وهو يحاول إخفاء ابتسامته. نظر إليّ إيان بارتياح، وأدار كوربين عينيه. ثم قال: «اذهبي أنتِ إلى المنزل المجاور».

«نحن نشاهد المباراة». ثم نظر إليّ مايلز: «يمكنها استخدام منزلك، أليس كذلك؟».

وقف مايلز على الفور وقال: «بالتأكيد. سأدخلها الشقة».

أخذت أغراضي، وتبعته خارج شقتي، وها نحن ذا الآن.

يفتح مايلز لي باب شقته، رغم أنه غير موحد. لكن كوربين لا يعرف ذلك. يخطو إلى الداخل، وأدخل خلفه. يغلق الباب، ونلتفت ونواجه بعضنا بعضاً.

أقول: «لدي فروض منزلية حقاً». لا أعرف ما الذي يتوقع حدوثه في هذه اللحظة، لكنني أشعر أنني بحاجة إلى إخباره أن ظهوره بعد بضعة أيام، لا يعني أنه على رأس أولوياتي. مع أنه كذلك إلى حد كبير.

قال وهو يشير من فوق كتفه إلى شقتي في الوقت نفسه الذي كان يسير فيه نحوي: «وأنا لدي حقاً مباراة لأشاهدها». يأخذ كتبي من يدي ويمشي بها إلى الطاولة، حيث يضعها هناك.

يبدأ في السير نحوي ولا يتوقف حتى تضغط شفتاه على شفتي ولا نستطيع المشي أكثر لأن ظهري أصبح يستند إلى باب الشقة.

يداه تمسك بخصري، ويداي تمسك بكتفيه. ينزلق لسانه بين شفتي ويدخل إلى فمي، وأنا أتلقيه عن طيب خاطر. تأوه وهو يضغط جسده فوق جسدي بينما كانت يدي تنزلق فوق رقبتة ومن خلال شعره. يبتعد بالسرعة نفسها ويتراجع عدة أقدام.

ينظر إلي وكأن اضطراره إلى المغادرة، هو خطئي بطريقة أو بأخرى. مرر كفيه المحبطين على وجهه ثم أطلق نفساً عميقاً. قال: «لم تتمكني من تناول الطعام سابقاً. سأحضر لك بعض البيتزا». يعود نحوي، فأتنحى جانباً دون أن أجيب. يفتح الباب ويختفي. إنه غريب جداً.

أمشي إلى الطاولة وأبدأ في ترتيب كل ما أحججه للدراسة. سحبت كرسيّاً للجلوس عندما انفتح باب شقته مرة أخرى. استدرت، وكان يسير نحو المطبخ وفي يديه طبق. يضع البيتزا في الميكروويف، ويضغط على بعض الأزرار ويبدأ تشغيله، ثم يتجه مباشرة نحوي. إنه يفعل ذلك الشيء المخيف مرة أخرى مما يجعلني أبتعد عنه تلقائياً، لكن طاولته خلفي، ولا أستطيع الذهاب إلى أي مكان.

وصل إليّ وضغط شفتيه بسرعة على شفتي. وقال: «يجب أن أعود إلى هناك. هل أنت بخير؟».

أومأت بالإيجاب.

«هل تحتاجين إلى أي شيء؟».

هزرت رأسي.

«يوجد عصير ومياه معبأة في زجاجات بالثلاجة».

«شكراً».

قبلي سريعاً مرة أخرى قبل أن يطلق سراحي ويخرج من الباب.

سقطت على كرسيي.

إنه لطيف جداً.

بإمكاني التعود على هذا.

أسحب دفتر ملاحظاتي أمامي وأبدأ في الدراسة. مرت نصف ساعة تقريباً، ثم تلقيت رسالة نصية منه.

مايلز: كيف تسير الفروض المنزلية؟

أقرأ النص الذي يظهر على هاتفي، وأبتسم كالحمقاء. لقد مضت تسعة أيام دون أن يراني أو يرسلني، والآن يرسلني من مسافة قدرها عشرين قدماً.

أنا: بخير. كيف تسير المباراة؟

مايلز: نصف الوقت. نحن نخسر.

أنا: يا لخيبة الأمل.

مايلز: أنت تعلمين أن ليس لدي اشتراك في القنوات المدفوعة.

أنا: ???

مايلز: عندما صرخت علينا في وقت سابق. طلبت منا أن نذهب إلى منزلي لمشاهدة المباراة، لكنك تعلمين

بالفعل أنه ليس لدي اشتراك في القنوات المدفوعة. أعتقد أن إيان مرتاب الآن.

أنا: أوه، لا. لم أفكر في ذلك.

مايلز: لا بأس. لقد منحني فقط هذه النظرة. كما لو كان يعلم أن هناك شيئاً ما بيننا. بصراحة، لا يهمني إذا

كان يعرف. فهو يعرف كل شيء آخر عني.

أنا: أنا مندهشة لأنك لم تخبره بالفعل. ألا يحكي جميع الرجال ما إن يُقبلون؟

مايلز: ليس أنا يا تايث.

أنا: أعتقد أنك الاستثناء. الآن دعني وشأني، يجب أن أدرس.

مايلز: لا تعودني حتى أجيء وأخبرك أن المباراة قد انتهت.

أضع هاتفي على الطاولة، غير قادرة على مسح الابتسامة عن وجهي.

ينفتح باب الشقة بعد ساعة أخرى. نظرت إلى الأعلى، فدخل، وأغلق الباب، واستند إليه عرضياً. قال: «لقد انتهت المباراة».

أسقطت قلمي: «توقيت ممتاز. انتهيت للتو من فروضي المنزلية».

تقع عيناه على كتبي، المنتشرة على الطاولة: «من المحتمل أن كوربين ينتظر قدومك».
لا أعرف ما إذا كانت هذه هي طريقته في إخباري بأنني يجب أن أغادر أم أنه يجري
محادثة فقط. على أية حال، وقفت وبدأت في جمع كتبي، محاولة إخفاء خيبة الأمل على
وجهي.

يسير نحوي مباشرة ويأخذ الكتب من يدي ويعيدها إلى مكانها. دفعهم، وأزاحهم بعيداً، ثم
أمسك بخصري ودفعني للجلوس فوق الطاولة.

قال بحزم وهو ينظر في عيني بقوة: «هذا لا يعني أنني أريدك أن تغادري». لم أبتسم هذه المرة، لأنه جعلني أشعر بالتوتر مرة أخرى. في كل مرة ينظر إلي بهذه القوة، أشعر بالتوتر.

يجذبني إلى حافة الطاولة ويقف بين ساقي. لا تزال يدها على خصري، لكن شفثيه الآن على فكي. يقول بهدوء وأنفاسه تداعب رقبتني وتسبب لي القشعريرة: «كنت أفكر في هذه الليلة، وكيف كان حالك في الفصل طوال اليوم». حرك يديه تحتي، ورفعني عن الطاولة: «وكيف تعملين طوال عطلات نهاية الأسبوع، في كل نهاية أسبوع». ساقي ملفوفتان حوله الآن. وهو يحملني إلى غرفة نومه.

الآن يضعني على سريره.

الآن هو فوقني، يمشط شعري للخلف، وينظر في عيني.

«ثم أدركت أنه ليس لديك يوم عطلة أبداً». يعود فمه إلى فكي مرة أخرى، ويقبلني بهدوء بين كل جملة. «لم تحصلي على يوم عطلة منذ عيد الشكر، أليس كذلك؟».

أهز رأسي، لا أفهم لماذا يتحدث كثيراً، ولكنني أحب كلامه بالطريقة نفسها. تنزلق يده تحت قميصي، وتلتقي راحة يده ببطني، ويواصل صعوده حتى يغترف ثديي: «لا بد أنك مرهقة حقاً يا تاي».

أهز رأسي: «ليس حقاً».

أنا أكذب.

أنا مرهقة.

شفثاه تترك رقبتني، وينظر في عيني. قال وهو يمسح بإبهامه على الطبقة الرقيقة من حمالة الصدر التي تغطي حلمتي: «أنت تكذبين. أستطيع أن أقول إنك مرهقة». ينخفض فمه حتى يضغط على فمي بهدوء لدرجة أنني بالكاد أشعر به: «أريد فقط تقبيلك لبضع دقائق، حسناً؟ ثم ستغادرين وتذهبين للحصول على قسط من الراحة. لا أريد أن تعتقدي أنني أتوقع شيئاً ما لمجرد أننا معاً في المنزل».

فمه يلامس فمي مرة أخرى، لكن شفثيه لا يمكن مقارنتها بما تفعله كلماته بي. لم أكن أعلم أبداً أن التفكير يمكن أن يثيرني لهذه الدرجة.

لكن يا إلهي. إنه مثير للغاية.

تنزلق يده تحت حمالة صدري، ويغزوني فمه. في كل مرة يداعب لسانه لساني، يدور رأسي. وأتساءل عما إذا كان هذا الإحساس سيشيخ.

أعلم أنه قال إنه يريد فقط تقبيلي لبضع دقائق، لكن تعريفه للقبلة وتعريفني للقبلة مكتوبان بلغتين مختلفتين. فمه في كل مكان. وكذلك يداه.

رفع قميصي لأعلى، فوق حمالة صدري، وسحب جانباً واحداً منها إلى أسفل حتى ينكشف ثدياي. يداعبني بلسانه، وينظر إليّ وهو يفعل ذلك. فمه دافئ، ولسانه أكثر دفئاً، ما ينتزع مني أنيناً ناعماً.

يمرر يده إلى أسفل بطني ويرفعني قليلاً، ويضع ثقله على مرفقه. يسير بيده فوق بنطالي الجينز حتى يصل إلى ما بين فخذي. يمرر أصابعه على القماش الذي بين ساقي، فأترك رأسي يتراجع وأغلق عيني.

يا إلهي، كم أحب هذه النسخة من التقبيل.

بدأ في حك يده فوقي، وهو يضغط بقوة على بنطالي الجينز حتى أصبح جسدي كله يتوسل إليه في صمت. فمه لم يعد على صدري. إنه الآن على رقبتني، وهو يقبلني، ويعضني، ويمصني، كل ذلك في آنٍ واحد، كما لو كان يحاول وسمي.

أحاول أن أكون هادئة، لكن هذا مستحيل عندما يصنع هذا الاحتكاك المذهل بيننا. لكن هذا جيد، لأنه ليس هادئاً أيضاً. في كل مرة أتأوه، يتأوه أو يتنهد أو يهمس باسمي. وهذا هو سبب صوتي العالي، لأنني أحب الأصوات التي يصدرها. أحبها.

تتحرك يده بسرعة نحو زر بنطالي الجينز، فيفك أزراره، لكنه لا يبذل وضعه أو يبتعد عن رقبتني. يشد السحاب إلى الأسفل ويضع يديه فوق سروالي الداخلي. يستأنف فعل الحركات نفسها، لكن بكثافة أكثر مليون مرة، هذه المرة. ويمكنني أن أقول على الفور أنه لن يضطر إلى فعل ذلك لفترة أطول.

يتقوس ظهري عن السرير، ويتطلب الأمر كل ما أملكه حتى لا أَدفع يده بعيداً. يبدو الأمر كما لو أنه يعرف تماماً الأماكن الصحيحة التي يجب لمسها والتي تجعلني أتفاعل. «يا إلهي يا تايث. أنتِ مبتلة تماماً». تُنحي اثنين من أصابعه سروالي الداخلي جانباً: «أريد أن أشعر بك». وهذا كل شيء. أنا هالكة لا محالة.

ينزلق إصبعه بداخلي، لكن إبهامه يظل بالخارج، وأنا أتأوه دون توقف كما لو أنني يا إلهي أسطوانة مكسورة. يقبلني ويبتلع كل أصواتي بينما يبدأ جسدي بالارتجاف تحت يده. يستمر الإحساس بكثافة لفترة طويلة لدرجة أنني أخشى أن أتركه عندما ينتهي. لا أريد أن تفارقني يده. أريد أن أعفو وأنا هكذا.

أنا الآن ساكنة تماماً، لكن كلانا يتنفس بصعوبة لدرجة أننا لا نستطيع التحرك. لا يزال فمه فوقي، وأعيننا مغلقة، لكنه لا يقبلني. بعد لحظات قليلة، أخرج يده أخيراً من سروالي، ثم أغلق السحاب والأزرار مرة أخرى. عندما فتحت عيني، كان يُخرج أصابعه ببطء من فمه مع ابتسامة.

يا للجنة المقدسة.

أنا سعيدة للغاية لأني لا أقف الآن، لأن رؤيته يفعل ذلك كانت ستجعلني أسقط مباشرة على الأرض.

قلت وأنا أزفر: «رائع. أنت تجيد هذا جداً».

ترتسم ابتسامة عريضة على وجهه: «لماذا، شكراً لك». يميل إلى الأمام ويقبل جبھتي: «والآن، عودي إلى المنزل ونامي قليلاً، يا فتاة».

بدأ في النهوض من السرير، فأمسكت بذراعيه وسحبته للأسفل. قلت له: «انتظر».. أَدفعه على ظهره وأعتليه: «هذا ليس عادلاً بالنسبة لك».

قال وهو يدفعني على ظهري: «أنا لا أسجل نقاطاً. ربما يتساءل كوربين الآن عن سبب بقائك هنا». يقف ويمسك معصمي ليسحبني معه. لقد سحبني قريباً منه بما يكفي لأعرف أنه ليس مستعداً بعد على لمغادرتي إطلاقاً.

«إذا قال كوربين أي شيء، سأخبره أنني لم أكن أريد المغادرة حتى أنتهي من فروزي المدرسة».

هز مايلز رأسه. وقال: «عليك العودة يا تاي. لقد شكرني في وقت سابق على حمايتك من ديون. كيف تعتقدين أنه سيشعر إذا علم أنني فعلت ذلك فقط لأنني كنت أنانياً وأردت نفسي؟».

أهز رأسي: «لا يهمني كيف سيشعر. هذا ليس من شأنه».

وضع مايلز يديه على خدي. «أنا أهتم. إنه صديقي. لا أريده أن يعرف كم أنا منافق». قبل جبهتي وأخرجني من غرفة النوم قبل أن أتمكن من الرد. جمع كتبي وسلمها لي عندما أوصلني إلى الباب الأمامي، ولكن قبل أن أخرج، أمسك بمرفقي وأوقفني. إنه يحدق بي، لكن هناك شيئاً آخر في تعابير وجهه هذه المرة.

شيء في عينيه ليس رغبة أو شهوة أو خيبة أمل أو رهبة. إنه شيء غير منطوق به. شيء يريد أن يقوله لي وهو خائف جداً من قوله.

يداه تحتضن خدي، ويضغط فمه على فمي بقوة حتى اصطدمت بإطار الباب خلفي. إنه يقبلني بطريقة متملكة ويأثمة لدرجة أنه سيجعلني حزينة إذا لم أحبه كثيراً. يتنفس بعمق ويبتعد، ثم يزفر ببطء، ويحدق في عيني بقوة. أسقط يده وتراجع إلى الورا، منتظراً أن أخطو إلى الردهة قبل أن يغلق بابه. ليس لدي أي فكرة عما كان ذلك، ولكنني بحاجة إلى المزيد منه.

بطريقة ما، حركت ساقي، ودخلت إلى شقة كوربين. كوربين ليس في غرفة المعيشة، وضعت كتبي على المنضدة.

سمعت ماء الدش يتدفق في حمام كوربين.

كوربين يستحم.

خرجت على الفور من الباب ورجعت عبر الردهة وطرقت. انفتح بابه بسرعة كبيرة كما لو أن مايلز لا يزال واقفاً في المكان نفسه. ينظر من فوق كتفي إلى باب شقتي.

قلت: «كوربين يستحم».

نظر مايلز إليّ، وقبل أن أن يكون لديه الوقت الكافي لاستيعاب كلماتي، سحبني إلى داخل شقته. أغلق الباب بقوة وجذبني إليه، ومرة أخرى، صار فمه في كل مكان. لم أضيع أي وقت، فكت أزرار بنطاله الجينز وسحبته عدة بوصات لأسفل. تمكنت يداه من بنطالي وسحبته إلى الأسفل تماماً، مع سروالي الداخلي. بمجرد أن يُخرج قدمي منهما، يدفعني نحو طاولة مطبخه. يدور حولي، ويموضعي حتى أتكى على بطني على الطاولة. يصل بين ساقي، ويباعدتهما أكثر بينما يحمر نفسه من بنطاله الجينز. كلتا يديه تتحرك نحو خصري وتقبض علي بقوة.

يثبت نفسه فوقني ثم يقحم نفسه بحذر بداخلي. يتأوه: «يا إلهي». أفرد راحتي بطريقة مسطحة على الطاولة. لا يوجد شيء لأمسك به، وأنا في حاجة شديدة إلى الاستيلاء على شيء ما. يميل إلى الأمام ويضغط بصدره على ظهري. أنفاسه ثقيلة وساخنة وتضطدم بجلدي: «يجب أن أحضر واقياً ذكرياً». أتنفس: «حسناً».

ومع ذلك، فهو لم يتراجع بعد، وجسدي يريد بعفوية أن يُكمل ما بدأ. ضغطت نفسي عليه، ودفعته أكثر بداخلي، ما جعله يحفر أصابعه في وركي بقوة حتى جفلت. صوته يُحذرني: «إياك أن تفعلي يا تايث». أو أن تجرؤي.

أفعل ذلك مرة أخرى، فيتأوه، وسرعان ما ينسحب بعيداً عني تماماً. لا تزال يداه تحفران في وركي، ولا يزال يضغط عليّ، لكنه لم يعد بداخلي. همست: «أنا أستخدم حبوب منع الحمل». لا يتحرك.

أغمض عيني وأريده أن يفعل شيئاً. أي شيء. أنا أحترق اشتياقاً هنا. همس: «تايث». ولا يعقب بشيء. نقف بهدوء، معاً في الوضع نفسه، واقفاً خلفي مباشرة. «اللعة». حرر خصري والتقط يدي من الطاولة. وأدخل أصابعه في أصابعي وبدأ يضغط، ثم دفن وجهه في رقبتني من الخلف: «جهزي نفسك».

اصطدم بي بطريقة غير متوقعة لدرجة أنني صرخت. تركت إحدى يديه يدي ووضعتها على فمي ليغطيه. حذرني: «هشش». ظل ثابتاً، ليمنحني لحظة للتكيف معه بداخلي. ثم انسحب وهو يتأوه ودخل مرة أخرى، ما جعلني أصرخ ثانيةً. يده تكتم أصواتي هذه المرة.

كرر الحركة.

أقوى.

أسرع.

إنه ينخر مع كل طعنة، ويصدر عني أصواتاً لم أكن أعلم حتى أنني أستطيع إخراجها. لم يسبق لي تجربة أي شيء مثل هذا من قبل. لم أكن أعلم أنه يمكن أن يكون بهذه الشدة. هذه الوحشية. هذه الحيوانية.

خففت وجهي وضغطتُ على خدي على الطاولة.

أعصر عيوني المغلقة.

لقد سمحت له أن يسحقني.

إنه هادئ.

وكان الصمت يخيم علينا، ولا أعرف ما إذا كان السبب هو أننا كنا صاخبين للغاية قبل بضع ثوانٍ فقط، أم أنه يحتاج فقط إلى دقيقة واحدة لالتقاط أنفاسه.

إنه لا يزال بداخلي، لكنه انتهى. إنه لا يتحرك. إحدى يديه لا تزال تغطي فمي، والأخرى لا تزال تضغط على أصابعي. ولا يزال وجهه مدفوناً على رقبتني.

لكنه لا يزال خائفاً بطريقة لا تصدق من التحرك. لا أشعر حتى أنه يتنفس.

يده كانت أول شيء يتحرك بعيداً عن فمي. فتح أصابعه المتشابكة على أصابعي، وأبعدها ببطء.

ضغطت بكليتي يديه على الطاولة ورفع وجهه بعيداً عن رقبتني.

خرج مني دون صوت.

لا يزال الوضع هادئاً جداً، لذا لم أتحرك.

أسمعه وهو يرفع سرواله ويغلقه.

أسمع خطواته وهو يبتعد.

إنه يبتعد.

يُغلق باب غرفة نومه، فأجفل. لا يزال خدي وراحتي يدي ومعدتي مسطحين على طاولته،
ودموعي الآن أيضاً.

إنها تهطل.

تهطل، تهطل، تهطل، ولا أستطيع إيقافها.

أشعر بالإحراج. بالوصم. ليس لدي أي فكرة عن الخطب الذي يعانیه بحق الجحيم، لكن
لدي الكثير من الكرامة والقليل من الشجاعة لمعرفة ذلك.

بدا ذلك وكأنه نهاية. لست متأكدة من أنني كنت مستعدة أن تكون هذه النهاية. لست
متأكدة من أنني كنت مستعدة لوجود نهاية، وأكره نفسي لأنني سمحت لمشاعري بالوصول
إلى هذه النقطة.

أنا غاضبة أيضاً لأنني هنا، أقف في شقتي، أبحث عن سروالي، وأحاول إيقاف دموعي
السخيفة، وما زلت أشعر ببقاياها تنزلق على ساقي، وليس لدي أدنى فكرة عن سبب إفساده
لهذه اللحظة.

لقد دمرني.

انتهيت من ارتداء ملابسني، ثم غادرت.

الفصل العشرون

مايلز

قبل ست سنوات

أقول لها: «لقد صار لديك سرّة محدبة». مررت أصابعي على بطنها العاري وقبّلتها: «إنها ظريفة».

وضعت أذني على جلدها وأغمضت عيني. أقول: «أراهن أنه وحيد هناك. هل أنت وحيد هناك يا صديقي؟».

تضحك ريتشل: «أنت تستمر في مناداته بالصبي. ماذا لو كان فتاة؟». أخبر ريتشل أنه مهما كان، سأحبه بالطريقة نفسها. أنا أحبه بالفعل. أو أحبها.

أباؤنا خارج المدينة. نحن نلعب دور المنزل مرة أخرى، إلا أننا هذه المرة لا نلعب. الأمر جديّ.

تسأل: «ماذا سيحدث إذا تقدم للزواج منها بالفعل هذه المرة؟». أقول لها ألا تقلق. أقول لها إنه لن يتقدم للزواج. لأنه سيسألني أولاً قبل أن يفعل ذلك. أنا أعرفه جيداً.

أقول لها: «علينا أن نخبرهما».

أومأت. إنها تعلم أن علينا أن نخبرهما. لقد مرت ثلاثة أشهر. وبقي شهران على التخرج. وقد بدأت علامات الحمل تظهر عليها.

أصبح لديها سرّة محدبة. إنها ظريفة.

أقول: «يجب أن نخبرهما غداً».

تقول حسناً.

أبتعد عن بطنها وأستلقي بجانبها. أسحبها في اتجاهي. أهدق في وجهها.

أقول لها: «أحبك يا ريتشل».

إنها ليست خائفة الآن. أخبرتني أنها تحبني أيضاً.
أقول: «أنت تقومين بعمل جيد». إنها لا تعرف ما أتحدث عنه، لذلك ابتسمت ولمست
بطنها: «أنت تقومين بعمل جيد في المساعدة على نموه. أنا متأكد من أنكِ ستنجبين أفضل
طفل ساعدت أي امرأة في نموه على الإطلاق».
تضحك على سخاوتي.

أنتِ تحبيني كثيراً يا ريتشل.
أنظر إليها - إلى الفتاة التي أهديتها قلبي - وأتساءل كيف حالفني الحظ إلى هذا الحد.
وأتساءل لماذا تحبني بقدر ما أحبها.
أتساءل ماذا سيقول أبي عندما يعلم بأمرنا.
أتساءل عما إذا كانت ليزا ستكرهني، وعما إذا كانت ستريد إعادة ريتشل إلى فينيكس.
وأتساءل كيف يمكنني إقناعهما بأننا سنتمكن من فعلها.
أسألها: «ماذا سنسميه؟».

تتحمس عندما أسألها. إنها تحب الحديث عن الأسماء.
تقول إذا كانت فتاة، فإنها تريد أن تسميها كليير. على اسم جدتها.
أقول لها أتمنى لو أنني تعرفتُ إلى جدتها. أريد أن أعرف المرأة التي ستسمى ابنتي باسمها.
أخبرتني أن جدتها كانت ستحبني. أخبرها أنني أحب اسم كليير.
أسأل: «ماذا لو كان صبياً؟».

تقول: «يمكنك اختيار اسم الصبي».
أقول لها إن هذا ضغط كبير. وأنه سيتعين عليه أن يعيش بهذا الاسم لبقية حياته. تقول:
«إذن، من الأفضل أن تختار اسماً جيداً».

من الأفضل أن أختار اسماً جيداً.
تقول: «هذا ذو معنى بالنسبة لك».
اختيار اسمه ذو معنى بالنسبة لي.
أخبرها أن لدي الاسم المثالي له.
تريد أن تعرف ما هو. أقول لها إنني لن أخبرها. سأخبرها باسمه بعد أن يصبح اسمه.

أي بعد ولادته.

تقول إنني مجنون. وتقول إنها ترفض ولادة طفلنا حتى تعرف اسمه.

أضحك. وأخبرها أن ليس لديها خيار.

تقول إنني مجنون.

أنت تحبين ذلك في يا ريتشل.

الفصل الواحد والعشرون

تايت

لقد كنت أعمل طوال عطلة نهاية الأسبوع، لذلك لم أرَ مايلز أو أتحدث إلى منذ ليلة الخميس. ما زلت أقول لنفسى إن هذا هو الأفضل، لكن من المؤكد أن الأمر لا يناسبني بالطريقة التي أتركه يتغذى بها علي. الليلة هي الاثنين، وهو اليوم الأول من بين الأيام الثلاثة التي لن يعود فيها كوربين إلى المنزل، بينما سيعود مايلز. أعرف أنه يعلم أن كوربين قد رحل، لكن بناءً على الطريقة التي أنهى بها الأمور يوم الخميس، أشك في أنه يهتم كثيراً. كنت أتوقع إلى حد ما أنه سيشرح لي في النهاية إذا ما كنت قد فعلت شيئاً خاطئاً، أو يُخبرني على الأقل بما أزعجه إلى هذه الدرجة، لكن آخر ما حصلت عليه منه كان صفحة باب غرفة نومه بعد أن ابتعد.

أستطيع أن أفهم لماذا لم يدخل أي علاقة خلال ست سنوات. من الواضح أنه جاهل عندما يتعلق الأمر بكيفية معاملة الرجل للفتاة، وهو ما يفاجئني، لأنني أستقبل منه ما يؤكد أنه رجل محترم حقاً. ومع ذلك، يبدو أن تصرفاته أثناء ممارسة الجنس وبعدها تتعارض مع شخصيته. يبدو الأمر كما لو أن أجزاء من الرجل الذي اعتاد أن يكونه، تسيل في الرجل الذي يحاول أن يكون.

إذا عاملني أي رجل آخر كما فعل، فستكون هذه هي المرة الوحيدة. أنا لا أتحمّل الأشياء التي رأيت الكثير من صديقاتي يتحملنها. ومع ذلك، أجد نفسي مستمرة في تقديم الأعذار له، وكأن شيئاً ما قد يبرر ما فعله الأسبوع الماضي.

لقد بدأت أخشى أنني ربما لست صلبة على الإطلاق.

وقد تأكد هذا الخوف على الفور عندما قفز قلبي بمجرد خروجي من المصعد. هناك ملاحظة ملصقة على باب شقتي، لذا أسرعت إليها وسحبته. إنها مجرد ورقة مطوية دون أي شيء مكتوب على الجزء الخارجي منها. أفتحها: أحتاج إلى تنفيذ مهمة. سأمر عليك عند الساعة السابعة إذا أردت المجيء معي. قرأت الملاحظة عدة مرات، من الواضح أنها منه، ومن الواضح أنها

موجهة لي، لكن الملاحظة تبدو عرضية بطريقة لا تصدق، لدرجة أنني بدأت أشك للحظة في أن يوم الخميس قد حدث بالفعل.

لكنه رغم ذلك كان حاضراً. إنه يعرف كيف انتهت تلك الليلة بيننا. إنه يعلم أنني لا بد منزعجة أو غاضبة، لكن لا شيء في ملاحظته يُظهر ذلك على الإطلاق.

أفتح باب منزلي وأدخل قبل أن أذهب وأطرق على بابه بشدة لأصرخ في وجهه. أسقط أغراضي بمجرد دخولي إلى شقتي وأقرأ الملاحظة مرة أخرى، وأبدأ بتحليل كل شيء، بدءاً من خط يده وحتى اختياره للكلمات. حملت الملاحظة بين يدي ورميتها في اتجاه المطبخ، وأنا غاضبة تماماً.

غاضبة لأنني أعلم بالفعل أنني سأذهب معه.

لا أعرف كيف لا أفعل.

طرقٌ خفيف على الباب في تمام الساعة السابعة. يزعجني التزامه بالمواعيد، مع أن هذا ليس خطأً. فلا شيء لدي ضد الالتزام بالمواعيد. لدي شعور بأن كل شيء يفعله مايلز الليلة سوف يغضبني.

أمشي إلى الباب الأمامي وأفتحه.

إنه يقف في الردهة، على بعد عدة أقدام. ربما يكون في الواقع أقرب إلى باب منزله منه إلى بابي. كان ينظر إلى قدميه عندما فتحت الباب، لكنه في النهاية رفع عينيه ليقابلني. يدها مخبأتان في جيوب سترته مرة أخرى، ولا يرفع رأسه إلى أعلى. أعد هذا علامة على الاستسلام منه، مع أنها على الأرجح ليست كذلك.

«هل تريدان المجيء معي؟».

صوته يغزوني. يُضعفني. يحولني إلى سائل مرة أخرى. أومأت برأسي عندما خرجت إلى الردهة وأغلقت الباب خلفي. أو صدته واستدرتُ لم واجهته. أو ما برأسه نحو المصاعد، وأخبرني بصمت أنه سيتبعني. أحاول قراءة التعبير في عينيه، لكن يجب أن أعرف أفضل. أمشي نحو المصعد وأضغط على الزر السفلي.

يقف بجانبى، لكن لا أحد منا يتكلم. يستغرق المصعد ما يبدو وكأنه سنوات للوصول إلينا. عندما يفتح أخيراً، يتنفس كل منا الصعداء، ولكن بمجرد أن نكون في الداخل وتغلق الأبواب، لا يستطيع أي منا التنفس مرة أخرى. أستطيع أن أشعر به وهو يراقبني، لكنني لا أنظر إليه. لا أستطيع.

أشعر بالغباء. أشعر وكأنني أريد البكاء مرة أخرى. الآن بعد أن أصبحت هنا وليس لدي أي فكرة إلى أين نحن ذاهبان، أشعر وكأنني حمقاء لأنني سمحت له بالوصول بي إلى هذا الحد. «أنا آسف» صوته ضعيف، لكنه أيضاً صادق بطريقة مذهلة. لا أنظر إليه. لا أurd حتى. أخذت ثلاث خطوات عبر المصعد، ثم وصل إلى جانبي وضغطت على زر إيقاف المصعد في حالات الطوارئ. ظل إصبعه على الزر وهو يراقبني، لكنني أبقيت عيني إلى أسفل. وجهي في مستوى صدره، لكن فكي متوتر، ولا أريد أن أنظر إليه. لن أنظر.

يكرر: «تأيت، أنا آسف». لم يلمسني، لكنه يغزوني مرة أخرى. إنه يقف بالقرب مني لدرجة أنني أستطيع أن أشعر بأنفاسه وبه ومدى أسفه حقاً، لكنني لا أعرف حتى ما الذي من المفترض أن أسامحه عليه. لم يعدني أبداً بأي شيء آخر غير الجنس، وهذا بالضبط ما أعطاني إياه. الجنس.

لا شيء أقل وبالتأكيد لا أكثر. يقول مرة أخرى: «أنا آسف. أنت لا تستحقين ذلك». هذه المرة، لمس ذقني، ورفع عيني لمقابلته. إن ملمس أصابعه على وجهي يجعل فكي أكثر توتراً. أفعل كل ما بوسعي للحفاظ على درعي، لأنني أجد صعوبة في مقاومة دموعي. لقد عاد الشيء نفسه الذي رأيته في عينيه عندما قبلني على باب منزله ليلة الخميس. شيء غير معلن يتمنى أن يقوله، لكن الكلمات الوحيدة التي تخرج من فمه هي اعتذاراته. يجفّل كما لو أنه يعاني من ألم جسدي حقيقي، ويضغط بجهته على جبهتي. «أنا آسف».

وضع راحتيه على جدار المصعد وانحنى نحوي حتى تلامست صدورنا. ذراعي إلى جانبي، وعيناي مغمضتان، وبقدر ما أشعر بالرغبة في البكاء الآن، أرفض أن أفعل ذلك أمامه. ما زلت غير متأكدة مما يعتذر عنه علي وجه التحديد، لكن هذا لا يهم، لأنه يبدو وكأنه يعتذر عن كل شيء. لبدء شيء معي كنا نعلم أنه لن ينتهي جيداً. لعدم قدرته على الانفتاح على ماضيه. لعدم قدرته على الانفتاح على مستقبله. لأنه دمرني عندما دخل إلى غرفة نومه وأغلق بابه. تلتف إحدى يديه حول جانب رأسي، ويسحبني إليه. تسقط يده الأخرى على ظهري، ويضغط علي، ويضغط خده على رأسي. يعترف قائلاً: «لا أعرف ما هذا يا تاييت. لكنني أقسم أنني لم أقصد أن أؤذيك. أنا فقط لا أعرف ماذا أفعل بحق الجحيم».

الاعتذار في صوته يكفي لجعل ذراعي ترغب في احتضانه. رفعتهما وأمسكت بأكمام قميصه، ثم ضغطت وجهي على صدره. نقف هكذا لعدة دقائق، كلانا تائه تماماً. جديان تماماً على هذا.

مرتبكان تماماً.

أطلق سراحي في النهاية وضغط على الزر ليأخذنا إلى الطابق الأرضي. ما زلت لا أتحدث، لأنني لست متأكدة حتى من الكلمات التي يجب استخدامها في هذا الموقف. عندما فُتحت أبواب المصعد، أخذ يدي في يده وأمسك بها طوال الطريق إلى سيارته. يفتح بابي وينتظر أن أصعد إلى الداخل، ثم يغلقه ويتجول إلى جانبه. لم أكن داخل سيارته من قبل.

أنا مندهشة من بساطتها. أعلم أن كوربين يجني مبلغاً لا بأس به من المال، وعادةً ما يحب إنفاقه على الأشياء الجميلة. هذه السيارة أقل من قيمتها الحقيقية، تماماً مثل مايلز. يخرج من مرآب السيارات، ونقود السيارة في صمت لعدة أميال. لقد سئمت الهدوء وتعبت من الفضول، فأول ما أقول له منذ أن دمرني: «إلى أين نذهب؟».

يبدو الأمر كما لو أن صوتي يجعل الإحراج يتفكك تماماً، لأنه يزفر وكأنه مرتاح لسماع صوتي.

يقول: «إلى المطار. ليس من أجل العمل، فأنا أذهب إلى هناك أحياناً لمشاهدة الطائرات وهي تقلع».

يمد يده عبر المسند بيننا، ويأخذ يدي في يده. إنه أمر مريح ومخيف في الوقت نفسه. يده دافئتان، ما يجعلني أريد أن يمسك جسدي بالكامل بهما، لكن يخيفني كم أريد ذلك. أصبح الجو هادئاً تماماً مرة أخرى حتى وصلنا إلى المطار. هناك لافتات تمنع الدخول، لكنه يمر عبرها وكأنه يعرف بالضبط إلى أين يتجه. وصلنا أخيراً إلى ساحة انتظار السيارات المطلة على المدرج.

تصطف عدة طائرات في انتظار الإقلاع. يشير إلى اليسار، وأنا أنظر، بينما تبدأ إحدى الطائرات في التسارع. تمتلئ سيارته بصوت المحركات وهي تقترب منا. نشاهدها وهي تطلع، حتى يختفي ترس الهبوط وابتلع الليل الطائرة.

سألته بينما أوصل التحديق من نافذتي: «هل تأتي إلى هنا كثيراً؟». يضحك، فكان من الطبيعي أن أستدير لمواجهته. يقول مبتسماً: «بدا ذلك وكأنها جملة معدة سلفاً».

ابتسامته تجعلني أبتسم. عيناه تسقط على فمي، وابتسامتي تجعل ابتسامته تختفي. قال وهو ينظر من نافذته مرة أخرى ليشاهد الطائرة التالية تستعد للإقلاع: «نعم، أفعل ذلك». أدرك في هذه اللحظة أن الأمور ليست هي نفسها بيننا. لقد تغير شيء كبير، ولا أستطيع تحديد ما إذا كان جيداً أم سيئاً. لقد أحضرني إلى هنا لأنه يريد التحدث. أنا فقط لا أعرف ما الذي يريد التحدث عنه.

قلت وأنا أريده أن ينظر إلي مرة أخرى: «مايلز». لكنه لا يفعل ذلك. يقول بهدوء: «هذا ليس ممتعاً. هذا الشيء الذي نفعله».

لا أحب هذه الجملة. أريده أن يتراجع عنها، لأنه يبدو وكأنه يجرحني. لكنه على حق. أقول: «أعرف».

«إذا لم نتوقف الآن، فسوف يزداد الأمر سوءاً».

أنا لا أتفق معه لفظياً هذه المرة. أعلم أنه على حق، لكنني لا أريد أن أتوقف. فكرة عدم وجودي معه مرة أخرى تجعلني أشعر بالخواء في معدتي: «ماذا فعلت لأزعجك إلى هذا الحد؟».

تحقق عينيه في عيني، وبالكاد أستطيع التعرف إليهما بسبب الجليد المتراكم خلفهما. يقول بحزم: «هذا كل ما عندي يا تاي. إياك أن تعتقدي للحظة أن مشاكلي بسبب أي شيء فعلته أو لا تفعلينه».

تشعرتني إجابته بقدر بسيط من الارتياح، ولكن لا يزال ليس لدي أي فكرة عن الخطب الذي يعانیه. نُبقي أعينا مغلقة، في انتظار أن يملؤنا الصمت من جديد. ليس لدي أي فكرة عما عانى منه في الماضي، ولكن لا بد أن الأمر كان صعباً جداً إذا لم يتمكن من الماضي قدماً بعد ست سنوات.

«أنت تتصرف كما لو أنه أمر سيئ بالنسبة لنا أن نروق بعضنا لبعض».

يقول: «ربما يكون الأمر كذلك».

أريده نوعاً ما أن يتوقف عن الحديث الآن، لأن كل ما يقوله يسبب لي المزيد من الألم ويجعلني أكثر ارتباكاً: «هل أحضرتني إلى هنا لإنهاء الأمر؟».

يتنهد بشدة: «أردت فقط أن يكون الأمر ممتعاً، ولكن... أعتقد أنه قد تكون لديك توقعات مختلفة عن توقعاتي. لا أريد أن أؤذيك، وإذا واصلنا فعل ذلك... سأفعل». ينظر من نافذته مرة أخرى.

أريد أن أضرب شيئاً ما، لكن بدلاً من ذلك، أسقطت يدي المحبطين على وجهي وغصت بقوة في مقعدي. لم أقابل أبداً أي شخص يمكنه أن يقول القليل جداً عندما يتحدث. أنه يتقن بالتأكيد فن المراوغة.

«عليك أن تعطيني أكثر من ذلك يا مايلز. تفسير بسيط ربما؟ ماذا حدث لك بحق

الجحيم؟».

يشد فكه بقوة القبضة التي لا يشد بها على عجلة القيادة: «لقد طلبت منك أن تفعل شيئين. لا تسألني عن ماضي، ولا تتوقعي مستقبلاً لنا أبداً. وأنت تفعلين الأمرين».

أومئ بالموافقة: «نعم يا مايلز. أنت على حق. أنا أفعل. لأنني معجبة بك، وأعلم أنك معجب بي، وعندما نكون معاً، يكون الأمر رائعاً، وهذا ما يفعله الأشخاص العاديون. عندما يجدون شخصاً يتوافق معهم، فإنهم يفتحون له. يسمحون له بالدخول. يريدون أن يكونوا

معه. إنهم لا يمارسون الجنس معه على طاولة مطبخهم ثم يبتعدون ويجعلونه يشعر تماماً وكأنه قطعة من الخراء».

لا شيء.

لا يمنحني أي شيء.

لا يعطي أي رد فعل على الإطلاق.

ينظر إلى الأمام ويعيد تشغيل السيارة. ويقول: «لقد كنت على حق». يرجع بالسيارة إلى الخلف ويستعد للخروج من ساحة انتظار السيارات: «إنه لأمر جيد أننا لم نكن أصدقاء في البداية. كان من الممكن أن يجعل هذا الأمر أصعب بكثير».

أبتعد عنه لأنني أشعر بالحرَج من مدى الغضب الذي يعتريني بفعل كلماته. أشعر بالحرَج من أن الأمر يؤلمني بهذه الطريقة، لكن كل شيء مع مايلز يؤلمني. إنه يؤلم لأنني أعرف مدى جودة لحظاتها الجيدة، وأعلم مدى سهولة اختفاء اللحظات السيئة إذا توقف عن محاولة محاربة هذا.

يقول بصوت يغلفه الندم: «تأيت».

أريد أن أمزق صوته من حنجرتي.

يده تلامس كتفي، والسيارة متوقفة: «لم أقصد ذلك يا تأيت».

أدفع يده بعيداً وأقول: «إياك. إما أن تعترف أنك تريدني لأكثر من مجرد ممارسة الجنس، وإما أن تأخذني إلى المنزل». إنه هادئ. ربما كان يفكر في إنذاري الأخير.

اعترف بذلك يا مايلز. اعترف بذلك. أرجوك.

تبدأ السيارة في التحرك مرة أخرى.

يسألني كاب، وهو يعطيني منديلاً آخر: «ماذا كنت تتوقعين أن يحدث؟».

عندما عدنا أنا ومايلز إلى المجمع السكني، لم أستطع تحمل ركوب المصعد معه، لذلك جلست بجوار كاب وتركته يصعد بمفرده. على عكس المظهر الخارجي القاسي الذي حاولت إظهاره لمايلز، فقد انهزت تماماً وأنا أفشي كل التفاصيل إلى كاب، سواء كان مهتماً بسماعها أم لا.

مسحت أنفي مرة أخرى وأسقطت المنديل فوق الكومة المجاورة لي على الأرض. أقول: «لقد كنت متوهمة. قلت لنفسي إنني قد أستطيع التعامل مع الأمر إذا لم يرغب في المزيد. أظن أنني صدقت أنه إذا سمحت له بأخذ وقته، فسوف يخضع في النهاية».

يصل كاب إلى سلة المهملات بجانبه ويضعها بيننا حتى يكون لدي مكان أرمي فيه مناديلي: «إذا كان هذا الصبي لا يستطيع رؤية الشيء الجيد الذي يمكن أن يحصل عليه معك، فهو لا يستحق وقتك».

أومأت برأسي، متفقة معه. لدي الكثير من الأشياء الأكثر أهمية لأفعلها، لكن لسبب ما، أشعر لو أنه لو تمكن مايلز من رؤية الأشياء الجيدة التي لديه معي، فسيتبنى أن نتمكن من إنجاح هذا الأمر بيننا، لكن شيئاً أكبر منه أو مني أو منا يعوقه. أتمنى فقط أن أعرف ما هو. يسألني كاب: «هل أخبرتك مزحتي المفضلة بعد؟».

هزرت رأسي وأخرجت منديلاً آخر من العلبة التي بين يديه، وقد شعرت بالارتياح من تغيير الموضوع.

يقول: «طرق، طرق».

لم أكن أتوقع أن تكون مزحته المفضلة مزحة غير متوقعة، لكنني أسايره. «من هناك؟»

يقول: «البقرة المزعجة».

«مزعج...»

يصرخ بصوت عالٍ مزعج مُقلِّداً صوت البقرة: «مُووو!».

أحدق فيه.

ثم أضحك.

أضحك أكثر مما ضحكت منذ وقت طويل.

الفصل الثاني والعشرون

مايلز

قبل ست سنوات

أخبرني أبي أنه يريد التحدث إلينا.
طلب مني أن أحضر ريتشل وأقابله هو وليزا حول طاولة غرفة الطعام. قلت له حسناً، فهناك شيء نحتاج للتحدث عنه معكما أيضاً.
يبرق الفضول في عينيه لثانية فقط. إنه يفكر في ليزا مرة أخرى، ولم يعد يشعر بالفضول بعد الآن.

كل شيء بالنسبة له هو ليزا.
أذهب إلى غرفة ريتشل، كل شيء بالنسبة لي، وأخبرها أنهما يريدان التحدث إلينا.
نلتف جميعاً حول طاولة غرفة الطعام.
أعرف ما سيقوله. سيخبرنا أنه تقدم لطلب الزواج منها. لا أريد أن أهتم، لكنني أفعل.
أتساءل لماذا لم يخبرني أولاً. وهذا يشعرني بالحزن، لكن قليلاً فقط. فهذا لن يهم بعد أن نخبرهما بما يجب أن نقوله لهما.

يقول: «لقد طلبت من ليزا أن تتزوجني». ليزا تبسم له. فيبتسم لها.
ريتشل وأنا لا نبتسم.

تقول ليزا وهي تشير إلى خاتمها: «وها نحن فعلناها».
ها.

نحن.

فعلناها.

تتنفس ريتشل من فمها بهدوء.

إنهما متزوجان بالفعل.

يبدو عليهما السعادة.

إنهما ينظران إلينا وينتظران ردة فعلنا.
يعتري ليزا القلق. فهي لا تحب أن تكون ريتشل مستاءة للغاية.
«عزيزتي، لقد كان الأمر وليد اللحظة. كنا في لاس فيجاس، ولم نرغب في حفل زفاف كبير. أرجوكي لا تغضبي».

تغطي ريتشل وجهها بيديها وتبدأ في بالبكاء. ألف ذراعي حولها وأحاول مواساتها. أريد أن أقبلها لأطمئنها، لكن أبي وليزا لن يفهما ذلك.
أحتاج أن أخبرهما.

يبدو أبي مرتبكاً لأن ريتشل منزعجة جداً. يقول: «لم أكن أعتقد أن أيّاً منكما سوف يمانع. فأنتما ستغادران إلى الكلية في غضون شهرين».
إنه يعتقد أننا غاضبان منهما.

قلت وذراعي باقٍ حول ريتشل: «أبي؟ ليزا؟»

أنظر إلى كل منهما.

وأخرب يومهما.

أخربّه.

«ريتشل حامل».

صمت.

صمت.

صمت.

صمت مطبق.

ليزا مصدومة.

أبي يواسي ليزا. ذراعه حولها، ويربت على ظهرها.

تقول ليزا لريتشل: «ليس لديك حبيب!».

ريتشل تنظر إلي.

أبي يقف. إنه غاضب الآن. يصرخ: «من المسؤول؟». ينظر إلي: «أخبرني من هو يا مايلز. أي نوع من الرجال يجعل فتاة تحبل، ولا يملك الشجاعة ليكون معها عندما تخبر أمها؟ أي

نوع من الرجال يسمح لشقيق الفتاة أن يكون هو من يعلن الأخبار؟». أقول لأبي: «أنا لست شقيقها».

لست شقيقها.

يتجاهل تعليقي. إنه يتجول في المطبخ الآن. إنه يكره الشخص الذي فعل هذا بريتشل. أقول وأنا أقف: «أبي».

يتوقف عن التجول. يستدير وينظر إلي.

«أبي...».

فجأة لم تعد لدي الثقة التي كانت لدي وأنا جالس.

يجب علي فعل ذلك.

«أبي، لقد كان أنا. أنا الذي جعلتها تحبل».

كلماتي أصعب من أن يتلعتها.

ليزا تحوّل نظرها ذهاباً وإياباً بيني وبين ريتشل. ولا تستطيع أيضاً ابتلاع ما أقوله.

يقول أبي: «هذا غير ممكن»، محاولاً إبعاد كل الأفكار التي تقول له أن هذا ممكن. أنتظر حتى يستوعب الأمر.

يتغير تعبيره من الارتباك إلى الغضب. ينظر إلي وكأنني لست ابنه. ينظر إلي وكأنني الرجل الذي فعل هذا بابنة زوجته الجديدة.

إنه يكرهني.

إنه يكرهني.

إنه حقاً يكرهني.

«اخرج من هذا المنزل».

أنظر إلى ريتشل. أمسكت يدي وهزت رأسها، وتوسلت إلي بصمت ألا أغادر.

يقول مرة أخرى: «اخرج».

إنه يكرهني.

أخبر ريتشل أنني يجب أن أذهب: «فقط لبعض الوقت».

تتوسل إلي ألا أذهب. يسير أبي حول الطاولة ويدفعني. يدفعني نحو الباب. تركت يد ريتشل.

قلت لها: «سأكون عند إيان. أحبك».

من الواضح أن هذه الكلمات أكثر من اللازم بالنسبة لأبي، لأن قبضته توجهت نحوي على الفور. سحب يده إلى الخلف وبدأ مصدوماً تماماً مثلما فعلت، لأنه لكمني للتو. خرجت وأغلق أبي الباب.

أبي يكرهني.

أتجه إلى سيارتي وأفتح الباب. أجلس في مقعد السائق، لكنني لا أشغل المحرك. أنظر في المرأة. شفتي تنزف.

أنا أكره أبي.

أخرج من سيارتي وأغلق الباب. أعود إلى المنزل. يهرع أبي إلى الباب.

أرفع راحتي. لا أريد أن أضربه، لكنني سأفعل. إذا لمسني مرة أخرى، سأضربه.

ريتشل لم تعد حول الطاولة بعد الآن.

ريتشل في غرفتها.

أقول لكليهما: «أنا آسف. لم نقصد أن يحدث ذلك، لكنه حدث، وعلينا الآن أن نتعامل

معه».

ليزا تبكي. أبي يعانقها. وأنا أنظر إليها.

أقول: «أنا أحبها. أنا أحب ابنتك. سأعتني بهما».

سنتمكن من ذلك.

لا تستطيع ليزا حتى النظر إلي.

كلاهما يكرهانني.

«بدأ هذا حتى قبل أن أقابلك يا ليزا. التقيت بها قبل أن أعرف أنك مع أبي، وحاولنا إيقاف

ذلك».

هذا كذب.

يتقدم أبي إلى الأمام: «طوال الوقت؟ لقد كان هذا يحدث طوال الوقت الذي عاشت فيه هنا؟».

أهز رأسي: «لقد كان الأمر يحدث من قبل أن تنتقل للعيش هنا». إنه يكرهني أكثر الآن. يريد أن يضربني مرة أخرى، لكن ليزا تسحبه إلى الخلف. أخبرته أنهما سوف يجدان حلاً لذلك. أخبرته أنها تستطيع «إنهاء الأمر». أخبرته أن الأمر سيكون على ما يرام.

قلت لليزا: «لقد فات الأوان لذلك. إنها حامل منذ فترة». لا أنتظر أن يضربني أبي مرة أخرى. أسرع إلى أسفل الردهة وذهبت إلى ريتشل. أوصدت الباب خلفي. قابلتني في منتصف الطريق. ورمت ذراعيها حول رقبتني وبكت في قميصي. أقول: «حسناً. لقد انتهى الجزء الصعب».

تضحك من خلال بكائها. وأخبرتني أن الجزء الصعب لم ينته بعد. أخبرتني أن الجزء الأصعب هو الولادة وإخراج هذا الطفل. أضحك.

أحبك كثيراً يا ريتشل.

همست قائلة: «أحبك كثيراً يا مايلز».

الفصل الثالث والعشرون

تايت

أنا أفتقدك كثيراً يا مايلز.

أفكار كهذه هي السبب وراء إغراق أحزاني بالشوكولاتة. لقد مرت ثلاثة أسابيع منذ أن أعادني إلى المنزل. مرت ثلاثة أسابيع منذ أن وضعت عيني عليه. جاء عيد الميلاد وذهب، لكنني بالكاد لاحظت ذلك لأنني عملت خلاله. ليلتان مباريات يوم خميس لم يحضرهما مايلز.

جاء العام الجديد وذهب. بدأ فصل دراسي آخر.

وما زالت تايت تفتقد مايلز.

أخذ رقائق الشوكولاتة وحليب الشوكولاتة وأذهب إلى المطبخ لإخفائها عن الشخص الذي يطرق باب الشقة.

أعلم بالفعل أنه ليس مايلز، لأن تشاد وتارين هما من يطرقان بابي. إنهما الصديقان الوحيدان اللذان تعرفت إليهما هنا بقدر ما أنا مشغولة، هما أصدقائي فقط لأننا في مجموعة الدراسة معاً.

ولهذا السبب يطرقان بابي الآن.

أفتحه، يقف تشاد عند المدخل دون تارين.

«أين تارين؟».

يقول: «لقد استدعوها لتغطية مناوبة عمل. إنها لا تستطيع الحضور الليلة».

أبقيت الباب مفتوحاً أكثر كي أسمح له بالدخول. وبمجرد أن يتجاوز العتبة، يفتح مايلز باب شقته عبر الردهة. ويتجمد عندما تلتقي أعيننا.

يأسرني بنظرته لثوانٍ ثم تمر نظراته من فوق كتفي وتستقر على تشاد.

ألقي نظرة على تشاد، الذي ينظر إلي ويقوس حاجبه. من الواضح أنه يستطيع أن يشعر بوجود خطب ما، لذا يتراجع باحترام إلى شقتي.

يقول: «سأكون في غرفتك يا تايث».

هذا جميل من تشاد... الذي يعرض عليّ أن يمنحني الخصوصية مع الرجل الموجود عبر الردهة. ومع ذلك، فإن الإعلان عن أنه سينتظر في غرفة نومي ربما لم يكن الاحترام الذي أراد مايلز إظهاره، لأنه الآن يعود إلى شقته. تسقط عيناه على الأرض قبل أن يغلق بابه.

المنظرة التي ارتسمت على وجهه تبعث شعوراً بالذنب مباشرة إلى أحشائي. يجب أن أذكر نفسي أن هذا كان اختياره. ليس لدي ما أشعر بالذنب تجاهه، حتى لو كان يخطئ في الحكم على الموقف الذي فتح له الباب للتو. أغلقت الباب الأمامي وانضمت إلى تشاد في غرفتي. الحديث الحماسي الصامت الذي حاولت أن أعطيه لنفسي لم يفعل شيئاً لتخفيف الشعور بالذنب. أجلس على السرير، ويجلس هو على المكتب. قال وهو ينظر إلي: «كان ذلك غريباً. أنا خائف قليلاً من مغادرة شقتك الآن».

أهز رأسي: «لا تقلق بشأن مايلز. لديه مشكلاته الخاصة، لكنها ليست مشكلاتي بعد الآن». أوما تشاد ولم يستجوبني أكثر من ذلك. يفتح دليل الدراسة ويضعه على حجره بينما يسند قدميه على السرير.

«لقد دوّنت تاريخين بالفعل ملاحظات للفصل الثاني، لذا إذا بدأت في تدوين ملاحظات الفصل الثالث، فسأعمل أنا على الفصل الرابع».

أقول: «اتفقنا». أعود سريعاً إلى وسادتي وأقضي الساعة التالية في إعداد ملاحظات للفصل الثالث، لكن ليس لدي أي فكرة عن كيفية التركيز، لأن الشيء الوحيد الذي يمكنني التفكير فيه هو النظرة التي عبرت وجه مايلز قبل أن يغلق الباب مباشرة. أستطيع أن أقول أنني آذيته. أعتقد أن هذا يجعلنا متعادلين الآن.

تبادلنا أنا وتشاد الملاحظات وأجبنا عن الأسئلة في نهاية كل فصل، ثم طبعت نسخاً على طابعتي الخاصة. أدرك أن اقتسام ثلاثة أشخاص لثلاثة فصول ومشاركة الإجابات قد يعد غشاً، لكن من بحق الجحيم قد يهتم؟ لم أدع أبداً أنني مثالية.

بمجرد أن ننتهي، أصحب تشاد إلى الخارج. وأستطيع أن أقول إنه كان متوترًا بعض الشيء بعد أن رأى سابقًا النظرة على وجه مايلز، لذلك انتظرت دخوله المصعد قبل أن أغلق باب الشقة. وللأمانة، كنت متوترة أيضًا بعض الشيء.

سرت نحو المطبخ وبدأت في إعداد طبق من بقايا الطعام. فلا مجال لإعداد الطعام أو الطبخ لأن كوربين لن يكون في المنزل حتى وقت متأخر هذه الليلة. قبل أن أنتهي من وضع الطعام في طريقي، طُرق الباب الأمامي ثم فُتح. مايلز هو الوحيد الذي يفتح الباب ويقرع في الوقت نفسه. اهدئي.

اهدئي، اهدئي، اهدئي.

اهدئي بحق الجحيم يا تاي.

يسأل مايلز من خلفي: «من كان هذا؟».

أستمر في إعداد طبق طعامي ولا أستدير حتى لمواجهته، كما لو أن وجوده هنا بعد أسابيع من الصمت لا يملأني بعاصفة من المشاعر. الغضب هو أبرزها. أقول: «أحد زملاء صفي الدراسي. كنا ندرس معًا».

مع أنني لا أواجهه، فإنني أستطيع أن أشعر بالتوتر يتصاعد منه: «لمدة ثلاث ساعات؟». ألتف على عقبي وأواجهه، لكن الشئام التي أريد التفوه صارخةً بها تعلق في حلقي عندما أراه. إنه يقف عند مدخل المطبخ، ممسكًا بإطار الباب فوق رأسه. أستطيع أن أقول إنه لم يعمل منذ بضعة أيام، لأن طبقة رقيقة من الشعر النبات تغطي فكّه. إنه حافي القدمين، وقد ارتفع قميصه مع ذراعيه، ليكشف عضلات بطنه التي على شكل V. في البداية، أحرق به. ثم أصرخ عليه.

«إذا كنت أريد أن أضاجع رجلًا في غرفة نومي لمدة ثلاث ساعات، فهذا شأنني! لا يحق لك أبدًا أن يكون لك رأي فيما يحدث في حياتي. أنت أحرق، ولديك مشكلات حقيقية، ولا أريد أن أكون جزءًا منها بعد الآن».

أنا أكذب. أنا أريد حقاً أن أكون جزءاً من مشكلاته. أريد أن أزج نفسي في مشكلاته وأن أصبح مشكلاته، لكن من المفترض أيضاً أن أكون تلك الفتاة المستقلة العنيدة التي لا تستسلم لمجرد أنها تحب رجلاً.

ضاقت عيناه، وأصبحت أنفاسه سريعة وحادة. أسقط ذراعيه عن إطار الباب، وسار نحوي بسرعة، أمسك وجهي وأجبرني على النظر إليه.

عيناه مسعورتان، ومعرفة أنه خائف من أنني قد تجاوزته مع شخص آخر، أمر جيد للغاية. انتظر عدة ثوانٍ قبل أن يتحدث، وسمح لعينه أن تطوف على وجهي. مرر إبهامه بخفة على عظام وجنتي، وشعرت بأن يديه توفر لي الحماية والشعور الجيد، وكم أكره تماماً أنني أريدهما في كل مكان الآن. أنا لا أحب الشخص الذي يحولني إليه.

وضع أخيراً عينيه على عيني في أثناء بحثه عن الحقيقة، وسأل: «هل تنامين معه؟».

هذا ليس من شأنك يا مايلز.

أقول بدلاً من ذلك: «لا».

«هل قبلتيه؟».

لا يزال هذا ليس من شأنك يا مايلز.

«لا».

يغمض عينيه ويتنفس بارتياح. يضع يديه على الطاولة المرتفعة بجواري ويخفض جبهته إلى كتفي.

ولا يسألني سؤالاً آخر.

إنه يتألم، لكنني لا أعرف ماذا أفعل حيال ذلك. إنه الشخص الوحيد الذي يستطيع تغيير الأمور بيننا، وعلى حد علمي، فهو لا يزال غير مستعد لفعل ذلك.

يقول في همس مؤلم: «تأيت». يتحرك وجهه نحو رقبتي، وإحدى يديه تمسك بخصري:

«اللعة يا تأيت». تحركت يده الأخرى إلى مؤخرة رأسي بينما كانت شفتاه تستقران على جلد

رقبتي. همس: «ماذا أفعل؟». «ماذا أفعل بحق الجحيم؟».

أغمض عيني، لأن الارتباك والألم في صوته لا يطاق. أهز رأسي. أرتجف لأنني لا أعرف

كيف أجيب عن سؤال لا أعرف حتى المعنى الكامن وراءه. أنا أيضاً أهز رأسي لأنني لا

أعرف كيف أدفعه بعيداً.

تلتقي شفتاه بالمنطقة الموجودة أسفل أذني مباشرة، وأريد أن أجذبه أقرب وأدفعه بعيداً قدر الإمكان. يستمر فمه في التحرك على بشرتي، وأشعر أن رقبتني تميل حتى يتمكن من العثور على المزيد مني لتقبيله. تتخلل أصابعه شعري وهو يمسك مؤخرة رأسي ليثبتني على فمه.

توسل إلي بصوتٍ دافئ يلامس حنجرتي: «اطلبي مني المغادرة».

«أنتِ لستِ بحاجة لذلك». يقبلني نزولاً إلى حلقي، ولا يتوقف لالتقاط أنفاسه إلا عندما يتحدث: «أنا لا أعرف كيف أتوقف عن الرغبة فيك. أخبريني أن أذهب، وسأذهب». لا أخبره أن يذهب. أهز رأسي: «لا أستطيع».

أدرت وجهي نحوه بينما كان يشق طريقه نحو فمي، ثم أمسكت بقميصه وسحبته نحوي، وأنا أعلم بالضبط ما أفعله بنفسي. أعلم أن هذه المرة لن تنتهي بطريقة أفضل من المرات الأخرى، لكنني ما زلت أريد ذلك بالقدر نفسه. إن لم يكن أكثر.

توقف ونظر بقوة في عيني. همس مُحذراً: «لا أستطيع أن أعطيكِ أكثر من هذا، لا أستطيع».

أكرهه لقوله ذلك لكن أحترمه بالقدر نفسه.

أرد عليه بجذبه إلي حتى تلتقي شفاهنا. نفتح أفواهنا في الوقت نفسه ونلتهم بعضنا بعضاً تماماً. نحن محموومان، نجذب بعضنا بعضاً، نتأوه، نفرح جلدنا ببعضهما ببعض.

جنس، أذكر نفسي. إنه مجرد جنس. لا شيء آخر. ولن يعطيني أي جزء آخر من روحه.

أستطيع أن أقول لنفسي أن هذا كل ما أريده، لكن في الوقت نفسه، أنا آخذ، آخذ، آخذ كل ما أستطيع الحصول عليه. أفك شفرة كل صوت يصدره وكل لمسة، محاولة إقناع نفسي بأن ما يقدمه لي هو أكثر بكثير مما هو عليه على الأرجح.

أنا حمقاء.

لكن على الأقل، حمقاء تعي ذلك.

فككت زر بنطاله الجينز، وفك هو حمالة صدري، وقبل أن نصل إلى غرفة نومي، كنت قد خلعت قميصي. يغلق الباب وينزع حمالة صدري دون أن تنفصل شفاهنا. يدفعني على السرير ويخلع عني بنطالي الجينز، ثم وقف وخلع بنطاله.

إنه سباق.

أنا ومايلز ضد كل شيء آخر.

نسابق وعينا، وكرامتنا، واحترامنا، والحقيقة. إنه يحاول الولوج بداخلي قبل أن تصل إلينا أي من تلك الأشياء.

بمجرد عودته إلى السرير، يصبح فوقى، وفي مواجهتي، ثم بداخلي. لقد فزنا.

يجد فمه فمي مرة أخرى، لكن هذا كل ما يفعله. لا يُقبّلني. تتلامس شفاهنا وتتصادم أنفاسنا وتلتقي أعيننا، لكن لا قبلات.

ما تفعله أفواهنا هو أكثر من ذلك بكثير. مع كل دفعة منه بداخلي، تنزلق شفاه فوق شفتي، وتزداد عيناه جوعاً، لكنه لم يقبلني ولو مرة واحدة.

القبلة أسهل بكثير مما نفعله. عندما تُقبّل، يمكنك أن تُغمض عينيك. يمكنك أن تُقبّل الأفكار قبلة وداع. يمكنك تقبيل الألم والشك والعار قبلة وداع. عندما تغمض عينيك وتُقبّل، فأنت تحمي نفسك من الضعف.

وما نفعله لا يسمح لنا بحماية أنفسنا.

هذه هي المواجهة. المجابهة. القتال وجهاً لوجه. هذا تحدّ، مني إلى مايلز، ومن مايلز إلي. أتحدّك أن تحاول إيقاف هذا، وكلانا نصرخ بصمت.

تظل عيناه مركبتين على عيني طوال الوقت وهو يتحرك داخلاً وخارجاً. مع كل دفعة، أسمع فقط كلماته التي قالها منذ بضعة أسابيع تتكرر في رأسي.

من السهل الخلط بين المشاعر والعواطف وبين شيء ليس كذلك، خاصة عندما يتعلق الأمر بالتواصل البصري.

أنا أعني تماماً الآن. أعني ذلك جيداً لدرجة أنني أتمنى أن يغمض عينيه، لأنه على الأرجح لا يشعر بما تُظهره عيناه لي الآن.

يهمس: «يبدو أنك بحالة جيدة جداً». سقطت الكلمات في فمي، ما أجبرني على التأوه بالمثل. يخفض يده اليمنى بيننا، ويضغط علي بطريقة تتسبب عادةً في سقوط رأسي إلى الخلف وإغلاق عيني.

لكن ليس هذه المرة. لن أتراجع عن هذه المواجهة. لا سيما عندما يحدق مباشرة في عيني، متحدثاً إياي بكلماته. مع أنني أرفض التراجع، فإنني أعلمه أنني أحب ما يفعله بي. لا يسعني إلا أن أخبره بذلك، لأنني لا أملك السيطرة على صوتي الآن. لقد سيطرت عليه فتاة أخرى، تريد كل هذا منه.

أقول: «لا تتوقف»، وتستحوذ الفتاة الأخرى على صوتي أكثر، كلما استمر ما يفعله لفترة أطول.

«لم أكن أنتوي التوقف».

يمارس المزيد من الضغط، داخلياً وخارجياً. أمسك بساقي من خلف الركبة وسحبها للأعلى بين صدورنا، ليجد زاوية مختلفة قليلاً للولوج إليّ. يُثبّت ساقي بقوة على كتفه ويدفع نفسه نحو عمق أكبر بداخلي، بطريقة أو بأخرى.

أتأوه: «يا إلهي يا مايلز». أتأوه باسمه واسم الرب، وأصرخ ليسوع عدة مرات. بدأت في الارتعاش من تحته، ولست متأكدة من منا وصل إلى النشوة أولاً، لكننا نتبادل القبل الآن. نُقبّل بقوة وعمق مثل دفعاته بداخلي.

إنه صاخب. وأنا أكثر صخباً.

أنا ارتعش. ويرتجف هو بشدة.

لقد نفدت أنفاسه. فألتقط من الأنفاس ما يكفي لكلينا.

دفع للمرة الأخيرة بداخلي، وثبّتي فوق المرتبة بثقله. قال وهو يئن باسمي على فمي بينما يتعافى جسده من الاختلاجات: «تاي. اللعنة يا تاي». ينسحب مني ببطء ويضغط خده على صدري. يتنفس: «يا للعة المقدسة. هذا جيد جداً. هذا. نحن. جيد للغاية».

«أعرف ذلك».

يتدحرج على جانبه ويترك ذراعه ملفوفة حولي. ونستلقي معاً بهدوء.

أنا - لا أريد الاعتراف بأنني سمحت له باستخدامي مرة أخرى.

هو - لا يريد الاعتراف بأن الأمر أكثر من مجرد جنس.

كلانا يكذب على نفسه

سأل: «أين كوربين؟».

«سيعود إلى المنزل في وقت لاحق الليلة».

يرفع رأسه وينظر إليّ، وقد عقد حاجبيه قلقًا: «يجب أن أذهب». يتدحرج من السرير ويرتدي بنطاله الجينز: «هلا تأتين إلى شقتي في وقت لاحق؟».

أومأت برأسي موافقة، وأنا أقف وأرتدي بنطالي الجينز. قلت له بينما أسحب حمالة صدري وأربطها: «أحضر قميصي من المطبخ». يفتح باب غرفة نومي، لكنه لا يخرج. يتسمر عند المدخل. إنه ينظر إلى شخص ما.

اللعنة.

ليس من الضروري أن أراه لأعرف أن كوربين يقف هناك. أسرعت على الفور إلى الباب لمنع كل ما سيحدث. عندما فتحت الباب على مصراعيه، كان كوربين واقفًا في مدخل المنزل عبر الصالة، ويحدق في مايلز.

أخذت الخطوة الأولى: «كوربين، قبل أن تقول أي شيء.....».

يرفع يده ليسكتني. تسقط عيناه للحظة على حمالة صدري، ويشعر بالحرج كما لو كان يأمل ألا يكون ما قد سمعه قد حدث حقًا. نظر بعيدًا، فغطيتُ نفسي على الفور، وشعرت بالحرج لأنه سمع كل شيء. ينظر إلى مايلز، وفي عينيه مزيج متساوٍ من الغضب وخيبة الأمل: «منذ متى؟».

أقول: «لا تجب عن ذلك يا مايلز». أنا فقط أريده أن يغادر. ليس لدى كوربين الحق في استجوابه بهذه الطريقة. هذا سخف.

يقول مايلز مُحرَجًا: «منذ فترة».

أوما كوربين برأسه ببطء وبدا كما لو أن الإجابة تُغرّقه: «هل تحبها؟».

ننظر أنا ومايلز بعضنا إلى بعض. يعود بنظره إلى كوربين وكأنه يحاول أن يقرر من منا يريد أن يُرضي بإجابته.

أنا متأكدة من أن هز رأسه البطيء بالنفي، لا يُرضي أيًا منا.

سأله كوربين: «هل تخطط لذلك على الأقل؟».

أواصل التحديق في مايلز كما لو أن أحدهم يسأله عن معنى الحياة. أعتقد أنني أريد إجابته عن سؤال كوربين أكثر مما يريده كوربين.

زفر مايلز وهز رأسه مرة أخرى وهمس: «لا».
لا.

إنه لا يخطط حتى أن يحبني.

كنت أعرف إجابته. كنت أتوقع ذلك. ومع ذلك، فإنه يؤلم مثل الجحيم. حقيقة أنه لا يستطيع حتى الكذب بشأن ذلك لأنقاذ نفسه من خيبة أمل كوربين فيه، تثبت أن هذه ليست لعبة يلعبها.

هذا مايلز. مايلز غير قادر على الحب. ليس بعد الآن، على أي حال. أمسك كوربين بإطار بابيه وضغط جبهته على ذراعه، وأخذ نفساً بطيئاً وثابتاً. ينظر إلى مايلز بعيون مثل السهام الموجهة نحو الهدف. لم أر كوربين طوال حياتي بهذا الغضب من قبل.

«أنت فقط تضاجع أختي؟».

أنتظر أن يتراجع مايلز من تأثير كلمات كوربين، لكنه يتخذ خطوة نحوه بدلاً من ذلك: «كوربين، إنها امرأة ناضجة».

يتخذ كوربين خطوة سريعة نحو مايلز. «اخرج».

نظر مايلز إليّ، وكانت عيناه متأسفتين ومليئتين بالندم. لست متأكدة مما إذا كان ذلك من أجلي أم من أجل كوربين، لكنه يفعل ما يطلبه منه كوربين. يغادر.

ما زلت أقف عند مدخل غرفة نومي، أنظر إلى كوربين وكأنني أستطيع الطيران عبر هذه الصالة والإطاحة به أرضاً. طعنني كوربين بنظرة ثابتة مثل موقفه. يقول: «أنت لست أخاً يا تاي. لا تجرؤين على إخباري أنه من غير المسموح لي أن أغضب». يعود إلى غرفة نومه ويغلق بابيه.

رمشتُ بسرعة وأنا أقاوم دموع الغضب بسبب كوربين، ودموع الألم بسبب مايلز، ودموع الخجل بسبب الاختيارات الأنانية التي اتخذتها. أرفض البكاء أمام أي منهما.

أمشي إلى المطبخ وألتقط قميصي، أسحبه فوق رأسي وأنا في طريقي نحو الباب الأمامي وعبر الردهة. طرقت بابيه، ففتحه مايلز على الفور. ينظر خلفي كما لو كان يتوقع أن كوربين يقف هناك، ثم يتنحى جانباً ويسمح لي بالدخول.

أقول له بعد أن يغلق بابه: «سوف يتخطى ذلك». يقول بهدوء: «أعلم. لكن الأمر لن يكون كما كان». يسير مايلز إلى غرفة معيشته ويجلس على الأريكة. أتبعه وأجلس بجانبه. ليس لدي أي نصيحة، لأنه على حق. فمن المرجح أن الأمور لن تكون كما كانت بينه وبين كوربين. أشعر بالسوء لأنني السبب في ذلك. تنهد مايلز وهو يسحب يدي إلى حجره. مرر أصابعه من خلال أصابعي. وقال: «تأيت. أنا آسف».

أنظر إليه فيرفع عينيه ويلتقي بعيني: «لماذا؟» لا أعرف لماذا أتظاهر بعدم معرفة ما يتحدث عنه. أعرف بالضبط الذي يتحدث عنه. يقول: «عندما سألني كوربين إذا كنت أخطط لحبك. أنا آسف لأنني لم أستطع أن أقول نعم. أنا فقط لا أريد أن أكذب على أي منكما». أهز رأسي: «لم تكن سوى صادق بشأن ما تريده مني يا مايلز. لا أستطيع أن أغضب منك بسبب ذلك».

يأخذ نفساً عميقاً وهو يقف ويبدأ في التحرك في غرفة المعيشة. أظل على الأريكة وأراقبه وهو يحاول جمع أفكاره. توقف في النهاية وشبك يديه خلف رأسه: «لم يكن لدي الحق في سؤالك عن هذا الرجل أيضاً. لا أسمح لك باستجابتي أو السؤال عن حياتي، لذا ليس لدي الحق في السؤال عن حياتك». لا يمكنني الجدل مع هذا المنطق.

يقترّب مني، وأنا أقف: «أنا فقط لا أعرف كيف أتعامل مع هذا الشيء بيننا». يلف ذراعيه حول كتفي ويثبتني على صدره: «لا أعرف طريقة سهلة أو حتى مهذبة لقول هذا، لكن ما قلته لكوربين هو الحقيقة. لن أحب أحداً مرة أخرى. الحب لا يستحق العناء. لكنني أظلمك. أعلم أنني أعبت برأسك، وأعلم أنني آذيتك، وأنا آسف لذلك. أنا فقط أحب أن أكون معك، ولكن في كل مرة أكون معك، أخشى أنك تتوقعين ما هو أكثر مما عليه الأمر».

أعلم أنه يجب أن يكون لدي أي رد فعل على كل ما قاله للتو، لكنني ما زلت أستوعب كلماته. يجب أن يكون كل اعتراف من اعترافاته إشارة خطر، لأنها جميعها تقترن أيضاً

بالحقيقة الصعبة المتمثلة في أنه لا يخطط للوقوع في حبي أو الارتباط بي، لكن إشارة الخطر لا ترتفع.

الإشارة الخضراء هي التي ترفرف.

«هل أنا على وجه التحديد التي لا تريد الوقوع في حبها، أم أنه الحب عامة الذي لا تريد تجربته؟».

يبعدني عنه حتى ينظر إلي وهو يجيب عن سؤالي: «إنه الحب عامة الذي لا أريده يا تاي. أبداً. أنت على وجه التحديد ... ما أريده فقط».

لقد وقعت في حب هذه الإجابة، وداخلها وخارجها.

لقد فشلت فشلاً ذريعاً. كل ما يقوله يجب أن يجعلني أركض، ولكن بدلاً من ذلك، يجعلني أريد أن ألفت ذراعي حوله وأعطيه كل ما يرغب في أخذه مني. أنا أكذب عليه، وأكذب على نفسي، ولا أسدي أيًا منا معروفًا، لكنني لا أستطيع إيقاف الكلمات التي تخرج من فمي.

قلت له: «يمكنني التعامل مع هذا الأمر طالما ظل بسيطاً. عندما فعلت ما فعلته قبل بضعة أسابيع بالابتعاد وإغلاق بابك؟ هذا لا يجعل الأمر بسيطاً يا مايلز. أشياء كهذه تجعل الأمر معقداً».

أوما برأسه وهو يفكر ملياً فيما قلته. يقول وهو يلوك الكلمة في فمه: «بسيطة. إذا كنت تستطيعين إبقاء الأمر دون تعقيد، فيمكنني أن أفعل ذلك».

أقول: «حسناً. وعندما يصبح الأمر معقداً للغاية ولا يمكننا تحمُّله، فسوف ننهيه إلى الأبد».

يقول: «لست قلقاً من أن يصبح الأمر معقداً بالنسبة لي. أنا قلق من أن يصبح الأمر معقداً بالنسبة لك».

أنا قلقة علي أيضاً يا مايلز. لكنني أريد هنا والآن معك أكثر بكثير من اهتمامي بكيفية تأثير ذلك في نفسي في النهاية.

بهذه الفكرة، اكتشفت فجأة قاعدتي الوحيدة. لقد كان لديه حدوده طوال هذا الوقت؛ إذ كان يحمي نفسه من الضعف الذي اعتراني.

أقول: «أعتقد أن لدي أخيراً قاعدتي الوحيدة». ينظر إلي ويرفع حاجبه وينتظر أن أتحدث.
أقول: «لا تعطني أملاً زائفاً بخصوص المستقبل».

«خاصة إذا كنت تعلم في قلبك أنه لن يكون لنا مستقبل معاً». تصلب وضعه على الفور.
يسأل بقلق حقيقي: «هل فعلت ذلك؟ هل أعطيتك أملاً زائفاً من قبل؟».

نعم. منذ ثلاثين دقيقة تقريباً، عندما نظرت في عيني طوال الوقت عندما كنت بداخلي.
أقول بسرعة: «لا. فقط تأكد من ألا تفعل أو تقول أشياء من شأنها أن تجعلني أعتقد
خلاف ذلك. طالما أننا نرى هذا على حقيقته، أعتقد أننا سنكون بخير».

يحدق بي صامتاً لفترة من الوقت، ويدرسني ويقيم كلامي: «لا أستطيع معرفة ما إذا كنت
ناضجة حقاً بالنسبة لعمرك أم أنك تعيشين في الأوهام». أهرز كتفي، وأدفن أوهامي في أعماق
صدرتي: «مزيج غير صحي من الاثنين، أنا متأكدة».

يضغط بشفتيه على جانب رأسي: «يبدو من الصعب حقاً قول هذا بصوت عالٍ، لكنني
أعدك أنني لن أعطيك أي أمل يا تاي».

يعبس قلبي من كلماته، لكنني أجبر وجهي على الابتسام وأقول: «جيد».
«لديك مشكلات خطيرة تخيفني نوعاً ما، وأنا أفضل أن أقع يوماً ما في حب رجل مستقر
عاطفياً».

يضحك. ربما لأنه يعرف أن احتمالات العثور على شخص يمكنه تحمل هذا النوع من
العلاقات، إذا كان يمكن تسميتها كذلك، ضئيلة للغاية. ومع ذلك، فإن الفتاة الوحيدة التي قد
تكون على ما يرام بطريقة ما، مع هذا النوع من المشكلات قد انتقلت للعيش في الجهة
المقابلة له من الطابق. وتعجبه في الواقع.
أنت معجب بي يا مايلز آرتشر.

قلت وأنا أجلس في مقعدي المعتاد بجوار كاب: «لقد ضبطنا كوربين».
قال: «آوه. هل لا يزال الصبي على قيد الحياة؟».
أومئ بالإيجاب: «في الوقت الراهن. لست متأكدة من المدة التي سيستمر فيها على قيد
الحياة».

انفتحت أبواب مدخل البناية، وشاهدت ديلون وهو يشق طريقه إلى الداخل. يسحب القبعة من رأسه وينفض عنها المطر وهو يمشي نحو المصعد.

يقول كاب وهو ينظر إلى ديلون: «أحياناً أتمنى أن يتحطم المصعد الذي أرسله فيه». أعتقد أن كاب لا يحب ديلون أيضاً. لقد بدأت أشعر بالأسف قليلاً تجاه ديلون.

لقد رأنا قبل أن يصل إلى المصعد. يتحرك كاب ليضغط على زر الصعود لأعلى، لكن ديلون يصل إلى الزر قبله. يقول: «أنا قادر جداً على سحب المصعد، أيها الرجل العجوز».

أسترجع بضميمة الفكرة التي خطرت ببالي قبل عشر ثوانٍ، وكيف شعرت بالأسف تجاه ديلون. أتراجع عن هذه الفكرة الآن.

ينظر ديلون إليّ ويغمز. «ماذا تفعلين يا تاييت؟».

أقول بوجه خالٍ من التعابير: «أغسل الأفيال».

رمقني ديلون بنظرة مشوشة، ولم يفهم على الإطلاق ردي العشوائي.

قال له كاب: «إذا لم تكن تريد إجابة ساخرة، فلا تسأل سؤالاً غيبياً».

تُفتح أبواب المصعد، ويُنقل ديلون بصره بيننا قبل أن يدخل إلى المصعد.

تلتقي عين كاب بعيني وبيتسم. يرفع كفه في الهواء، فأرفع كفي وأمنحه مصافحة عالية.

الفصل الرابع والعشرون

مايلز

قبل ست سنوات

«لماذا كل شيء أصفر؟».

يقف أبي عند مدخل غرفة نوم ريتشل، وينظر إلى الأشياء القليلة التي جمعتها في الأشهر التي تلت معرفته بالحمل: «يبدو أن بيج بيرد⁽²⁾ قد تقيأ هنا».

تضحك ريتشل. إنها تقف أمام مرآة الحمام لتضع اللمسات الأخيرة على زينتها. بينما كنت مستلقياً على سريرها وأراقبها.

«لا نريد أن نعرف ما إذا كان صبيّاً أم فتاة، لذلك نشترى ألواناً محايدة».

تجيب ريتشل عن سؤال أبي كما لو كان واحداً من عدة أسئلة، لكن كلانا يعلم أنه أول سؤال يطرحه. إذ لم يسأل عن الحمل. ولا عن خططنا. بل عادةً ما يغادر الغرفة إذا كنت أنا وريتشل فيها.

لا يختلف الأمر كثيراً مع ليزا. فهي لم تتجاوز بعدُ مرحلة خيبة الأمل أو الحزن، لذلك لا نضغط عليها. سوف يستغرق الأمر بعض الوقت، وها نحن نمنحهما إياه.

ريتشل هي الوحيدة في الوقت الحالي التي أتحدث معها عن الطفل، ليس لي سواها، ومع أن ذلك يبدو قليلاً جداً، فإنه أكثر من كافٍ لكلينا.

يسألني أبي: «إلى متى سيستمر الحفل؟».

أقول له: «ليس أكثر من ساعتين».

يقول إننا يجب أن نذهب.

أخبرته أنه بمجرد أن تصبح ريتشل جاهزة، يمكننا الذهاب.

تقول ريتشل إنها جاهزة.

نذهب.

أقول لريتشل: «تهانينا».

قالت لي: «مبروك».

كلانا تخرَّج قبل ثلاث ساعات. نحن الآن نستلقي على سريري ونفكر في خطوتنا التالية. أو على الأقل أنا أفعل.

أقول لها: «دعينا ننتقل للعيش معاً».

تضحك. وتقول: «نحن نعيش معاً بالفعل يا مايلز».

أهز رأسي. «أنت تعرفين ما أعنيه. أعلم أن لدينا خطأً لما بعد أن نبدأ الدراسة الجامعية في أغسطس، لكن أعتقد أننا يجب أن نفعل ذلك الآن».

رفعت نفسها على مرفقها ونظرت إليّ، ربما تحاول قراءة تعابير وجهي لمعرفة ما إذا كنت جاداً.

«كيف؟ إلى أين سنذهب؟».

وصلت إلى طاولة الفراش الجانبية وفتحت الدرج العلوي. سحبت الرسالة وسلمتها لها.

بدأت في قراءتها بصوت عالٍ.

عزيزي السيد آرثر،

تنظر إلي وتوسع عيناها.

تهانينا على تسجيلك الصيفي. يسعدنا أن نعلمك أن طلبك للحصول على السكن العائلي قد جرى النظر فيه

والموافقة عليه.

ريتشل تبسم.

مرفق طيّه مظروفاً للإرجاع والأوراق النهائية التي يجب إعادتها في التاريخ المحدد.

تنظر ريتشل إلى الظرف وتقلب الأوراق المرفقة فيه بسرعة. تسحب الرسالة مرة أخرى.

تنطلع إلى تلقي النماذج المكتملة. معلومات الاتصال بنا موجودة أدناه إذا كان لديك أية أسئلة.

مع خالص التقدير،

بيج دوناهو، مسؤول التسجيل

غطت ريتشل ابتسامتها بيدها وألقت الرسالة جانباً، ثم انحنت إلى الأمام واحتضنتني.

قالت: «هل علينا أن ننتقل الآن؟».

أحب مدى وضوح الإثارة في صوتها.
أقول لها نعم. يغمر الارتياح ريتشل. إنها تعرف مثلي تمامًا مدى صعوبة الأسابيع القليلة
القادمة في المنزل نفسه مع أبويننا.
«هل استأذنت أباك؟»
أخبرتها أنها نسيت أننا بالغون الآن. لم يعد علينا أن نطلب الإذن. وما علينا إلا أن نبليغ.
تقول ريتشل إنها تريد إبلاغهم الآن.
أمسكت بيدها وسرنا معاً إلى غرفة المعيشة وأخبرنا أبويننا بأننا سنغادر.
معاً.

2 بيج بيرد: دمية كبيرة أو «مابيت»، لطائر أصفر كبير وهي إحدى شخصيات برنامج الأطفال التلفزيوني الشهير عالم
سمسم.

الفصل الخامس والعشرون

تايت

مرت بضعة أسابيع منذ أن اكتشف كوربين أمرنا. لم يقبل ذلك، ولم يتحدث بعد مع مايلز، لكنه بدأ في التأقلم. إنه يعلم أين أكون حين أغادر في بعض الليالي دون تفسير، وأعود بعد عدة ساعات. ولا يسأل.

وفيما يتعلق بالأمر مع مايلز، فأنا من يتأقلم. كان علي أن أتأقلم مع قواعده، لأنه من المستحيل على مايلز أن يتأقلم مع كسرهما.

لقد تعلمت التوقف عن محاولة اكتشافه والتوقف عن السماح للأمر بالتوتر بيننا. نحن نفعل بالضبط ما اتفقنا على فعله في البداية، وهو ممارسة الجنس. الكثير من الجنس.

نمارس الجنس خلال الاستحمام. وفي غرفة النوم. وعلى الأرض. وفوق طاولة المطبخ. لم أقضِ معه الليل مطلقاً، وما زال يؤلمني أحياناً مدى انغلاقه بعد انتهاء الأمر، لكنني ما زلت لا أجد طريقة كي أقول لا.

أعلم أنني أريد أكثر بكثير مما يقدمه لي، وهو يريد أقل بكثير مما أريد أن أقدمه له، لكن كلانا يأخذ فقط ما يمكننا الحصول عليه في الوقت الحالي. أحاول ألا أفكر فيما سيحدث في اليوم الذي لا أستطيع فيه التعامل مع الأمر أكثر من ذلك. أحاول ألا أفكر في كل الأشياء الأخرى التي أضحي بها وأنا أتورط معه. أحاول ألا أفكر في الأمر على الإطلاق، لكن الأفكار لا تزال تأتي. كل ليلة، عندما أكون في السرير، أفكر في ذلك. في كل مرة أكون في الحمام، أفكر في ذلك. عندما أكون في الفصل، في غرفة المعيشة، في المطبخ، في العمل... أفكر فيما سيحدث عندما يعود أحدنا أخيراً إلى رشده.

يسألني مايلز: «هل تايت اختصار لشيء آخر؟». نحن في سريره. لقد عاد للتو إلى المنزل بعد أربعة أيام في العمل، ومع أن ترتيبياتنا يُفترض أن تكون متعلقة بالجنس، فإننا لا نزال

نرتدي ملابسنا بالكامل. ولم نفعّلها بعد. إنه يتمدد معي فحسب، ويسألني أسئلة شخصية عن اسمي، وأنا أحب ذلك كثيراً، أكثر من أي يوم آخر قضيناه معاً.

إنها المرة الأولى التي يسألني فيها سؤالاً شبه شخصي. أكره أن سؤاله يملأني بكل مشاعر الأمل هذه، وكل ما فعله هو أنه سألني إذا كان تاييت اختصاراً لاسم.

أقول: «تاييت هو اسمي الأوسط. لقد كان اسم جدتي قبل الزواج.»

«ما اسمك؟»

«إليزابيث.»

يقول: «إليزابيث تاييت كولينز»، وكأنه يمارس الحب مع اسمي بصوته. لم يبدُ اسمي جميلاً أبداً كما هو الحال عليه الآن، وهو يخرج من فمه. يقول: «إنه تقريباً ضعف عدد المقاطع الموجودة في اسمي. هذه مقاطع كثيرة.»

«ما اسمك الأوسط؟»

يقول: «ميكيل. دائماً ما يُخطئ الناس في نطقه ويقولون «مايكل»، وهذا يزعجني.»

أقول: «مايلز ميكيل آرثرش. هذا اسم قوي.»

يرفع مايلز نفسه على مرفقه وينظر إلي فيما يُغلف ملامحه السلام. يُمشط شعري خلف أذني بينما تتجول عيناه على وجهي.

«هل حدث أي شيء مثير للاهتمام هذا الأسبوع أثناء غيابي في العمل يا إليزابيث تاييت كولينز؟» هناك مرح في صوته. مرح لم ألفه من قبل، لكنني أحبه. يروق لي كثيراً.

أقول مبتسمة: «لا شيء يُذكر يا مايلز ميكيل آرثرش. لقد عملت وقتاً إضافياً كثيراً.»

«هل لا تزالين تحبين عملي؟» تلامس أصابعه وجهي، وتنزلق عبر شفتي، وتتدحرج إلى

أسفل رقبتي.

أقول: «أنا أحبه فعلاً. هل تحب كونك طياراً؟». أنا فقط أطرح عليه نسخاً من أسئلته.

أعتقد أن الأمر آمن بهذه الطريقة، لأنني أعلم أنه لن يعطيني إلا ما يرغب في أخذه.

يتبع مايلز يده بعينيه وهو يفتح زر قميصي العلوي: «أنا أحب عملي يا تاييت.» أصابعه

تصل إلى زر قميصي الثاني. «أنا فقط لا أحب الغياب كثيراً، لا سيما عندما أعلم أنك في

الجانب الآخر من الردهة التي أعيش فيها. إنه يجعلني أرغب في البقاء في المنزل طوال الوقت».

أحاول كبح معنى ما يقول، لكنني لا أستطيع. كلماته تجعلني ألهث، ومع أنه اللهاث الأكثر هدوءاً على الإطلاق، إلا أنه يلاحظ.

تلتقي عيناه بعيني في لمح البصر، وأستطيع أن أراه وهو يريد التراجع. يريد أن يتراجع عما قاله للتو، لأن هذه الكلمات تضمنت بصيصاً من الأمل. ومايلز لا يقول أشياء من هذا القبيل. أعلم أنه على وشك الاعتذار. سوف يذكرني بأنه لا يستطيع أن يحبني، وأنه لم يقصد أن يعطيني هذا الأمل الزائف. لا تستعد هذه الكلمات مرة أخرى يا مايلز. من فضلك، اسمح لي أن أحتفظ بها.

تظل أعيننا مغلقة لعدة ثوانٍ طويلة. أواصل التحديق به، في انتظار أن يتراجع عما قال. لا تزال أصابعه على الزر الثاني من قميصي، لكنها لم تعد تحاول فك الزر بعد الآن.

يركز على فمي، ثم يعود إلى عيني مرة أخرى، ثم يعود إلى فمي. همس: «تأيت». يقول اسمي بهدوء شديد لدرجة أنني لست متأكدة مما إذا كان فمه يتحرك.

ليس لدي الوقت للرد. تركت يده زر قميصي وانزلت خلال شعري في اللحظة نفسها التي ارتبطت فيها شفتاه بقوة بشفتي. حرك جسده فوقي، وأصبحت قبلته عميقة على الفور.

عميقة. مهيمنة. مليئة بشيء لم يكن موجوداً من قبل. مليئة بالإحساس. بالأمل. حتى هذه اللحظة، كنت أعتقد أن القبلة مجرد قبلة. لم يكن لدي أي فكرة أن القبلات يمكن أن تعني أشياء مختلفة وتناقض بعضها بعضاً تماماً. في الماضي، كنت أشعر دائماً بالشغف والرغبة والشهوة... لكن الأمر مختلف هذه المرة.

هذه قبلة مايلز آخر، وأعلم في صميم قلبي أنه مايلز الحقيقي. مايلز الذي سبق وأن كان عليه في الماضي. مايلز التي لا يُسمح لي بالسؤال عنه.

ما إن ينتهي حتى يبتعد عني.
أُحدق في السقف.

رأسي مليء بالكثير من الأسئلة. قلبي مليء بالارتباك. هذا الأمر بيننا ليس سهلاً على الإطلاق. قد يظن المرء أن اقتصار العلاقة على الجنس فقط سيكون أبسط شيء في العالم، لكنه يجعلني أتساءل عما تعنيه كل حركة وكل كلمة تخرج من فمه. أجد نفسي أحلل كل نظرة يوجهها لي.

لا أعرف ما الخطوة التي من المفترض أن أخطوها بعد ذلك. هل أتمدد بجواره حتى يطلب مني الرحيل؟ لم أقض الليل معه من قبل. هل أنقلب على جانبي وأضع ذراعي حوله، على أمل أن يحتضني هو الآخر حتى ننام؟ أنا مرعوبة من أن يرفضني.
أنا غبية.

أنا غبية، فتاة غبية.

لماذا لا يمكن أن يكون هذا مجرد جنس بالنسبة لي أيضاً؟ لماذا لا أستطيع المجيء إلى هنا، وإعطائه ما يريد، والحصول على ما أريد، و من ثم أغادر؟

أنقلب على جانبي وأجلس ببطء. أتناول ملابسني ثم أقف وأرتديها. إنه يراقبني. إنه هادئ. أتجنب النظر إليه حتى أرتدي ملابسني بالكامل وأنتعل حذائي. بقدر ما أرغب في العودة إلى السرير معه، أسير بدلاً من ذلك نحو الباب. لا أستدير لمواجهته عندما أقول: «أراك غداً يا مايلز».

لقد وصلت إلى باب منزله الأمامي. لم يتكلم. لم يخبرني أنه سيراني غداً، ولم يقل لي وداعاً.

آمل أن يكون صمته دليلاً على أنه لا يحب الشعور بالابتعاد عني. أفتح الباب وأمشي عبر الردهة إلى شقتي. يجلس كوربين على الأريكة ويشاهد التلفاز. نظر إلى الباب عندما سمعني أدخل، ثم رمقني بنظرة استنكار متعالية.

أقول وأنا أشق طريقي إلى الداخل: «هون عليك». أخلع حذائي عند الباب: «عليك أن تتجاوز الأمر في نهاية المطاف». أراه يهز رأسه، لكنني تجاهلت ذلك وتوجهت نحو غرفة نومي.

يقول كوربين: «لقد كان يضا جعك من وراء ظهري ويكذب علي. هذا ليس شيئاً سأجاوزة».

ألتف ناحية غرفة المعيشة مرة أخرى وأرى أن كوربين ينظر إلي: «هل تتوقع منه أن يكون منفتحاً معك بشأن هذا الأمر؟ يا إلهي يا كوربين. لقد طردت ديلون من شقتك لأنه نظر لي بطريقة خاطئة».

يقف كوربين غاضباً الآن: «بالضبط!» يصرخ: «اعتقدت أن مايلز كان يحميك من ديلون، بينما في الواقع، كان يدعي ذلك! إنه منافق لعين، وسوف أغضب منه بقدر ما أريد أن أغضب، حتى تتجاوزيه!».

أنا أضحك، لأن كوربين ليس لديه الحق في توجيه أصابع الاتهام. يتفاجأ: «ما المضحك يا تايث؟».

أعود إلى غرفة المعيشة وأقف أمامه مباشرة: «مايلز كان صادقاً معي بشأن ما يريده. لم يخدعني بأي هراء لمرة واحدة. أنا الفتاة الوحيدة التي كان معها منذ ست سنوات، وتصفه بالمنافق؟». لم أعد أحاول حتى أن أخفض صوتي بعد الآن: «قد ترغب في النظر في المرأة يا كوربين. كم عدد الفتيات اللواتي كنت معهن منذ أن انتقلت إلى هنا؟ كم واحدة منهن تعتقد أن لديها إخوة يرغبون في ركل مؤخرتك إذا اكتشفوا أمرك؟ إذا كان هناك أحد منافق هنا، فهو أنت!».

يداه على وركيه، وهو يراقبني بنظرة قاسية في عينيه. وعندما فشل في الرد علي، التفتُ للسير عائدة نحو غرفتي، لكن الباب الأمامي يُطرق ثم يُفتح. مايلز.

استدرنا أنا وكوربين، في اللحظة التي أطل مايلز فيها برأسه إلى الداخل. سأل وهو يدخل غرفة المعيشة: «هل كل شيء على ما يرام هنا؟».

ألقيت نظرة سريعة على كوربين، الذي كان يحرق بي. قوَّست حاجبي، في انتظار أن يرد كوربين على السؤال الذي طرحه مايلز، لأنه الذي يعاني خطباً ما. يخاطبني مايلز ويسأل: «هل أنت بخير يا تايث؟».

أنظر إليه مرة أخرى وأومئ برأسي. أقول: «أنا بخير. أنا لست الشخص الذي لديه أفكار غير واقعية لشقيقه».

يثن كوربين بصوت عالٍ، ثم يستدير ويركل الأريكة. نشاهده أنا ومايلز وهو يمرر يديه خلال شعره ويمسك الجزء الخلفي من رقبته بقوة. يستدير ليواجه مايلز مرة أخرى، ثم يزفر بشدة.

«لماذا لم تكن مثلياً وحسب؟».

يمنحه مايلز نظرة اهتمام وتركيز. بينما أقف أنا في انتظار رد فعل أي منهما، لأعرف ما إن كان بإمكانني تحرير أنفاسي التي أحبسها. تظهر ابتسامة على وجه مايلز ويبدأ في هز رأسه. يبدأ كوربين بالضحك، وهو يتأوه في الوقت نفسه، لافتاً إلى أنه قد استوعب للتو اتفاقنا، مع أنه لا يزال غير موافق عليه.

ابتسمت وخرجت بهدوء خارج الشقة، على أمل أن يكونا على وشك إصلاح ما تحطم بينهما عندما دخلت في الصورة.

تُفتح أبواب المصعد في ردهة المدخل، وأنا على استعداد للنزول، لكن كاب يقف أمام الأبواب كما لو كان على وشك أن يخطو إلى الداخل.

سأل: «هل كنت آتية من أجلي؟».

أومئ برأسي وأشير إلى الأعلى: «يعمل كوربين ومايلز على حل مشكلاتهم في الطابق العلوي».

كنت أمنحهم دقيقة.

يدخل كاب إلى المصعد ويضغط على زر الطابق العشرين.

يقول: «حسناً، أعتقد أنه يمكنك اصطحابي إلى المنزل». يمسك القضبان خلفه للحصول على الدعم. أقف بجانبه وأتكئ على الحائط خلفي.

«هل يمكنني أن أطرح عليك سؤالاً يا كاب؟».

أعطاني كل شيء واضح مع إيماءة: «أنا أحب أن أسأل بقدر ما أحب أن أسأل».

أنظر إلى حذائي، وأضع قدمًا فوق الأخرى: «ما الذي تعتقد أنه سيجعل الرجل لا يرغب في تجربة الحب مرة أخرى؟».

كأب لا يجب عن سؤالي لمدة خمسة طوابق على الأقل. نظرت إليه أخيراً، وهو ينظر إلي مباشرةً، وضافت عيناه، مما أدى إلى ظهور المزيد من التجاعيد بينهما: «أعتقد أنه إذا عاش الرجل أسوأ جانب من الحب، فقد لا يرغب في تجربته مرة أخرى أبداً».

أفكر في إجابته، لكنها لا تساعد كثيراً. لا أرى كيف يمكن أن يصبح الحب قبيحاً لدرجة أن الشخص ينأى بنفسه عنه تماماً.

فُتحت أبواب المصعد في الطابق العشرين، سمحت له بالخروج أولاً. مشيت معه إلى باب شقته وانتظرت حتى يفتحه.

يقول: «تأيت». إنه يواجه بابه، ولا يلتفت ليكمل جملته.

«في بعض الأحيان لا تكون روح الرجل قوية بما يكفي لتحمل أشباح ماضيه». يفتح باب شقته ويدخل. «ربما فقد هذا الصبي روحه في مكان ما على طول الطريق». يغلق بابه ويتركني أحاول فك طلاسم المزيد من الالتباس.

الفصل السادس والعشرون

مايلز

قبل ست سنوات

غرفتي هي غرفة ريتشل الآن. وغرفة ريتشل هي غرفتي.
لقد تخرجنا. انتقلنا للعيش معاً. نحن في الكلية الآن. أرايت؟ لقد تمكنا من فعل ذلك؟
يُحضر إيان آخر الصناديق من السيارة. يسأل «أين تريدان هذا؟».
تسأله ريتشل «ما هذا؟».
أخبرها أنه يبدو وكأنه صندوق مليء بحمالات الصدر والملابس الداخلية.
تضحك وتقول له أن يضعها بجوار خزانة ملابسي. يفعل إيان ذلك.
إيان يحب ريتشل. ويحب أنها لا تعوقني. إيان يحب أنها تريد مني أن أحصل على شهادتي
وأن أنهى مدرسة الطيران.
ريتشل تريد مني أن أكون سعيداً. أخبرت ريتشل أنني سأكون سعيداً طالما أنها معي.
قالت لي: إذن ستكون سعيداً دائماً.
لا يزال أبي يكرهني. لا يريد أبي أن يكرهني.
إنهما يحاولان قبول ذلك، لكن الأمر صعب. إنه صعب على الجميع.
ريتشل لا تهتم بما يعتقد الجميع. إنها تهتم فقط بما أفكر فيه، وأنا أفكر فقط في ريتشل.
لقد تعلمت أنه بغض النظر عن مدى صعوبة الموقف، يتعلم الناس كيفية التأقلم معه. قد لا
يوافق أبي وأمها، لكنهما سيتأقلمان.
قد لا تكون ريتشل مستعدة لأن تكون أمّاً، وقد لا أكون مستعداً لأكون أباً، لكننا نتأقلم.
وهذا ما يجب أن يحدث. إذا كان الناس يريدون السلام الداخلي، فمن الضروري التأقلم.
من الضروري.

«مايلز».

أحب اسمي عندما يخرج من فمها. إنها لا تقوله هباءً. إنها تقوله فقط عندما تحتاج إلى شيء ما. إنها تقول ذلك فقط عندما يجب أن يقال.
«مايلز».

قالت مرتين.
لا بد أنها تحتاج حقاً إلى شيء ما.
انقلبت على جانبي، إنها تجلس في السرير. تنظر إلي بعينين واسعتين.
«مايلز» لثالث مرة. «مايلز» أربعة. «هذا يؤلم».
اللعنة.

قفزت من السرير وأمسكت حقيبتنا. ساعدت ريتشل في تغيير ملابسها. وساعدتها في الوصول إلى السيارة.
إنها خائفة.

ربما أكون خائفاً أكثر منها.
أمسك يدها بينما نقود. أقول لها أن تتنفس. لا أعرف لماذا أقول لها هذا. بالطبع، هي تعرف كيف تتنفس.

لا أعرف ماذا أقول لها.
أشعر بالعجز.
ربما تريد أمها.

«هل تريدني مني أن أتصل بهما؟» تهز رأسها. تقول: «ليس الآن. لاحقاً».
إنها تريد أن نكون نحن فقط. أحب ذلك. أريد أن نكون نحن فقط أيضاً.
تساعدها ممرضة على الخروج من السيارة. يأخذوننا إلى غرفة. سأجلب لريتشل كل ما تحتاجه.

«هل تحتاجين إلى ثلج؟»
أحصل لها عليه.
«هل تريدين قطعة قماش باردة؟»
أحصل لها عليها.

«هل تريدين مني أن أطفئ التلفاز؟»
أوقف تشغيله.

«هل تريدين بطانية أخرى يا ريتشل؟ أنتِ تشعرين بالبرد»
لا أجلب لها بطانية. إنها لا تشعر بالبرد.
«هل تريدين المزيد من الثلج؟»

إنها لا تريد المزيد من الثلج.
إنها تريد مني أن أخرس.
أخرس.

«أعطني يدك يا مايلز»
أعطيها يدي.

لكني أريد استعادتها.
إنها تؤلمني.

لقد سمحت لها بالاحتفاظ بها على أية حال.
إنها هادئة. لا تصدر صوتاً أبداً. إنها تتنفس فقط. إنها رائعة.
أنا أبكي. لا أعرف لماذا.
أحبك كثيراً يا ريتشل.

أخبرها الطبيب أنها على وشك الانتهاء. أقبلها على جبهتها.
لقد حدث.

أنا أب.

إنها أم.

يقول الطبيب: «إنه صبي».

تحتضنه. إنها تمسك قلبي.

يتوقف عن البكاء. يحاول أن يفتح عينيه.

ريتشل تبكي.

ريتشل تضحك.

ريتشل تقول لي شكرا لك.
ريتشل تشكرني وكأنها ليست من صنع هذا المخلوق.
ريتشل فقدت صوابها.
تقول: «أنا أحبه كثيراً يا مايلز». إنها لا تزال تبكي: «أنا أحبه كثيراً».
أقول لها: «أنا أيضاً أحبه». أحدق به. أريد أن أحتضنه، ولكن أريدها أن تتمسك به أكثر.
إنها تبدو جميلة وهي تمسك به.
تنظر ريتشل إلي: «هل يمكنك أن تخبرني باسمه الآن؟».
كنت أتمنى أن يكون صبياً حتى أحظى بهذه اللحظة.
كنت أتمنى أن أخبرها باسم ابنها، لأنني أعلم أنها ستحبه.
آمل أن تتذكر اللحظة التي أصبحت فيها كل شيء بالنسبة لي.
سوف يرشدك مايلز إلى صف السيد كلايتون يا ريتشل.
«اسمه كلايتون».
بدأت تبكي.
إنها تتذكر.
تقول: «اسم مثالي»، وقد اختلطت الكلمات بدموعها.
إنها تبكي بشدة الآن. إنها تريد مني أن أحتضنه.
أجلس معها على السرير وأخذه.
أنا أحمله.
أنا أحمل ابني.
تضع ريتشل رأسها على ذراعي، ونحدق فيه.
نحدق به لفترة طويلة. أخبرت ريتشل أن لديه شعرها الأحمر.
تقول إن لديه شفتي. أخبرت ريتشل أنني آمل أن يكون لديه شخصيتها. لا توافق وتقول إنها
تأمل أن يكون مثلي تماماً.
وتقول: «إنه يجعل الحياة أفضل بكثير».
«إنه بالتأكيد يفعل».

«نحن محظوظان جداً يا مايلز».

«بالتأكيد نحن كذلك».

تضغط ريتشل على يدي.

همست ريتشل: «لقد تمكنا من فعل ذلك».

أقول لها: «لقد تمكنا من فعل ذلك».

يتشاءب كلايتون، وهذا يجعلنا نضحك.

منذ متى أصبح التثاؤب فعلاً في غاية الروعة؟

أحدق في أصابعه.

نحن نحبك كثيراً يا كلايتون.

الفصل السابع والعشرون

تايت

تھاويت على الكرسي بجوار كاب، وأنا ما زلت أرتدي زيّ العمل كاملاً. بمجرد عودتي إلى المنزل من العمل، ذاكرتُ لمدة ساعتين متواصلتين. لقد تجاوزت الساعة العاشرة بالفعل، ولم أتناول العشاء بعد، ولهذا السبب أجلس بجوار كاب الآن، لأنه صار يعرف عاداتي، وها قد طلب لنا نحن الاثنين، بيتزا.

أعطيته شريحة وسحبتُ أخرى لنفسي، ثم أغلقت غطاء العلبة ووضعتها على الأرض أمامي. قضمت قطعة كبيرة ووضعتها في فمي، بينما كان كاب لا يزال يحدق في الشريحة التي في يده.

يقول: «إنه لأمر محزن حقاً أن تصل إليك البيتزا أسرع من الشرطة. لقد طلبتها منذ عشر دقائق فقط». يأخذ قضمة ويغلق عينيه كما لو كانت أفضل شيء قد تذوقه على الإطلاق. أنهى كلُّ منا شريحته، ومددت يدي من أجل واحدة أخرى، بينما هز رأسه رافضاً عندما قدمت له شريحة ثانية، فأعدتها إلى العلبة.

يقول: «إذن؟». هل هناك أي تقدم بين الصبي وصديقه؟». فكرة أنه يشير باستمرار إلى مايلز بالصبيّ، تجعلني أضحك. أومئ وأجيب بفمٍ مملوء بالطعام: «نوعاً ما. لقد أمضيت ليلة مشاهدة مباراة ناجحة، لكن أعتقد أنها كانت ناجحة فقط لأن مايلز تظاهر بأنني لم أكن هناك طوال الوقت. أعلم أنه يحاول احترام كوربين، لكن هذا يجعلني أشعر بالسوء خلال هذا التقدم بينهما، أنت تعلم؟».

يومئ كاب وكأنه يفهم ما أقصده. لست متأكدة من أنه يعي ما قصدته. لكنني أحب أنه يستمع دائماً باهتمام شديد على أي حال. «بالطبع، كان يرأسني طوال الوقت الذي كان يجلس فيه بجوار كوربين في غرفة المعيشة، لذا أعتقد أن لدي هذا. لكن هناك أسابيع مثل أسبوعنا هذا، لا يكون في الولاية نفسها، ويبدو الأمر كما لو أن ليس لي وجود بالنسبة له. لا

توجد رسائل نصية. لا مكالمات هاتفية. أنا متأكدة من أنه لا يفكر بي إلا عندما أكون على بُعد عشرة أقدام منه».

يهز كاب رأسه. «أشك في ذلك. أراهن على أن هذا الصبي يفكر فيك أكثر بكثير مما يسمح لنفسه به». أود أن أصدق أن هذه الكلمات صحيحة، لكنني لست متأكدة من ذلك. يقول كاب: «لكن إذا لم يفعل، فلا يمكنك الغضب منه بسبب ذلك. ألم يكن ذلك جزءاً من الاتفاقية، أليس كذلك؟».

أدرت عيني في محجريهما. أكره أنه يعيدني دائماً إلى حقيقة أن مايلز ليس الشخص الذي يخالف القواعد أو الاتفاقيات. أنا من أعاني من المشكلات حول اتفاقنا، وهذا ليس خطأ أحد، بل خطأي.

أسأل دون أنتظر إجابة: «كيف أدخلت نفسي في هذه الفوضى؟». أعرف كيف أدخلت نفسي في هذه الفوضى. وأعرف أيضاً كيفية الخروج منها... أنا فقط لا أريد ذلك.

«هل سمعت يوماً هذا التعبير: عندما تعطيك الحياة الليمون...؟»

قلتُ منهية كلامه: «اصنع منه عصيراً».

ينظر إلي كاب ويهز رأسه: «هذه ليست الطريقة التي تسير بها الأمور. عندما تعطيك الحياة الليمون، تأكدي من أنك تعرفين الشخص الذي تريد أن تعصره في عينيه».

أضحك، وأتناول شريحة أخرى من البيتزا، وأتساءل كيف انتهى بي الأمر بحق الجحيم بجعل رجلاً يبلغ من العمر ثمانين عاماً أفضل صديق لي.

لا يرن هاتف منزل كوربين أبداً. خاصة بعد منتصف الليل. أَدفع عني الأغطية وأمسك بقميصي، وأسحبه فوق رأسي. لا أعرف لماذا أهتم بارتداء ملابسني. لقد رحل كوربين، ولن يعود مايلز حتى الغد.

وصلت إلى المطبخ عند الرنة الخامسة، في اللحظة التي اشتغل فيه جهاز الرد الآلي. ألغيتُ الرسالة ووضعت الهاتف على أذني.

«مرحباً؟».

تقول أمي: «تاي! يا إلهي يا تاي».

صوتها مدعور، ما جعلني أشعر بالذعر على الفور. «ما هذا؟». «طائرة. لقد تحطمت طائرة منذ نصف ساعة تقريباً، ولا أستطيع الوصول إلى شركة الطيران. هل تحدثت مع أخيك؟».

أتهاوى وتلتقي ركيتي بالأرض. أسألها: «هل أنت متأكدة من أنها كانت شركة الطيران التي يعمل بها؟». يبدو صوتي مرعوباً جداً لدرجة أنني لا أستطيع تمييزه. يبدو الأمر مرعباً كما حدث قبل ذلك.

كنت فقط في السادسة من عمري، لكنني أتذكر كل التفاصيل، كما لو أنها حدثت بالأمس، حتى لباس نومي ذا القمر والنجوم التي كنت أرتديه حينها. كان أبي على متن رحلة داخلية، وكنا نشاهد الأخبار بعد تناول العشاء مباشرةً، ورأينا أن إحدى الطائرات قد سقطت بسبب عطل في المحرك. قُتل كل من كان على متنها. أتذكر رؤية أمي في حالة هysterية على الهاتف مع شركة الطيران، وهي تحاول معرفة معلومات عن هوية الطيار. اكتشفنا في غضون ساعة أنه لم يكن هو، لكن تلك الساعة كانت واحدة من أكثر الساعات رعباً في حياتنا إلى الآن. أسرعت إلى غرفتي وسحبت هاتفي الخليوي من على المنضدة واتصلت بكوربين على الفور. «هل حاولت الاتصال به؟». سألت أمي وأنا أعود إلى غرفة المعيشة. أحاول الوصول إلى الأريكة، لكن لسبب ما، تبدو الأرض أكثر راحة. ركعت على الأرض، كما لو أنني في وضع الصلاة.

أعتقد أنني كذلك.

«نعم، لقد كنت أتصل بهاتفه دون توقف. لكن يحيلني إلى البريد الصوتي فقط». إنه سؤال غبي. بالطبع حاولت الاتصال به. لكنني حاولت مرة أخرى على أية حال، وهاتفه يرسلني مباشرة إلى البريد الصوتي.

أحاول طمأننتها، لكنني أعلم أنه لا جدوى من ذلك. ولن تفيد محاولات الطمأنينة حتى نسمع صوته. أقول لها: «سأتصل بشركة الطيران. سأتصل بك مرة أخرى إذا سمعت أي شيء».

إنها حتى لا تقول وداعاً.

أستخدم هاتف المنزل للاتصال بشركة الطيران، وأستخدم هاتفي الخلوي للاتصال بمايلز. إنها المرة الأولى التي أتصل فيها برقمه.

أدعو الله أن يجيب، لأنني بقدر ما كنت خائفة حتى الموت على كوربين، فإن ما يجول في ذهني أيضاً هو أن مايلز يعمل في شركة الطيران نفسها. أشعر بألم في أحشائي.

يجيب مايلز عند الرنة الثانية: «مرحباً؟». يبدو صوته متردداً، وكأنه غير متأكد من سبب اتصالي.

أقول وأنا محمومة ومرتاحة في آن. «هل أنت بخير؟ هل كوربين بخير؟». هناك صمت.

لماذا هناك صمت؟

«ماذا تقصدين؟».

أقول على الفور: «طائرة. لقد اتصلت أومي. وطائرة قد تحطمت، ولا يجيب كوربين على هاتفه».

يقول بسرعة: «أين أنت؟».

«في الشقة».

«دعيني أدخل».

أسير إلى الباب وأفتحه. يدفع الباب ويفتحة، بينما لا يزال الهاتف على أذنه. عندما رأي، أبعد الهاتف، واندفع على الفور نحو الأريكة، وأمسك بجهاز التحكم عن بعد، وشغل التلفاز. يقلب في القنوات حتى يجد تقريراً إخبارياً تلفزيونياً. يطلب أرقاماً من هاتفه الخلوي، ثم يستدير ويندفع نحوي. يأخذ يدي في يده. قال وهو يسحبني إليه: «تعالى هنا. أنا متأكد من أنه بخير».

أومأت برأسي على صدره، لكن طمأنته غير ذات معنى.

يقول عندما يجيب شخص ما على الطرف الآخر: «جاري، أنا مايلز. نعم. نعم، لقد سمعت. من كان الطاقم؟».

هناك صمت طويل. أنا خائفة من النظر إليه. مذعورة.

يقول: «شكرًا لك». ويغلق الهاتف. قال على الفور: «إنه بخير يا تاي. كوربين بخير. وإيان أيضًا».

تنهمر مني دموع الارتياح. يقودني مايلز إلى الأريكة ويجلس، ثم يسحبني إليه. يأخذ هاتفي من يدي ويضغط على عدة أزرار قبل أن يضع الهاتف على أذنه.

«مرحبًا، أنا مايلز. كوربين بخير». يتوقف لبضع ثوان: «نعم، إنها بخير. سأخبرها أن تتصل بك في الصباح». تمر بضع ثوانٍ أخرى، ثم يقول وداعًا. يضع الهاتف على الأريكة بجانبه. ويقول: «إنها أمك».

أومئ برأسي، فقد عرفت. اتصاله بأمي، تلك اللفتة البسيطة، جعلتني أقع في حبه أكثر. هو الآن يقبل أعلى رأسي، ويفرك يده لأعلى ولأسفل على ذراعي بطريقة مُطمئنة. قلت: «شكرًا لك يا مايلز».

لا يقول عفوًا، لأنه لا يعتقد أنه فعل شيئًا يستحق الشكر. أسأله: «هل تعرفهم؟ الطاقم على متن الطائرة؟». «لا. كانوا مجموعة من مركز مختلف. الأسماء ليست مألوفة». اهتز هاتفي، فأعاد مايلز إليّ. أنظر إليه، فإذا برسالة نصية من كوربين. كوربين: في حال سمعتِ عن الطائرة، أريدك فقط أن تعلمي أنني بخير. لقد اتصلت بالمقر الرئيسي، ومايلز بخير أيضًا. من فضلك أخبري أمي، إذا كانت قد علمت بالأمر. أحبك.

تلقي رسالة منه يملأني بمزيد من الراحة، الآن تأكدت بنسبة مائة بالمائة أنه بخير. قلت لمايلز: «إنها رسالة نصية من كوربين. يقول إنك بخير. في حال كنت قلقة عليك». يضحك مايلز ويقول مبتسمًا: «لقد تفقدني؟ كنت أعلم أنه لا يستطيع أن يكرهني إلى الأبد».

أبتسم. أحب فكرة أن كوربين أراد مني أن أعرف أن مايلز بخير. يستمر مايلز في احتضاني، وأستمع بكل ثانية منه. «متى من المفترض أن يعود إلى المنزل؟».

أقول: «ليس قبل يومين. منذ متى وأنت في المنزل؟». يقول: «نحو دقيقتين. كنت قد وضعت هاتفي كي يشحن للتو عندما اتصلت». «أنا سعيدة لأنك عدت».

لا يرد. لم يخبرني أنه سعيد بالعودة. وبدلاً من أن يقول شيئاً قد يمنحني أملاً زائفاً، يُقبّلني فقط.

قال وهو يسحبني إلى حضنه: «أتعلمين، أنا أكره الظروف المحيطة بالسبب الذي لم يمنحك وقتاً كافياً لارتداء بنطالك، لكنني أحب أنك بدونه». تنزلق يداه فوق فخذي، ويسحبني أقرب حتى نلتصق بعضنا ببعض. يُقبّل طرف أنفي، ثم يقبّل ذقني.

«ما يلز؟» مررت يدي خلال شعره وأسفل رقبته، ثم وضعتهما على كتفيه. همست: «لقد كنت خائفة أيضاً من أن يكون أنت. لهذا السبب أنا سعيدة بعودتك».

تصبح نظرتة أنعم، وتختفي خطوط القلق من عينيه. ربما لا أعرف شيئاً عن ماضيه أو حياته، لكنني بالتأكيد لا حظت أنه لم يتصل بأي شخص ليخبره أنه بخير. وهذا يجعلني حزينة عليه.

تبتعد عيناه عن عيني وتستقر على صدري. وضع أصابعه على الحواف السفلية لقميصي، ثم سحبه ببطء فوق رأسي. لا أرتدي سوى سروال داخلي الآن.

انحنى إلى الأمام، ولف ذراعيه حول ظهري، وسحبني إلى فمه. أغلقت شفتيه بهدوء على حلمتي، وأغلقت عيني لا إرادياً.

سرت قشعريرة في جسدي عندما بدأت يديه في استكشاف كل جزء عاري من ظهري وفخذي. يشق فمه طريقه إلى ثديي الآخر، تماماً كما تنزلق يديه داخل سراولي الداخلي عند فخذي.

يقول: «أعتقد أنني يجب أن أمزق هذا عنك، لأنني لا أريدك أن تبتعدي عن حضني».

أبتسم. «لا أمانع، لدي المزيد منه».

أستطيع أن أشعر به يبتسم على بشرتي بينما يديه تسحب الشريط المطاطي لسروالي الداخلي. يسحب من جانب واحد لكنه يفشل في تمزيقه. يحاول تمزيق الجانب الآخر، لكنه لا يستطيع.

أقول ضاحكة: «أنت تحشره بداخلي». يُطلق تنهيدة محبطة: «يكون الأمر دائماً مشيراً عندما يفعلون ذلك على شاشة التلفاز». أعدل نفسي وأجلس باستقامة أكثر، وأشجّعه: «حاول مرة أخرى، يمكنك أن تفعل ذلك يا مايلز».

أمسك بالجانب الأيسر من سراولي الداخلي وسحبه بقوة. صرخت: «أوتش!» مسرعةً في جذبته لتخفيف الألم الناتج عن حفر المطاط في جانبي الأيمن.

يضحك مرة أخرى ويسقط وجهه على رقبتي. يقول: «آسف. هل لديك أي مقص؟». أجفل من فكرة أن يقترب مني بمقص. ابتعدت عنه ووقفت، ثم أنزلت سراولي الداخلي، وركلته بعيداً عني.

يقول: «إن مشاهدتك تفعلين ذلك، كانت تستحق تماماً محاولتي الفاشلة في أن أكون مشيراً».

أبتسم: «محاولتك الفاشلة في أن تكون مشيراً قد جعلتك مشيراً فعلاً». يُضحكه تعليقي مرة أخرى. أمشي نحوه وأرجع إلى حضنه. يُعيد تموضعي كي أعتليه جيداً. يسأل ياغواء: «إخفاقاتي تُشيرك؟».

أغمغم: «أوه، نعم، مشيرة للغاية».

أصبحت يده فوقتي، تتجول ثانيةً عبر ظهري وأسفل ذراعي.

يقول: «كنت ستحبيني عندما كان عمري من الثالثة عشرة إلى السادسة عشرة. لقد فشلت في كل شيء تقريباً. وخاصة كرة القدم».

أبتسم: «هذا هو الكلام. أخبرني المزيد».

قال مباشرةً قبل أن يضغط بفمه على رقبتي: «بيسبول». ثم يُقبّل طريقه إلى أذني: «وفصل دراسي واحد لجغرافيا العالم».

أئن: «يا للجحيم المقدس، هذا مشير للغاية».

يحرك شفثيه إلى فمي ويسحبني إلى قبلة ناعمة. بالكاد يلمس فمه فمي: «لقد فشلت في التقبيل أيضاً. كنت رهيباً. لقد كدت أن أخنق فتاة بلساني ذات مرة».

أضحك.

«هل تريد أن أريك؟».

بمجرد أن أومئ برأسي، يعيدنا إلى الأريكة حتى أستلقي على ظهري وهو فوقى: «افتحي فمك». أفتح. أسقط فمه في فمي ودفع لسانه إلى الداخل، ما أعطاني أسوأ قبلة تلقيتها على الإطلاق. دفعته من صدره، محاولة إخراج لسانه من فمي، لكنه لا يتزحزح.

أدرت وجهي إلى اليسار، فبدأ بلعق خدي، ما جعلني أضحك أكثر.

«يا إلهي، كان ذلك فظيماً يا مايلز!».

يسحب فمه بعيداً ويخفض نفسه فوقى: «لقد تحسنت».

أومئ وأقول وأنا أوافق بكل إخلاص: «هذه حقيقة».

كلانا يبتسم. النظرة المريحة على وجهه تملأني بالكثير من العواطف التي لا أستطيع حتى البدء في تصنيفها. أنا سعيدة، لأننا نستمتع معاً. أنا حزينة، لأننا نستمتع معاً. أنا غاضبة، لأننا نستمتع معاً، وهذا يجعلني أرغب في المزيد من هذا. الكثير منه.

نحلق بعضنا في بعض بهدوء، حتى يخفض رأسه ببطء، ويطبّع قبلة طويلة على شفتي. يبدأ بوضع قبلات ناعمة على فمي حتى تصبح القبلات أطول وأكثر كثافة. في النهاية، أصبح لسانه يُقَطِّع شفتي، واختفى المرح.

أصبح الأمر جاداً للغاية الآن، صارت قبلاتنا أكثر سرعة وبدأت ملابسه تنضم قطعة قطعة إلى ملابسي على الأرض.

همس: «على الأريكة أم سريرك؟».

أجيب: «كلاهما».

ينصاع.

غفوت في سريري.

بجوار مايلز.

لم يخلد أحدنا للنوم من قبل بعد انتهاء الجنس. دائماً ما يغادر واحد منا. بقدر ما أحاول إقناع نفسي بأن هذا لا يعني شيئاً، فأنا أعلم أنه لا يعني شيئاً. في كل مرة نكون معاً، أحصل

على المزيد منه.

سواء أكان ذلك لمحة عن ماضيه، أو الوقت الذي قضاه بدون ممارسة الجنس، أو حتى الوقت الذي يقضيه في النوم، فهو يمنحني المزيد والمزيد من نفسه، شيئاً فشيئاً. أشعر أن هذا أمر جيد وسيئ. إنه أمر جيد، لأنني أريد وأحتاج إلى المزيد منه، لذا فإن كل القليل الذي أحصل عليه يكفي لإرضائي عندما أبدأ في القلق بشأن كل شيء لا أحصل عليه منه. لكنه أمر سيئ أيضاً، لأنه في كل مرة أحصل فيها على المزيد منه، يصبح جزءاً آخر منه بعيداً. أستطيع أن أرى ذلك في عينيه. إنه قلق من أنه يمنحني الأمل، وأخشى أنه سينسحب تماماً في النهاية. كل شيء مع مايلز سوف ينهار.

لا مفر من ذلك. إنه مصرُّ على الأشياء التي لا يريدتها من الحياة، وبدأت أفهم مدى جديته. لذا بقدر ما أحاول حماية قلبي منه، فلا جدوى من ذلك. سوف يكسره في النهاية، ومع ذلك أستمر في السماح له بامتلاكه. في كل مرة أكون معه، يملأ قلبي أكثر فأكثر، وكلما امتلأ بقطع منه، زاد الألم عندما ينتزعه من صدري وكأنه لم ينتم لي هناك أولاً.

سمعت اهتزاز هاتفه وشعرت به يتدحرج ليصل إليه على المنضدة المجاورة له. إنه يعتقد أنني نائمة، لذلك لا أمنحه سبباً ليظن غير ذلك.

يهمس: «مرحباً». مرت فترة صمت طويلة، وبدأت أشعر في داخلي بالذعر، وأنا أتساءل مع من يتحدث. «نعم، أنا آسف. كان يجب أن أتصل بك. لقد ظننت أنك ستكون نائماً». قلبي الآن في حلقي، يزحف إلى أعلى، محاولاً الهروب مني ومن مايلز ومن هذا الوضع برمته. قلبي يعرف من خلال رد فعلي على هذه المكالمات الهاتفية أنه في ورطة. لقد دخل قلبي للتو في وضع القتال أو التحليق، وهو الآن يفعل كل ما في وسعه للهروب.

أنا لا ألوم قلبي إطلاقاً.

«أحبك أيضاً يا أبي».

ينزل قلبي إلى أسفل حلقي ويعود إلى موطنه الطبيعي في صدري مرة أخرى. إنه سعيد في الوقت الحالي. أنا سعيدة. سعيدة لأنه في الحقيقة، لديه شخص يتفقدته.

وفي اللحظة نفسها، أتذكر أيضاً مدى قلة ما أعرفه عنه.

كم قليل ما يُظهر لي. كم يخفي نفسه عني، لكي لا يُصبح خطأه عندما أتحطم في النهاية.

لن يكون تحطماً سريعاً أيضاً. سيكون الأمر بطيئاً ومؤلماً، ومليئاً بالعديد من اللحظات مثل تلك التي تمزقني من الداخل إلى الخارج. لحظات عندما يعتقد أنني نائمة وينزلق من سريري. لحظات عندما أبقي عيني مغمضتين ولكن أستمع إليه وهو يرتدي ملابسه. لحظات أتأكد فيها من بقاء تنفسي منتظماً في حال كان يراقبني عندما ينحني ليقبلني على جبهتي. لحظات عندما يغادر. لأنه يغادر دائماً.

الفصل الثامن والعشرون

مايلز

قبل ست سنوات

تسألني ريتشل: «ماذا لو تبين أنه مثلي الجنس؟ هل يزعجك ذلك؟». إنها تحمل كلايتون، وكلانا يجلس على سرير المستشفى. أنا عند آخر السرير في مواجهتها، أشاهدها وهي تحددق به.

تلعب دور محامي الشيطان مرة أخرى، وتستمر في طرح أسئلة عشوائية عليّ. تقول إننا بحاجة إلى حل هذه الأمور الآن حتى لا نواجه أي مشكلات تتعلق بالأبوة في المستقبل.

«لن يزعجني ذلك إلا إذا شعر أنه لا يستطيع التحدث إلينا حول هذا الموضوع. أريده أن يعرف أنه يستطيع التحدث معنا عن أي شيء». تبسم ريتشل لكلايتون، لكنني أعلم أن ابتسامتها لي. لأنها أحببت إجابتي.

تسأل: «ماذا لو لم يؤمن بالله؟».

«يمكنه أن يعتقد ما يريد. أريد فقط لمعتقداته - أو عدم وجودها - أن تجعله سعيداً». تبسم مرة أخرى.

«ماذا لو ارتكب جريمة فظيعة وبشعة بلا أي رحمة، وذهب إلى السجن مدى الحياة؟». قلت لها: «أود أن أتساءل أين أخطأت كأب».

تنظر إلي: «حسناً، بناءً على هذا الاستجواب، أنا مقتنعة من أنه لن يرتكب جريمة أبداً، لأنك بالفعل أفضل أب عرفته على الإطلاق». الآن تجعلني أبتسم.

ينفتح الباب وتدخل الممرضة، فننظر إليها.

يرتسم على وجهها ابتسامة شعور بالذنب، وتقول: «لقد حان الوقت».

تأوهت ريتشل، لكن ليس لدي أي فكرة عما تتحدث عنه الممرضة. ترى ريتشل الارتباك على وجهي.

«عملية الختان».

تنقبض أحشائي. أعلم أننا ناقشنا هذا الأمر في أثناء الحمل، لكنني أعيد التفكير فجأة، لأنني أعلم ما سيمر به.

تقول الممرضة: «الأمر ليس سيئاً للغاية، سيكون مُخدرًا».

اتجهت نحو ريتشل وانحنيتُ إلى الأمام وأخذته منها.

أقول للممرضة: «انتظري. دعيني أحمله أولاً».

تراجع الممرضة خطوة، وتسلمني ريتشل كلايتون. أسحبه أمامي وأنظر إليه.

«أنا آسف جداً يا كلايتون. أعلم أن الأمر سيؤلم، وأعلم أنه قد يقلل من ذكورتك،

لكن...».

تتدخل ريتشل ضاحكة: «عمره يوم واحد. لا يوجد أي شيء يمكن أن يقلل من ذكورته

الآن».

أطلب منها أن تصمت. وأخبرتها أنني أعيش لحظة رابطة الأب وابنه، وعليها أن تتظاهر

بأنها ليست هنا.

قلت لكلايتون، وأنا أغمز لريتشل: «لا تقلق، لقد غادرت أمك الغرفة. كنت أقول، أعلم أن

هذا الإجراء الطبي قد يبدو أنه تقليل من ذكورتك، لكنك ستشكرني عليه لاحقاً. خاصة

عندما تكبر وتبدأ في التسكُّع مع الفتيات. نأمل أن لا يكون ذلك إلا بعد أن تبلغ الثامنة

عشرة، لكن من المرجح أن يكون ذلك في سن السادسة عشرة تقريباً. مثلما كان الأمر بالنسبة

لي».

انحنت ريتشل إلى الأمام ومدت ذراعيها وهي تضحك: «تكفي هذه الرابطة الآن. وأعتقد

أنا بحاجة إلى إعادة النظر في حدود المحادثة بين الأب والابن خلال العملية».

أضع قبلة سريعة على جبهته وأعيده إلى ريتشل التي تفعل الشيء نفسه وتممره إلى الممرضة.

نشاهد الممرضة وهي تغادر به الغرفة.

نظرت إلى ريتشل وزحفت نحوها حتى استلقيت بجانبها على السرير.

همست: «الغرفة صارت لنا. دعينا نفعلها».

تعبس وتقول: «لا أشعر بأني مثيرة الآن. بطني مترهلة، وثدياي محتقان، وأحتاج إلى الاستحمام بشدة، لكن من المؤلم جداً أن أحاول الاستحمام الآن».

نظرت إلى صدرها وسحبت ياقة رداء المستشفى، ونظرت إلى أسفل قميصها وابتسمت:

«إلى متى سيبقيان هكذا؟».

تدفع يدي بعيداً وتضحك.

أسألها: «حسناً، كيف حال فمك؟».

تنظر إلي وكأنها لا تفهم سؤالي، فأوضحت الأمر.

«أنا فقط أتساءل عما إذا كان فمك يؤلمك كما يؤلمك باقي جسدك، لأنه إن لم يكن كذلك، فأنا أريد أن أقبلك».

تبتسم: «فمي بأفضل حال».

أستند على مرفقي حتى لا تضطر إلى التدرج نحوي.

أخفض نظري إليها، وأرى أنها تبدو مختلفة الآن.

إنه شعور حقيقي.

حتى الأمس، كنا نشعر وكأننا نلعب لعبة المنزل. بالطبع حبنا حقيقي، وعلاقتنا حقيقية، لكن حتى اللحظة التي رأيتها فيها وهي تعطي الحياة لابني بالأمس، كان كل ما شعرت به سابقاً مثل لعب الأطفال مقارنة بما أشعر به تجاهها الآن.

«أنا أحبك يا ريتشل. أكثر مما أحببتك بالأمس».

عينها تنظران إلي وكأنها تعرف بالضبط ما أتحدث عنه. وتقول: «إذا كنت تحبني اليوم أكثر مما أحببتني بالأمس، فلا أستطيع الانتظار حتى الغد».

تقع شفتي على شفتيها وأقبلها. ليس لأنه يجب علي فعل ذلك، بل لأنني بحاجة لذلك.

أقف خارج غرفة ريتشل في المستشفى. تأخذ هي وكلايتون قيلولة في الداخل.

قالت الممرضة أنه بكى بالكاد. أنا متأكد من أنها تخبر جميع الآباء بذلك، لكنني أصدقها على أي حال.

أخرجتُ هاتفي لأرسل رسالة نصية إلى إيان.

أنا: لقد خُتِنَ منذ ساعات قليلة. فعلها مثل بطل.

إيان: حسناً. أنا قادم لمقابلتك الليلة. سأكون هناك بعد الساعة.

أنا: أراك إذن.

كان أبي يسير نحوي وفي يديه كوبان من القهوة، فوضعت هاتفي في جيبي الخلفي.

يعطيني كوباً من القهوة.

يقول: «إنه يشبهك».

إنه يحاول تقبل الأمر.

أقول: «حسناً، أنا أشبهك تماماً. نخب الجينات القوية».

أرفع قهوتي، فيلامسها أبي بكوبه مبتسماً.

إنه يحاول.

يتكئ على الحائط للحصول على الدعم وينظر إلى قهوته. يريد أن يقول شيئاً ما، لكن الأمر صعب عليه.

أسأل وأمنحه الفرصة التي يحتاجها: «ما الخطب؟». يرفع عينيه عن النظرة المثبتة على القهوة، ويلتقي بنظري.

يقول بصدق: «أنا فخور بك حقاً».

عبارة بسيطة.

أربع كلمات.

أربع من أكثر الكلمات ذات التأثير التي سمعتها على الإطلاق.

«بالطبع، هذا ليس ما أردته لك. لا أحد يريد أن يرى ابنه وقد أصبح أباً في سن الثامنة

عشرة، لكن... أنا فخور بك حقاً. لكيفية تعاملك مع الأمر. للطريقة التي عاملت بها ريتشل».

يضحك. «لقد فعلت أفضل ما يمكن فعله، في موقف صعب، وهذا بصراحة أكثر مما قد

يفعله معظم البالغين».

أبتسم. أقول له شكراً.

اعتقدت أن المحادثة انتهت، لكنها لم تنته.

يقول راغباً في إضافة المزيد: «مايلز، عن ليزا... وأمك؟».

أرفع يدي لمنعه من الاستطراد. لا أريد إجراء هذه المحادثة اليوم. لا أريد أن يكون هذا اليوم بمثابة خطبة دفاع عما فعله بأمي.

«لا بأس يا أبي. سنناقش الأمر مرة أخرى».

يقول لي لا. إنه يحتاج إلى مناقشة الأمر معي الآن.

يقول لي إنه مهم.

أريد أن أقول له إنه ليس مهماً.

أريد أن أخبره أن كلايتون هو المهم.

أريد التركيز على كلايتون وريتشل وأنسى حقيقة أن أبي مجرد إنسان، ويتخذ خيارات فظيعة مثلنا جميعاً.

لكنني لا أقول أيّاً من ذلك.

أنا أسمع.

لأنه أبي.

الفصل التاسع والعشرون

تايت

مايلز: ماذا تفعلين؟

أنا: أنهى فرضي المنزلي.

مايلز: هل تشعرين برغبة في أخذ استراحة للسباحة؟

أنا: ؟؟؟ في فبراير.

مايلز: المسبح الموجود على السطح مُدْفَأ. ولا يزال أمامه ساعة قبل الإغلاق.

أحدق في النص، ثم أنظر على الفور إلى كوربين: «هل يوجد مسبح على السطح هنا؟».

أوما كوربين برأسه لكنه لم ينظر بعيداً عن التلفاز. «نعم».

أجلس باستقامة: «هل تمزح معي؟ لقد عشت هنا لفترة طويلة، ولم تخبرني بوجود مسبح

مُدْفَأ على السطح؟»

يواجهني الآن ويهز كتفيه: «أنا أكره حمامات السباحة».

اللعنة. أتمنى لو أصفعه.

أنا: لم يذكر كوربين أبداً وجود مسبح. اسمح لي أن أغير ملابسي، وسأتوجه إلى هناك.

مايلز: ؛)

أدركت أنني نسيت أن أطرق الباب بمجرد أن أغلقت باب شقته بعد دخولي. أنا أطرق

دائماً. أعتقد أن الإشارة في الرسالة النصية إلى أنني سأتي بعد أن أغير ملابسي، بدت كافية

بالنسبة لي، لكن الطريقة التي يحدق بها مايلز في وجهي من مدخل غرفة نومه تجعلني أعتقد

أنه لا يحب حقيقة أنني لم أطرق الباب.

تسمرت في غرفة معيشتي وأنا أنظر إليه، منتظرة أن أستشف مزاجه اليوم.

قال بوضوح: «أنت ترتدين زي سباحة من قطعتين (بيكيني)».

أنظر إلى ملابسي وأقول مدافعة: «وسروالاً قصيراً». أرفع نظري إليه مرة أخرى. «ما الذي من المفترض أن يرتديه الناس عندما يسبحون في فبراير؟».

لا يزال واقفاً متجمداً عند باب غرفته، يحدق في ملابسي. ألف منشفتي على ذراعي وحول بطني. وأشعر فجأة بالحرج الشديد، وكأنني لا أرتدي شيئاً.

يهز رأسه ويبدأ أخيراً في التحرك نحوي. «أنا فقط...» لا يزال يحدق في البيكيني الذي أرتديه. «أمل ألا يكون أحدٌ هناك، لأن سروال السباحة القصير الذي أرتديه، سيسبب لي حرجاً هائلاً». ثم نظر إلى سروال السباحة الخاص به. وتحديداً إلى البروز المتصلب البادي منه.

أضحك. إنه في الواقع يحب البيكيني.

يأخذ خطوة أخرى إلى الأمام ويحرك يديه إلى الجزء الخلفي من سروالي القصير، ثم يسحبني نحوه. ويقول مبتسماً: «لقد غيرت رأبي. أريد أن أبقى هنا».

هزرت رأسي بالرفض على الفور وقلت: «سأذهب للسباحة. يمكنك البقاء هنا إذا أردت، لكنك ستكون بمفردك».

يقبلني، ثم يقودني نحو باب شقته وهو يقول: «أعتقد أنني سأذهب للسباحة».

يُدخل مايلز رمز المرور للوصول إلى السطح، ثم يفتح لي الباب. أشعر بالارتياح عندما أرى أنه لا يوجد أحد آخر هنا، وأنا منبهرة بمدى جماله المذهل. إنه مسبح لا نهائي، يطل على المدينة، محاط بكراسي الفناء، على طول الطريق إلى الطرف المقابل، حيث يتصل بحوض آخر مغطى ومُدفاً.

قلت: «لا أستطيع أن أصدق أن أياً منكما لم يفكر في أن يذكر لي هذا قبل الآن. كل هذه الأشهر وأنا في عداد المفقودين».

يأخذ مايلز منشفتي ويضعها على إحدى الطاولة المحيطة بحمام السباحة.

عاد نحوي وأسقط يديه نحو الزر الموجود في سروالي القصير.

«هذه في الواقع المرة الأولى التي أكون فيها هنا». فك سروالي القصير ودفعه فوق فخذي.

شفتيه قريبة من شفتي، وتعبيره مرح. يهمس: «هيا، دعينا نبتل».

أخلع السروال القصير في الوقت نفسه الذي يخلع فيه قميصه. الهواء بارد للغاية، لكن البخار المتصاعد من الماء يُبشِّرُ بالخير. مشيت إلى النهاية الضحلة لنزول الدرج، لكن مايلز غاص برأسه أولاً في النهاية العميقة للمسبح. أخطو، فيبتلع دفة الماء قدمي، فأكمل بقية الطريق بسرعة. أتجه نحو منتصف السبح وأسير حتى الحافة، ثم أضع ذراعي على الحافة الخرسانية المطلة على المدينة.

يسبح مايلز خلفي ويطوقني بضغط صدره على ظهري ووضع يديه على جانبي الحافة. أسند رأسه إلى رأسي بينما كنا نشاهد المنظر.
همست: «هذا جميل».
إنه هادئ.

نشاهد المدينة في صمت يبدو أنه سيستمر إلى الأبد. بين الحين والآخر، كان يشبِّك يديه ويجلب الماء إلى كتفي ليدفع عني قشعريرة البرد.
سألته: «هل عشت دائماً في سان فرانسيسكو؟». استدرت بحيث أصبح ظهري على الحافة الآن ووجهي له. احتفظ بذراعيه على جانبي وأوماً برأسه.
قال وهو لا يزال ينظر إلى المدينة التي فوق كتفي: «قريب منها».
أريد أن أسأله أين، لكنني لا أفعل. أستطيع أن أقول من خلال لغة جسده أنه لا يريد التحدث عن نفسه. لا يريد التحدث عن نفسه أبداً.
أسأل: «هل أنت الولد الوحيد؟». محاولة رؤية ما يمكنني الإفلات منه.
«هل لديك إخوة أو أخوات؟».
ينظر في عيني الآن. ويضغط شفثيه في خط ثابت ومضطرب.
«ماذا تفعلين يا تاي؟». إنه لا يسأل ذلك بطريقة فظة، ولكن لا توجد طريقة أخرى يمكن أن يصل بها سؤاله.

أقول: «أجري محادثة فقط». صوتي ناعم بينما يبدو مستاءً.
«أستطيع أن أفكر في أشياء كثيرة أفضل أن أتحدث عنها أكثر من نفسي».
لكن هذا كل ما أريد معرفته يا مايلز.

أومأت برأسي مدركةً أنه على الرغم من أنني لا أخالف قواعده من الناحية الفنية، فإنني أخالفها. وهذا لا يُشعره بالراحة.

استدرت وواجهت الحافة مرة أخرى. لا يزال في الوضع نفسه، يضغط علي، لكن الأمر مختلف الآن. إنه قاس، محميٌّ، في حالة دفاع.

لا أعرف شيئاً عنه. لا أعرف شيئاً واحداً عن عائلته، في حين أنه قد التقى بعائلتي بالفعل. لا أعرف شيئاً واحداً عن ماضيه، لكنه نام في سرير طفولتي. لا أعرف ما الموضوعات التي أطرحها أو ما الأفعال التي أفعالها والتي ستجعله ينغلق، لكن ليس لدي ما أخفيه عنه. يراني كما أنا بالضبط.

لكني لا أراه على الإطلاق.

رفعت يدي بسرعة ومسحت دمعة سقطت بطريقة ما على خدي. آخر شيء أريده على الإطلاق هو أن يراني أبكي. وبقدر ما أعرف أنني ذهبت بعيداً جداً لدرجة أنني لن أتمكن من الاستمرار في التعامل مع هذا الأمر بوصفه علاقة جنسية عرضية، فقد ذهبت أيضاً بعيداً جداً لدرجة لن تُمكنني من وقفه. أشعر بالرعب من فقدانه إلى الأبد، لذلك أقلل من نفسي وأخذ منه ما أستطيع، مع أنني أعلم أنني أستحق الأفضل.

يضع مايلز يده على كتفي ويديرني لمواجهته. عندما اخترت التحديق في الماء بدلاً من ذلك، وضع إصبعه تحت ذقني وجعلني أنظر إليه. أسمح له بإمالة وجهي نحو وجهه، لكني لا أتواصل بالعين. نظرت إلى الأعلى وإلى اليمين، محاولةً حجب دموعي.

«أنا آسف».

لا أعرف حتى ما الذي يعتذر عنه. لا أعرف حتى إذا كان يعرف الذي يعتذر عنه. لكن كلانا يعلم أن دموعي لها علاقة به، لذا فهو على الأرجح يعتذر فقط لهذا السبب البسيط وحده. لأنه يعلم أنه غير قادر على إعطائي ما أريد.

توقف عن جعلي أنظر إليه وبدلاً من ذلك سحبني إلى صدره. أضع أذني على قلبه، وهو يضع ذقنه فوق رأسي.

يسأل بهدوء: «هل تعتقدين أن علينا التوقف؟». صوته خائف، وكأنه يأمل أن تكون إجابتي لا، لكنه يشعر بأنه مضطر لسؤالي على أي حال.

همست: «لا».

تنهد بشدة. يبدو أنه قد تنفس الصعداء، لكنني لست متأكدة.

«إذا سألتك شيئاً، هل ستكونين صادقة معي؟».

هزرت كتفي، لأنه من المستحيل أن أجيبه بنعم حتى أعرف سؤاله أولاً.

«هل ما زلتِ تفعلين هذا معي لأنك تعتقدين أنني سأغير رأبي، وأن هناك فرصة لأن أقع في

حبك؟».

هذا هو السبب الوحيد الذي يجعلني أفعل هذا يا مايلز.

مع ذلك، لا أقول هذا بصوت عالٍ. لا أقول أي شيء.

«لأنني لا أستطيع يا تاي. أنا فقط...» ثم يتلاشى صوته ويهدأ.

أحلل كلماته وحقيقة أنه قال لا أستطيع بدلاً من أن يقول لن أفعل. أريد أن أسأله لماذا لا

يستطيع. هل هو خائف؟ هل لأنني لست مناسبة له؟ هل هو خائف من أن يكسر قلبي؟ لا

أسأله، لأن أيًا من إجاباته عن هذه الأسئلة لن يطمئنني. لا تُعد أيُّ من هذه السيناريوهات

سبباً كافياً لننكر على القلب سعادته.

ولهذا السبب لا أستجوبه، لأنني أشعر أنني ربما لست مستعدة لمعرفة الحقيقة. ربما أنا أقلل

من شأن ما حدث في الماضي وجعله بهذه الطريقة. لأن شيئاً ما حدث.

شيء على الأرجح لا يتعلق بي حتى لو عرفت ما هو. شيء سرق الروح منه، تماماً كما قال

كاب.

تسحبني ذراعه بقوة، وقبضته عليّ تقول الكثير. إنه أكثر من مجرد احتضان. أكثر من

عناق. إنه يحتضنني وكأنه خائف من أن أغرق إذا أطلق سراحني.

همس: «تاي، أعلم أنني سأندم على قول هذا، ولكن أريدك أن تسمعي ذلك». سحبني

للخلف بما يكفي حتى تلتقي شفثيه بشعري، ثم أمسكني بقوة مرة أخرى. «إذا كنت قادراً

على أن أحب شخصاً ما، فسيكون أنت». ينفطر قلبي من كلماته، وأشعر أن الأمل يتسرب

ويتسرب إلى الخارج مرة أخرى: «لكنني غير قادر. لذلك إذا كان الأمر صعباً جداً --».

أقاطعه: «ليس صعباً». وأفعل كل ما بوسعي لمنعه من إنهاء هذا الأمر. حتى إنني وجدت

طريقة ما تمكنني من النظر في عينيه والتفوه بأفضل كذبة قلتها في حياتي كلها. «أنا أحب

الأمر كما هي بالضبط».

إنه يعلم أنني أكذب. أستطيع أن أرى الشك في عينيه القلقتين، لكنه يومئ برأسه على أي حال. أحاول إبعاد ذهنه عن الأمر قبل أن يرى الحقيقة من خلال عيني. لففت ذراعي دون إحكام حول رقبته، لكن انتباهه انصبَّ على الباب الذي يفتح الآن. التفتُّ أيضاً ورأيت كاب يمشي ببطء في طريقه إلى السطح. يسير باتجاه المفتاح الموجود على الحائط الذي يُطفئ مضخات المسبح الساخن. يقبلها ويستدير ببطء نحو الباب ثم يلاحظنا بطرف عينه. يستدير ويواجهنا بالكامل، ويقف على مسافة لا تزيد على خمسة أقدام. يقول وهو يحدق: «أهذه أنت يا تايث؟».

قلت وأنا لا أزال في الوضع نفسه مع مايلز: «إنه أنا».

قال وهو ينظر إلى كلينا: «همم.. هل أخبرك أحد من قبل أنكما تشكلمان زوجين جميلي المظهر؟».

جفلتُ، لأنني أعلم أن هذه ليست اللحظة المناسبة لسمع مايلز ذلك، خاصة بعد المحادثة المحرجة التي أجريناها للتو. أعرف أيضاً ما الذي ينوي كاب فعله بهذا التعليق.

يقول مايلز: «سنطفئ الأضواء عندما نغادر يا كاب»، إذ أعاد توجيه المحادثة، وتجاهل السؤال.

يضيق كاب عينيه، ويهز رأسه كما لو كان يشعر بخيبة أمل، ويبدأ بالعودة إلى الباب. تتمم قائلاً: «لقد كان سؤالاً بلاغياً على أي حال». أرى يده تصل إلى جبهته، ويرفعها بالتحية.

يقول بصوت عالٍ: «ليلة سعيدة يا تايث».

«ليلة سعيدة يا كاب».

نراقبه أنا ومايلز حتى يُغلق الباب خلفه. أسحب يدي بعيداً عن رقبته وأضغط بلطف على صدره حتى يتراجع حتى أتمكن من الالتفاف حوله. أسبح إلى الخلف باتجاه الجانب الآخر من حوض السباحة.

أسأل: «لماذا أنت وقع جداً دائماً معه؟».

يغطس مايلز في الماء، يفسح بذراعيه الماء أمامه ويركل الجدار خلفه. يسبح نحوي، وأنا أشاهده بينما تظل عيناه مركبتين على عيني. أسبح إلى الخلف حتى يصبح ظهري على الجدار

المقابل للمسبح. استمر يسبح في اتجاهي، حتى كاد أن يصطدم بي، لكنه أوقف نفسه عن طريق إمساك الحافة على جانبي رأسي، وإرسال موجات من الماء نحو صدري. «أنا لست وقحاً معه». تلتقي شفثاه برقبتي، ويقبلها بهدوء، ويتحرك ببطء إلى أعلى حتى يقترب فمه من أذني. «أنا فقط لا أحب الإجابة عن الأسئلة». أعتقد أننا نعرف ذلك بالفعل.

أسحب رقبتي بعيداً بضع بوصات حتى أرى وجهه. أحاول التركيز على عينيه، لكن هناك قطرات ماء على شفثيه، ومن الصعب ألا أحقق فيها. «إنه رجل عجوز. ومن المفترض ألا تكون وقحاً مع كبار السن. كما أنه مضحك للغاية، إذا لم تكن تعرفه من قبل».

يضحك مايلز قليلاً ويبدو مُستمتعاً: «هاه.. أنتِ معجبة به؟». أومئ بالموافقة: «نعم. أنا أحبه كثيراً. في بعض الأحيان يروقني أكثر منك». ضحك بصوت عالٍ هذه المرة وانحنى مرة أخرى ليطلع قبلة على خدي. يده تلامس مؤخرة رقبتي، وعيناه تنزلان إلى فمي. قال وهو يرفع عينيه نحوي: «يعجبني أنكِ معجبةٌ به. لن أكون وقحاً معه مرة أخرى. أعدك».

أعض شفثتي حتى لا يرى كم أريد أن أبتسم لحقيقة أنه قد وعدني للتو. لقد كان وعداً بسيطاً. لكنه يشعرنني بالارتياح. مرر يده نحو فكي، وتلامس إبهامه مع شفثتي. وسحبها بعيداً عن أسناني: «ماذا أخبرتك عن إخفاء تلك الابتسامة؟». يأخذ شفثتي السفلية بين أسنانه ويعضها بلطف، ثم يطلقها. يبدو الأمر كما لو أن درجة حرارة المسبح قد ارتفعت حالاً عشرين درجة.

يلتقي فمه بحنجرتي، ويطلق تنهيدة ثقيلة على بشرتي. أرجعت رأسي إلى الخلف وتركته يستقر على حافة المسبح وهو يُقبّل طريقه إلى أسفل رقبتي. قال وهو يحرك شفثيه من حلقي حتى فمي مرة أخرى: «لا أريد السباحة بعد الآن». أهمس بصوت ضعيف: «حسناً إذن، ماذا تريد؟». يقول دون تردد: «أنتِ، في حمامي. وأنا خلفك».

ابتلعت جرعة كبيرة من الهواء وشعرت أنها تسقط إلى الحفرة التي في معدتي: «رائع. هذا محدد للغاية».

يهمس قائلاً: «وأيضاً في سريري. وأنتِ في الأعلى، وما زال ماء الاستحمام يتساقط منك».

أتنفس بحدة، ويمكننا أن نسمع ارتعاش أنفاسي أثناء الزفير. حاولت أن أقول: «حسناً»، لكن فمه كان على فمي قبل أن تخرج الكلمة. ومرة أخرى، الذي كان ينبغي أن يكون محادثة مستنيرة بالنسبة لي، جرى دفعه جانباً لإفساح المجال للشيء الوحيد الذي يرغب في إعطائي إياه.

الفصل الثلاثون

مايلز

قبل ست أعوام

نسير بهدوء إلى منطقة الانتظار الخالية. يجلس أبي أولاً، وأجلس في مقابله على مضض. أنتظر اعترافه، لكنه لا يعلم أنني لا أحтаجه. أعرف عن علاقته مع ليزا. أعرف كم من الوقت استمر الأمر.

قال وهو ينظر إلى الأرض: «أنا وأمك...».

لا يمكنه حتى أن يتواصل بصرياً معي.

«قررنا الانفصال عندما كنت في السادسة عشرة من عمرك. ونظراً إلى كثرة سفري، كان الحل المالي هو أن ننتظر حتى تخرجك قبل تقديم طلب الطلاق، وهذا ما قررنا فعله».

السادسة عشرة؟

لقد مرضت عندما كنت في السادسة عشرة من عمري.

«عندما التقيت بليزا، كنا قد انفصلنا لمدة عام تقريباً».

إنه ينظر إلي الآن. إنه صادق.

«عندما اكتشفت أنها مريضة، كان هذا هو الشيء الصحيح الذي ينبغي فعله يا مايلز. لقد كانت أمك، ولم أكن لأتركها عندما كانت في أمس الحاجة إلي».

صدري يؤلمني.

يقول: «أعلم أنك جمعت اثنين زائد اثنين معاً. أعلم أنك أجريت الحساب. أعلم أنك كنت تكرهني، وتعتقد أنني كنت على علاقة غرامية بينما كانت أمك مريضة، وكم كرهت أنني سمحت لك الاعتقاد بذلك».

سألته: «إذن لماذا فعلت؟ لماذا جعلتني أظن ذلك؟».

ينظر إلى الأرض مرة أخرى. يقول: «لا أعرف. ربما اعتقدت أن هناك فرصة في ألا تعلم أنني كنت أواعد ليزا لفترة أطول مما عرفت؛ إذ إن طرح الأمر كان سيضر أكثر مما ينفع. لم

تعجبني فكرة معرفتك بأن زواجي من أمك قد فشل. لم أكن أريدك أن تعتقد أنها ماتت وهي غير سعيدة».

أُطمئنته: «لم تفعل. لقد كنتَ هناك من أجلها يا أبي. كلانا فعل».
إنه يقدرّ قولِي هذا، لأنه يعلم أن هذا صحيح.
كانت أمي سعيدة في حياتها.
سعيدة معي.

وهذا يجعلني أتساءل عما إذا كانت ستصاب بخيبة أمل الآن عندما ترى كيف سارت الأمور.

قال لي: «ستكون فخورة بك يا مايلز. وكيف استطعت أن تعالج الأمر».
أعانقه.

فقد كنت بحاجة لسماع ذلك أكثر مما كنت أعرف.

الفصل الواحد والثلاثون

تايت

أحاول الاستماع إلى كوربين وهو يُتابع محادثته مع أمي، لكن كل ما يمكنني التفكير فيه هو حقيقة أن مايلز سيعود إلى المنزل في أي لحظة الآن. لقد مرت عشرة أيام منذ أن عاد إلى المنزل، وهذه هي أطول فترة أمضيناها دون رؤية بعضنا منذ الأسابيع التي أمضيناها دون التحدث.

يسأل كوربين: «هل أخبرت مايلز بعد؟».

«أخبرته بماذا؟».

يواجهني كوربين: «أنك تنتقلين»، ثم أشار إلى ماسك الأواني الموجود على المنضدة بجانبني.

أرميه بماسك الأواني وأهز رأسي: «لم أتحدث إليه منذ الأسبوع الماضي. ربما سأخبره الليلة».

بصراحة، أردت أن أخبره طوال الأسبوع، أنني وجدت شقة خاصة بي، لكن ذلك سيتطلب الاتصال به أو إرسال رسالة نصية، وهما شيئا لا نفعلهما. الأوقات الوحيدة التي نراسل فيها بعضنا بعضاً هي عندما نكون في المنزل. أعتقد أننا نفعل هذا لأنه يساعد في الحفاظ على حدودنا.

كما أن هذه الخطوة لن تمثل مشكلة كبيرة على أي حال. أنا أنتقل مسافة بضعة بنايات فقط. لقد وجدت شقة أقرب إلى العمل ومدرسة التمريض. إنه بالتأكيد ليس مبنى سكنياً شاهقاً في وسط المدينة، لكنني أحبه.

أتساءل كيف سيؤثر ذلك في الأمور بيني وبين مايلز. أعتقد أن هذا أحد الأسباب التي جعلتني لا أذكر أنني كنت أبحث عن مكان خاص بي. هناك خوف يقبع في الجزء الخلفي من ذهني، يقول إن عدم وجودي في الجهة المقابلة له من الردهة سيجعل الأمور غير مريحة للغاية، وعليه، فإنه سيُنهي كل ما يجري بيننا.

رفعنا أنا وكوربين نظرينا بمجرد أن فُتح باب الشقة بعد طرق سريع عليه. ألقى نظرة على كوربين، الذي أدار عينيه في محجريهما.

لا يزال يتأقلم.

دخل مايلز إلى المطبخ، ورأيت الابتسامة التي تريد أن ترتسم على وجهه عندما يراني، لكنه يبقئها تحت السيطرة عندما يرى كوربين.

يسأل مايلز: «ماذا تطهو؟». يستند إلى الحائط ويعقد ذراعيه فوق صدره، لكن عينيه تتحركان نحو ساقي. يتوقف عندما يراني أرتدي تنورة، وابتسم في اتجاهي.

لحسن الحظ، لا يزال كوربين يواجه الموقد.

قال كوربين بصوتٍ رتيب: «العشاء».

إنه يأخذ وقتاً للتأقلم.

ينظر مايلز إلي مرة أخرى ويحديق صامتاً لبضع ثوانٍ. يقول: «مرحباً يا تاي».

أبتسم: «مرحباً».

تتجول عيناه بكل مكان في جسدي عدا عيني: «كيف كانت اختبارات الفصل الدراسي النصفية؟».

أقول: «جيدة».

يحرك شفثيه فقط ويقول: «تبددين جميلة».

ابتسمت وأنا أتمنى أكثر من أي شيء آخر ألا يكون كوربين واقفاً هنا الآن، لأنني أبذل كل ما في وسعي الآن حتى لا ألقى ذراعي حول رقبة مايلز وأقبله بشدة.

يعرف كوربين سبب وجود مايلز هنا. نحاول أنا ومايلز احترام حقيقة أن كوربين لا يعجبه ما يحدث بيننا، لذلك نبقئيه خلف الأبواب المغلقة.

يمضغ مايلز الجزء الداخلي من خده، ويعبث بأكمام قميصه في ملل، ويراقبني. الجو هادئ

في المطبخ، ولم يستدر كوربين بعد ليُرحب به. بينما يبدو مايلز وكأنه على وشك الانفجار.

قال وهو ينطلق نحوي عبر المطبخ: «اللعة». يأخذ وجهي بين يديه ويُقبلني بقوة أمام

كوربين.

إنه يُقبلني.

أمام كوربين.

لا تبحي عن معنى هذا يا تايث.

يأخذ يدي ويسحبني خارج المطبخ. لا يزال كوربين يواجه الموقد، ويبدل ما في وسعه لتجاهلنا.

لا يزال يتأقلم.

وصلنا إلى غرفة المعيشة، أبعده مايلز فمه عن فمي. وقال: «لم أتمكن اليوم من التفكير في أي شيء آخر. على الإطلاق». «وأنا أيضاً».

يسحبني من يدي إلى الباب الأمامي. يفتحه ويذهب نحو شقته ويخرج مفاتيحه من جيبه. أمتعته لا تزال بالخارج في الردهة. «لماذا أمتعته هنا؟».

يدفع مايلز باب شقته ويفتحة. يقول: «لم أدخل المنزل بعد».

يستدير ويأخذ أغراضه من الردهة، ثم يفتح الباب لي.

«هل أتيت إلى شقتي أولاً؟».

أوما برأسه، ثم ألقى حقيبة من القماش الخشن على الأريكة ودفع حقيبة السفر إلى الحائط. ثم قال: «نعم». يمسك بيدي ويسحبني إليه، يبتسم ويخفض رأسه ليقلني: «لقد أخبرتك يا تايث. لم أفكر في أي شيء آخر».

أضحك وأقول بسخرية: «أوه، لقد اشتقت إلي».

يتراجع. ويتوتر جسده بشدة، كما لو أنني أخبرته للتو أنني متيمةٌ به.

أقول: «استرخ. من المسموح أن تشتاق إلي يا مايلز. هذا لا يكسر قواعدك».

يتراجع بضع خطوات ويسأل وهو يغير الموضوع كما يفعل دائماً: «هل تشعرين بالعطش؟». يستدير ويتجه نحو المطبخ، لكن كل شيء فيه قد تغير الآن. سلوكه، ابتسامته، حماسه لرؤيتي أخيراً بعد عشرة أيام.

أقف في غرفة المعيشة وأشاهد كل شيء ينهار.

عُدت إلى أرض الواقع. الأمر يبدو شبيه بضربة نيزك.

هذا الرجل لا يستطيع حتى الاعتراف بأنه يشناق إلي.
لقد كنت آمل إذا تعاملت معه بما فيه الكفاية من البطء، فسوف يحطم كل العوائق بيننا في
النهاية. طوال الأشهر القليلة الماضية، كنت أعتقد أنه ربما لا يستطيع التعامل مع الطريقة التي
تطورت بها الأمور بيننا وأنه يحتاج إلى وقت، لكن الأمر واضح الآن. إنه ليس هو.
إنه أنا.

أنا الشخص الذي لا يستطيع التعامل مع هذا الشيء بيننا.
يقول مايلز من المطبخ: «هل أنت بخير؟». يخرج من خلف الخزائن التي تحجبني عنه
حتى يتمكن من رؤيتي. ينتظر مني أن أجيبه، لكنني لا أستطيع.
«هل اشتقت إلي يا مايلز؟».

ينسدل الدرع مرة أخرى ليحميه. ينظر بعيداً ويعود إلى المطبخ. يقول وقد عادت القسوة
إلى صوته: «نحن لا نقول مثل هذه الأشياء يا تايث».
هل هو جاد؟

أخطو بضع خطوات نحو المطبخ. «لا نفعل يا مايلز؟. إنها عبارة شائعة. لا تعني الالتزام.
ولا تعني حتى الحب. الأصدقاء يقولون ذلك بعضهم لبعض».
يتكئ على الطاولة المرتفعة في المطبخ وينظر إلي بهدوء: «لكننا لم نكن أصدقاء أبداً. وأنا
لا أريد أن أكسر قاعدتك الوحيدة وأمنحك أملاً زائفاً. لذا لن أقول ذلك».
لا أستطيع أن أشرح ما يحدث لي، لأنني لا أعرف. ولكن يبدو الأمر كما لو أن كل ما قاله
وفعله يؤذيني ويخوزقني في آنٍ واحد. أريد أن أصرخ عليه. أريد أن أكرهه. أريد أن أعرف ما
الذي سبق وأن حدث بحق الجحيم وجعله قادراً على قول أشياء يمكن أن تؤذيني أكثر من
أي كلمات أخرى.

لقد سئمت من السير فوق الماء.
سئمت من التظاهر بأن رغبتني في معرفة كل شيء عنه لا تقتلني.
سئمت من التظاهر بأنه ليس في كل مكان. وأنه كل شيء. الشيء الوحيد.
أهمس: «ماذا فعلت بك؟».

يقول مُحذراً: «إياك». تحمل كلمته تهديداً واضحاً.

لقد سئمت جداً من رؤية الألم الذي لا أعرف سببه في عينيه.
لقد سئمت من عدم إمامي بالكلمات التي يحظر عليها قولها.
«أخبرني».

يشيح بنظره عني: «عودي إلى المنزل يا تايث». يستدير ويمسك حافة المنضدة، ويضع رأسه بين كتفيه.

أستدير وأخرج من المطبخ: «سحقاً لك».

عندما وصلت إلى غرفة المعيشة، سمعته يتبعني، فأسهرت. وصلت إلى الباب الأمامي وفتحته، لكن راحة يده اصطدمت بالباب فوق رأسي، وأغلقتة.

أضغط على عيني بقوة، متأهبةً لأي كلمات قد تقتلني تماماً، لأنني أعلم أن هذا سيحدث. وجهه بجوار أذني مباشرة، وصدرة يضغط على ظهري.

«هذا ما كنا نفعله يا تايث. نسحق بعضنا خلال المضاجعة. لقد أوضحت ذلك منذ اليوم الأول».

أضحك، لأنني لا أعرف ماذا أفعل غير ذلك. أستدير وأنظر إليه. إنه لا يتراجع، ويبدو مخيفاً لدرجة لم أرها من قبل.

سألته: «هل تعتقد أنك أوضحت ذلك؟ أنت كومة خراء يا مايلز».

ما زال لا يتحرك، لكن فكاه متوتر: «كيف لم أكن واضحاً؟ إنهما قاعدتان. ليس هناك أبسط من ذلك».

أضحك بعدم تصديق، ثم أخرج كل شيء من صدري دفعة واحدة. «هناك فرق كبير بين مضاجعة شخص ما وممارسة الحب معه. أنت لم تضاجعني منذ أكثر من شهر يا مايلز. في كل مرة كنت فيها بداخلي، كنت تمارس الحب معي. أستطيع أن أرى ذلك في الطريقة التي تنظر بها إلي. تشاق إلي عندما لا نكون معاً. تُفكر بي طوال الوقت. لا يمكنك الانتظار عشر ثوانٍ لإدخال أمتعتك إلى شقتك، قبل أن تأتي لرؤيتي. لذا، لا تجرؤ على إخباري أنك كنت واضحاً منذ اليوم الأول، لأنك الرجل الأكثر غموضاً الذي قابلته على الإطلاق».

أتنفس.

أتنفس لأول مرة منذ شهر.

يمكنه أن يفعل ما يريد. لقد سئمت من المحاولة.
أطلق نفساً ثابتاً ومنضبطاً بينما يتراجع عني بضع خطوات. يجفل ويستدير كما لو أنه لا يريد مني أن أقرأ المشاعر التي من الواضح أنها موجودة في مكان ما في أعماقه. تقبض يداه على مؤخرة رقبته بقوة، ويبقى متصلباً على هذا الوضع لمدة دقيقة دون أن يتحرك. يبدأ في إخراج أنفاس ثابتة تلو الأخرى، كما لو كان يفعل كل ما في وسعه ليجمع شتاته ولا يبكي. يبدأ قلبي بالألم عندما أدرك ما يحدث.
إنه يتداعى.

يهمس وصوته مليء تماماً بالألم: «يا إلهي. ما الذي أفعله بك يا تاييت؟». يمشي نحو الحائط ويتهاوى عليه، ثم ينزلق على الأرض. يرفع ركبتيه، ويسند مرفقيه عليهما، ويغطي وجهه بيديه ليوقف انفعالاته. تبدأ أكتافه بالاهتزاز، لكنه لا يصدر أي صوت.

إنه يبكي.
مايلز آرتشر يبكي.
إنه البكاء الذي يمزق القلب الذي صدر عنه في الليلة التي قابلته فيها. هذا الرجل البالغ، جدار الرهبة، هذا الحاجز الصلب من الدروع الحديدية، ينهار تماماً أمام عيني.
أهمس: «مايلز؟». صوتي ضعيف مقارنة بصمته الهائل. أمشي إليه وأنزل على ركبتي أمامه. أضع ذراعي حول كتفيه وأخفض رأسي إليه.
لن أسأله عن الأمر مرة أخرى، لأنني صرت مرعوبة من معرفته.

الفصل الثاني والثلاثون

مايلز

قبل ست أعوام

ليزا تحب كلايتون.

أبي يحب كلايتون.

كلايتون يُصلح العائلات.

إنه بطلي بالفعل، وعمره لا يزال يومين فقط.

وصل إيان بعد وقت قصير من مغادرة أبي وليزا. يقول إنه لا يريد حمل كلايتون، لكن ريتشل تجعله يحمله. إنه غير مرتاح، لأنه لم يحمل طفلاً من قبل، لكنه يحمله.

يقول إيان: «الحمد لله أنه يشبه ريتشل».

وأنا أتفق معه.

يسأل إيان ريتشل إذا كنتُ قد أخبرتها بما قلته له بعد أن التقيت بها.

لا أعرف ما الذي يتحدث عنه.

يضحك إيان.

قال لها: «بعد أن اصطحبك إلى الفصل في اليوم الأول، التقط لك صورة من حيث يجلس. وأرسل لي رسالة نصية قال فيها: «ستنجب كل أطفالي».

تنظر ريتشل إليّ.

أهز أكتافي بلا مبالاة.

أنا مُخرج.

تُحب ريتشل أنني قلت ذلك لإيان. أحب أن إيان أخبرها بذلك.

يأتي الطبيب ويخبرنا أن بإمكاننا العودة إلى المنزل الآن. يساعدني إيان في نقل كل شيء إلى السيارة ودفعه نحو باب الخروج.

لمس إيان كتفي قبل أن أعود إلى غرفة ريتشل. استدرت وواجهته.

أشعر أنه يريد تهنئتي، لكنه يعانقني بدلاً من ذلك.
إنه أمر غريب، لكنه ليس كذلك. أحب أنه فخور بي.
يمنحني ذلك شعوراً جيداً. وكأنني أفعل هذا بطريقة صحيحة.
يغادر إيان.
وكذلك نحن.
أنا وريتشل وكلايتون.
عائلي.

أريد أن تجلس ريتشل بجواري في المقعد الأمامي، لكن أحب أنهما تجلس في المقعد الخلفي مع كلايتون. أحب كم تحبه. أحب أنني أنجذب إليها الآن أكثر بعد أن أصبحت أمّاً. أريد تقبيلها. أريد أن أخبرها أنني أحبها مرة أخرى، لكن أعتقد أنني أخبرها بذلك كثيراً. لا أريدها أن تتعب من سماع ذلك أبداً.

تقول من المقعد الخلفي: «شكراً على هذا الطفل. إنه وسيم».
أضحك: «أنتِ المسؤولة عن الجزء الجميل فيه يا ريتشل. الشيء الوحيد الذي حصل عليه مني هو خصيتاه».

تضحك. إنها تضحك بشدة. وتقول: «يا إلهي، أعلم».
«إنها كبيرة جداً».

نضحك على خصيتي ابنا الكبيرة.
تتنهد.

أقول لها: «استريحي. أنت لم تنامي منذ يومين».
أرى ابتسامتها في مرآة الرؤية الخلفية. همست قائلة: «لكنني لا أستطيع التوقف عن التحديق به».

لا أستطيع التوقف عن التحديق بك يا ريتشل.
لكنني أتوقف، لأن أنوار السيارة القادمة في مواجهتنا أكثر سطوعاً مما ينبغي.
تُمسك يدي بعجلة القيادة.
الأنوار ساطعة للغاية.

لقد سمعت دائماً أن حياتك تومض أمام عينيك في اللحظات التي تسبق وفاتك.
هذا صحيح بشكلٍ ما.

ومع ذلك، فحياتك لا تومض إليك بالتسلسل أو حتى بترتيب عشوائي. إنها مجرد صورة
واحدة تلتصق برأسك وتصبح كل ما تشعر به وكل ما تراه.

ليست حياتك الفعلية هي التي تومض أمام عينيك.
ما يومض أمام عينيك هم الأشخاص الذين يمثلون حياتك.
ريتشل وكلايتون.

كل ما أراه هو أنهما - كل حياتي - يومضان أمام عيني.
الصوت يخيم على كل شيء.

كل شيء.

في داخلي، في خارجي، من خلالي، تحتي، فوقي.

ريتشل، ريتشل، ريتشل.

لا أستطيع العثور عليها.

كلايتون، كلايتون، كلايتون.

أنا مبتل. الماء بارد. رأسي يؤلمني. ذراعي تؤلمني.

لا أستطيع رؤيتها، لا أستطيع رؤيتها، لا أستطيع رؤيتها، لا أستطيع رؤيتها.

صمت.

صمت.

صمت.

صمتٌ مُطبق.

«مايلز!»

أفتح عيني.

هناك بلل، هناك بلل، هذا ماء، هناك بلل.

الماء في السيارة.

فككت حزام الأمان واستدرت. يداها على مقعد السيارة الخاص به: «ساعدني يا مايلز! إنه عالق!».

أحاول.

أحاول مجدداً.

لكنها تحتاج إلى الخروج أيضاً.

إنها بحاجة للخروج أيضاً.

أركل نافذتي وأكسر الزجاج. رأيت ذلك في فيلم مرة واحدة.

أتأكد من وجود مخرج قبل أن يكون هناك ضغط كبير على النوافذ.

«اخرجي أنتِ يا ريتشل! سأخرجه!».

تقول لي لا. ولا تتوقف عن محاولة إخراجه.

سأخرجه يا ريتشل.

لا تستطيع الخروج. حزام الأمان عالق. إنه ضيق جداً.

تركت مقعد السيارة ووصلت إلى حزام الأمان. كانت يدي تحت الماء عندما وجدته.

صفعت ذراعي وحاولت إبعادي عنها.

تصرخ: «أخرجه. أخرجه أولاً!»

لا أستطيع.

كلاهما عالق.

أنتِ عالقة يا ريتشل.

يا إلهي.

أنا خائف.

ريتشل خائفة.

الماء في كل مكان. لا أستطيع رؤيته بعد الآن.

لا أستطيع رؤيتها.

لا أستطيع سماعه.

وصلت إلى حزام الأمان الخاص بها مرة أخرى.

نزعتة عنها.
أمسك يديها. نافذتها ليست مكسورة.
نافذتي هي المكسورة.
أسحبها إلى الأمام. لكنها تصارعني.
إنها تصارعني.
توقفت عن الصراع معي.
صارعيني يا ريتشل.
صارعيني.
تحركي.
يصل شخص ما من خلال نافذتي.
أسمعه يصرخ: «أعطني يدها!».
الماء يدخل من نافذتي الآن.
المقعد الخلفي بأكمله مغمور بالماء.
الماء أصبح كل شيء حولنا.
أعطيه يد ريتشل. يساعطني في إخراجها.
الماء أصبح كل شيء.
أحاول العثور عليه.
لا أستطيع التنفس.
أحاول العثور عليه.
لا أستطيع التنفس.
أحاول إنقاذه.
أريد أن أكون بطله.
لا أستطيع التنفس.
لذلك أتوقف فقط.
صمت.

صمت.

صمت.

صمت.

صمت.

صمت.

صمت.

صمت.

صمت.

صرخة تصم الأذان.

أغطي أذني بيدي.

أغطي قلبي بدرعٍ واقٍ.

أسعل حتى أتمكن من التنفس مرة أخرى.

أفتح عيني. نحن على قارب.

أنظر حولي. نحن في بحيرة.

أرفع يدي إلى فكي.

يدي حمراء.

مغطاة بالدماء الحمراء مثل شعر ريتشل.

ريتشل.

أجد ريتشل.

كلايتون.

لم أجد كلايتون.

أدفع يدي إلى أعلى وأتحرك نحو حافة القارب.

أنا بحاجة للعثور عليه.

شخص ما يوقفني. شخص ما يسحبني إلى الخلف.

شخص ما لا يسمح لي.

شخص ما يقول لي أن الوقت قد فات.

يخبرني أحدهم أنه آسف.

يخبرني أحدهم أننا لا نستطيع الوصول إليه.

يخبرني أحدهم أننا سقطنا من فوق الجسر بعد الاصطدام.

يخبرني أحدهم أنه آسف جداً.

أتحرك نحو ريتشل بدلاً من محاولة الوصول إليه مرة أخرى.

أحاول أن أحضنها، لكنها لا تسمح لي. إنها تصرخ.

تنتحب. تبكي. تولول.

تضربني.

تركلي.

تقول إنه كان يجب إنقاذه بدلاً منها.

لكنني حاولت إنقاذكما يا ريتشل.

تبكي: « كان ينبغي عليك إنقاذه يا مايلز! ».

كان يجب أن تنقذه.

كان يجب أن تنقذه.

كان يجب أن أنقذه.

إنها تصرخ.

تنتحب. تبكي. تولول.

أحضنها على كل حال.

أتركها تضربني.

أتركها تكرهني.

ريتشل تكرهني.

وأنا أحضنها على أي حال.

ريتشل تبكي لكنها هادئة. إنها تبكي بشدة لدرجة أن حلقها لا يستطيع حتى إصدار صوت.

جسدها يبكي لكن صوتها ليس كذلك.

مُحطمة.

مُحطمة.

مُحطمة.

أبكي معها. نبكي ونبكي ونبكي ونبكي ونبكي ونبكي ونبكي.
مُحطمان.

الماء هو كل شيء الآن.

أنظر إلى ريتشل. فلا أرى إلا الماء.

أغمض عيني. فلا أرى إلا الماء.

أنظر إلى السماء. فلا أرى إلا الماء.

هذا مؤلم للغاية. لم أكن أعلم أبداً أن بإمكان القلب أن يحمل ثقل العالم كله.

لم أعد أجعل حياة ريتشل أفضل بعد الآن.

لقد حطمتك يا ريتشل.

حطمت عائلتي.

أنا وأنت وكلايتون.

محطمون.

لا يمكن أن تحبيني بعد هذا يا ريتشل.

الفصل الثالث والثلاثون

تايت

وضعت يدي عليه، وبدأت أفرك ظهره، وألمس شعره. إنه يبكي، والشيء الوحيد الذي يمكنني فعله هو أن أقول له لا تهتم. أريد أن أقول له أن ينسى كل ما قلته الليلة. أريد أن أفعل كل ما بوسعي لإبعاد هذا الألم عنه، لأن مهما كان ما حدث فلا ينبغي أن يكون مهماً. لا أحد يستحق أن يشعر بما يشعر به الآن، مهما حدث.

أزيح ذراعيه عن وجهه، ثم أنزلت إلى حجره. أمسك وجهه بين يدي وأميله نحو وجهي. يبقي عينيه مغلقتين. «لا يجب أن أعرف يا مايلز».

يلف ذراعيه حول ظهري، ويدفن وجهه في صدري.

تتسارع أنفاسه المجهدة وهو يحاول كبح مشاعره. ذراعاي ملفوفتان حول رأسه، وأقبل شعره، ثم أقبّله على جانب رأسه حتى يتراجع وينظر إلي.

لا يوجد قدر من الدروع في العالم ولا جدار مهما كان سمكه، يمكن أن يخفي الدمار في عينيه الآن. إنه جليٌّ جداً، وكثير جداً، ويجب أن أحبس أنفاسي حتى لا أبكي معه.

ماذا حدث لك يا مايلز؟

همست مرة أخرى، وأنا أهز رأسي: «لا يجب أن أعرف».

تحركت يده إلى مؤخرة رأسي، وضغط فمه على فمي بقوة وألم. تحرك إلى الأمام حتى أصبح ظهري على الأرض. تخلع يده قميصي، ويقبلني بيأس، وغضب، ويملاً فمي بطعم دموعه.

أسمح له باستخدامي للتخلص من آلامه.

سأفعل ما يريد مني أن أفعله إذا كان سيدفع عنه الأذى.

أدخل يده تحت تنورتي وبدأ في إنزال سروالي الداخلي في الوقت نفسه الذي أمسكت فيه بينطاله وبدأت في دفعه لأسفل. وصل سروالي الداخلي إلى كاحلي، فركلته، بينما أمسك يدي الاثنتين ودفعهما فوق رأسي، وضغطهما على الأرض.

أسقط جبهته على جبهتي دون أن يقبلني. أغلق عينيه، لكنني أبقيتُ عيني مفتوحة. لم يضيع أي وقت في دفع نفسه بين ساقي، وفتحهما على نطاق أوسع. يحرك جبهته إلى جانب رأسي، ثم ينزلق بداخلي ببطء. عندما يكون في داخلي، يزفر، ما يخفف بعضاً من آلامه. أريد أن أبعد عقله عن أي رعب قد سبق وأن عايشه.

ينسحب، ثم يندفع بداخلي مرة أخرى، هذه المرة بكل قوته.

هذا مؤلم.

أعطني ألمك يا مايلز.

يهمس: «يا إلهي يا ريتشل».

يا إلهي يا ريتشل...

ريتشل، ريتشل، ريتشل.

تتكرر هذه الكلمة داخل رأسي.

يا.

إلهي.

يا ريتشل.

أدير رأسي بعيداً عنه. إنه أسوأ ألم شعرت به على الإطلاق. الأسوأ على الإطلاق.

ظل جسده داخل جسدي على الفور عندما أدرك ما قاله. الشيء الوحيد الذي يتحرك بيننا الآن هو الدموع التي تتساقط من عيني.

همس محطماً الصمت بيننا: «تأيت. أنا آسف للغاية يا تأيت».

أهز رأسي لكن الدموع لن تتوقف. في مكان ما في أعماقي، أشعر بشيء قاسٍ. الشيء الذي كان سائلاً في السابق يتجمد تماماً، وفي هذه اللحظة أعرف أن هذا هو.

هذا الاسم.

لقد قال كل شيء. لن أحظى بماضيه أبداً، لأنها تملكه.

لن أحصل على مستقبله أبداً، لأنه يرفض إعطائه لأي شخص غيرها.

ولن أعرف السبب أبداً، لأنه لن يخبرني.

بدأ في الانسحاب مني، لكنني شددت ساقني حوله. تنهد بقوة على خدي. «أقسم بالله يا تاي. لم أكن أفكر في—».

همست: «توقف». لا أريد أن أسمع تبريراً لما حدث حالاً.
«فقط انتهِ يا مايلز».

يرفع رأسه وينظر إليّ. أرى الاعتذار واضحاً مثل النهار، مختبئاً خلف دموع جديدة. لا أعرف ما إذا كانت كلماتي هي التي جرحته مرة أخرى أم حقيقة أننا نعلم أن هذا هو الحال، لكن يبدو أن قلبه قد انكسر مرة أخرى.
إذا كان هذا ممكناً.

تسقط دمعة من عينيه وتستقر على خدي. أشعر أنها تتدحرج وتندمج مع دموعي.
أريد أن ينتهي هذا فقط.

للفت يدي حول مؤخرة رأسه وسحبت فمه إلى فمي. لم يعد يتحرك بداخلي بعد الآن، لذلك قوّست ظهري، وضغطتُ بفخذي عليه بقوة أكبر. يئن في فمي ويتحرك مرة واحدة، ثم يتوقف مرة أخرى.

يقول فوق شفاهي: «تاي».

قلت له من خلال دموعي: «فقط انتهِ يا مايلز. فقط انتهِ».

يضع كفه على خدي ويضغط بشفتيه على أذني. كلانا يبكي بشدة الآن، وأستطيع أن أرى أنني أفعل ذلك أكثر. أعرف أنني كذلك. أشعر بمدى رغبته في أن يحبني، لكن ما يمنعه هو أكبر مما أستطيع التغلب عليه. أَلف ذراعي حول رقبته. أتوسل إليه: «من فضلك، أرجوك يا مايلز». أنا أبكي وأتوسل من أجل شيء ما، لكنني لا أعرف ما هو بعد الآن.

يندفع بداخلي. بقوة هذه المرة. بقوة لدرجة أنني ابتعدت عنه، فوضع ذراعيه تحت كتفي ورفع يديه إلى الأعلى، وثبتني في مقابله بينما يدفع نفسه داخلي مراراً. دفعات قوية وطويلة وعميقة تجبرنا على إطلاق الأنين مع كل حركة.

أتوسل: «بقوة».

يدفع بقوة أكبر.

«أسرع».

يتحرك أسرع.

كلانا يلهث من أجل التنفس بين دموعنا. إنها كثيفة. تفتقر القلب. مدمرة.

إنها قبيحة.

لقد انتهى.

بمجرد أن يصبح جسده بلا حراك فوق جسدي، أدفع كتفيه. يتدحرج عني. أجلس وأمسح عيني بيدي، ثم أقف وأرتدي سروالي الداخلي. أصابعه تلتف حول كاحلي. الأصابع نفسها التي التفت حول الكاحل نفسه في الليلة الأولى التي قابلته فيها.

يقول وصوته مليء بكل شيء: «تأيت». كل عاطفة تلتف حول كل حرف من اسمي وهو يخرج من فمه.

أبتعد عن قبضته.

مشيت نحو الباب، وما زلت أشعر به بداخلي. ما يزال طعم فمه في فمي، وما زلت أشعر بدموعه تلتف حول خدي.

أفتح الباب وأخرج.

أغلق الباب خلفي، وهذا أصعب شيء فعلته على الإطلاق.

لا أستطيع حتى السير ثلاثة أقدام إلى شقتي.

انهرت في الردهة.

أنا سائل.

أنا لا شيء سوى دموع.

الفصل الرابع والثلاثون

مايلز

قبل ست سنوات

ذهبنا إلى المنزل. لكن ليس منزلنا.

أرادت ريتشل ليزا. إنها تحتاج إلى أمها.

وأنا في أمس الحاجة إلى أبي.

كل ليلة أحتضنها. كل ليلة أقول لها أنا آسف. كل ليلة نبكي فقط.

لا أفهم كيف يمكن لشيء أن يكون مثاليًا جدًا. كيف يمكن للحياة والحب والناس أن يكونوا مثاليين وجميلين.

ثم لا يعودون كذلك. كل شيء قبيح.

الحياة قبيحة، وكذلك الحب والناس.

كل ذلك يصبح ماءً.

الليلة مختلفة. هذه الليلة هي الليلة الأولى منذ ثلاثة أسابيع التي لا تبكي فيها. لكني أحتضنها على أي حال. أريد أن أكون سعيداً لأنها لا تبكي، لكن هذا يخيفني. دموعها تعني أنها تشعر بشيء ما. حتى لو كان هذا الشيء هو الدمار، فإنه لا يزال شيئاً. ليس هناك أي دموع الليلة.

أنا أحتضنها على أي حال. أقول لها أنا آسف مرة أخرى.

لم تخبرني أبداً أنه لا بأس.

لم تخبرني أبداً أن هذا ليس خطأي.

لم تخبرني أبداً أنها تسامحني.

ومع ذلك، فإنها تُقبلني الليلة. تقبلني وتخلع قميصها. تقول لي أن أمارس الحب معها. أقول لها لا ينبغي لنا. أخبرها أنه من المفترض أن ننتظر أسبوعين آخرين. لكنها تقبلني لذلك سأتوقف عن الحديث.

أقبل ظهرها.
ريتشل تحبني مرة أخرى.
أظن ذلك.
إنها تقبلني وكأنها تحبني.
أنا لطيف معها.
متمهل.
إنها تلمس بشرتي وكأنها تحبني.
لا أريد أن أؤذيها.
إنها تبكي.
من فضلك لا تبكي يا ريتشل.
أتوقف.
تقول لي ألا أتوقف.
تقول لي أن أنتهي.
أنتهي!
لا أحب هذه الكلمة.
إنها تجعل من ممارسة الحب مجرد مهمة.
أقبلها مرة أخرى.
انتهيت.

مايلز،
كتبت ريتشل لي رسالة.
أنا آسفة.
لا.
لا أستطيع أن أفعل هذا، إنه يؤلمني كثيرًا.
لا لا لا.

ستعيدني أمي إلى فينيكس. سنبقى هناك. الأمر معقد للغاية، حتى بينهما. أبوك يعرف بالفعل.
كلايتون يجمع العائلات معاً.
ومايلز يمزقها.

حاولت البقاء. حاولت أن أحبك. لكن في كل مرة أنظر إليك، أراه.
كل شيء هو. إذا بقيت، كل شيء سيكون دائماً هو. أنت تعرف ذلك. أعلم أنك ستفهم. لا ينبغي لي أن ألومك.
لكنك تفعلين.
أنا آسفة جداً.

هل توقفت عن حبي برسالة يا ريتشل؟

مع حبي،
أنا أشعر به. كل الأجزاء القبيحة من الحب. إنه في مسامي. في عروقي. ذكرياتي.
مستقبلي.
ريتشل.

الفرق بين الجانب القبيح من الحب والجانب الجميل، هو أن الجانب الجميل أخف
بكثير. يجعلك تشعر وكأنك تطفو. إنه يرفعك. يحملك.
الأجزاء الجميلة من الحب ترفعك فوق بقية العالم. إنها ترفعك عاليًا فوق كل الأشياء
السيئة، وتجعلك تنظر باستخفاف إلى كل شيء آخر وتفكر، إنه أمر مذهس. أنا سعيد جداً
لوجودي هنا.

في بعض الأحيان تعود الأجزاء الجميلة من الحب إلى فينيكس.
الأجزاء القبيحة من الحب ثقيلة جداً بحيث لا يمكنها العودة إلى فينيكس. الأجزاء
القبيحة من الحب لا يمكنها أن ترفعك.

أنها تهوي بك إلى أسفل.

إنها تحتجزك بالأسفل.

تُغرقك.

تنظر إلى أعلى وتفكر، أتمنى لو كنت هناك.

لكنك لست كذلك.

الحب القبيح يصبح أنت.
يستهلكك.

يجعلك تكره كل شيء.

يجعلك تدرك أن كل الأجزاء الجميلة لا تستحق العناء. وبدون الجمال، لن تخاطر أبداً
بالشعور بهذا.

لن تخاطر أبداً للإحساس بالقبح.

لذلك تتخلي عن الحب. أنت تتخلي عن كل شيء. لن ترغب أبداً في الحب مرة أخرى،
بغض النظر عن نوعه، لأنه لن يكون هناك أي نوع من الحب يستحق أن تعيشه من خلال
الحب البشع مرة أخرى.

لن أسمح لنفسي أن أحب أحداً مرة أخرى يا ريتشل.
أبداً.

الفصل الخامس والثلاثون

تايت

قال كوربين وهو يلتقط الصندوقين المتبقين: «الحمولة الأخيرة». أعطى كوربين مفتاح بيتي الجديد: «سأقوم بجولة أخرى وأقابلك هناك». أفتح الباب لكوربين، فيخرج من الشقة. وقفتُ أحرق في الباب عبر الردهة. لم أره أو أتحدث معه منذ الأسبوع الماضي. لقد تمنيتُ بمنتهى الأمانة أن يأتي ويعتذر، لكن مرة أخرى، ما الذي سيعتذر عنه؟ لم يكذب علي قط لم يكسر أبداً أي وعود سبق وأن نطقها.

الأوقات الوحيدة التي لم يكن صادقاً فيها معي بوحشية، كانت الأوقات التي لم يتحدث فيها. في المرات التي نظر فيها إلي وافترضت أن المشاعر التي رأيتها في عينيه كانت أكثر مما كان قادراً على التعبير عنه لفظياً.

من الواضح الآن أنني اخترعت على الأرجح تلك المشاعر كي أطبقها مع مشاعري. من الواضح أن المشاعر العرضية التي كانت وراء عينيه عندما كنا معاً كانت من نسج مخيلتي. صورة من آمالي.

فحصت الشقة مرة أخيرة للتأكد من أنني حزمت كل شيء. عندما خرجت وأغلقت باب كوربين خلفي، سيطر على تحركاتي شيء لا أعرفه. لا أستطيع أن أعرف ما إذا كانت هذه شجاعة أم يأساً، لكن يدي تحولت إلى قبضة، وتلك القبضة تطرق بابه.

أقول لنفسي إنني حرة في الهروب إلى المصعد إذا مرت عشر ثوانٍ ولم يفتح الباب. ولسوء الحظ، فإنه يفتح بعد السابعة. تبدأ أفكارني حرباً مع المبررات عندما يفتح الباب على نطاق أوسع. قبل أن تفوز المبررات وأنطلق بعيداً، يظهر إيان عند المدخل. تتغير عيناه من الرضا إلى التعاطف عندما يراني أقف هنا.

قال متوجِّهاً اسمي بابتسامة: «تاييت». لاحظت تحول نظرتة نحو غرفة نوم مايلز قبل أن تقع عيناه على عيني. يقول: «دعيني أحضره لك».

أشعر أن رأسي يصعد، لكن قلبي يهبط، ويتقلص إلى أسفل صدري، عبر أحشائي، ومباشرة إلى الأرض.

سمعت إيان يقول: «تاييت عند الباب». أتفحص كل كلمة، كل مقطع لفظي، بحثاً عن أي دليل قد أجد. أريد أن أعرف إذا كان قد أدار عينيه عندما قال ذلك أو قالها بأمل. إن كان هناك شخص يعرف كيف سيشعر مايلز عندما يعرف أنني أقف في مدخل منزله، فهو إيان. لسوء الحظ، صوت إيان لا يعطي أي إشارة إلى ما قد يشعر به مايلز تجاه وجودي. أسمع خطي. أحلل صوت الخطي وهي تقترب من غرفة المعيشة. هل هي مسرعة؟ هل هي مترددة؟ هل هي غاضبة؟

عندما يصل إلى الباب، تقع عيني على قدميه أولاً.

لا أحصل على شيء منهما. لا توجد أدلة من شأنها أن تساعدني في العثور على الثقة التي أحتاجها بشدة في هذه اللحظة.

أستطيع أن أقول بالفعل إن كلماتي ستكون خسنة وضعيفة، لكنني أجبرها على ذلك على أي حال.

قلت وأنا لا أزال أحرق عند قدميه. «أنا راحلة. أردت فقط أن أقول وداعاً».

لا يوجد أي رد فعل فوري منه، جسدياً أو لفظياً. أخيراً قطعت عيني بشجاعة الرحلة إلى عينيه. أردت أن أتراجع عندما رأيت النظرة الحجرية على وجهه، لكنني خشيت أن أتعرش في قلبي.

لا أريده أن يشاهدني أسقط.

«وداعاً يا تاييت». رده الموجز، يجعل ندمي على اتخاذ قرار الطرق على بابه يتغذى عليّ.

الفصل السادس والثلاثون

مايلز

اليوم الحالي

وجدت عيناها أخيراً الشجاعة لملاقة عيني، لكنني أحاول ألا أراها. عندما أنظر إليها، فهذا كثير جداً. في كل مرة أكون معها، تجد عيناها وفمها وصوتها وابتسامتها كل نقطة ضعف يمكن اختراقها للاستيلاء علي. لإخضاعني. في كل مرة أكون بالقرب منها، يجب أن أقاوم ذلك، لذا أحاول ألا أراها بأي شيء آخر غير عيني هذه المرة.

تقول إنها هنا لتقول وداعاً، لكن هذا ليس سبب وجودها، وهي تعرف ذلك. إنها هنا لأنها وقعت في حبي، على الرغم من أنني أخبرتها ألا تفعل ذلك. إنها هنا لأنه لا يزال لديها أمل في أن أتمكن من حبها مرة أخرى.

أريد يا تاي. أريد أن أحبك كثيراً لدرجة الألم.

لا أُميّز صوتي عندما أقول لها وداعاً. يمكن إساءة تفسير قلة العاطفة وراء كلماتي بأنها كراهية. بعيدة تماماً عن اللامبالاة التي أحاول نقلها، وبعيدة عن صرخة البكاء التي تريد أن تخرج مني متوسلةً إليها ألا تذهب.

نظرتُ على الفور إلى قدميها. أستطيع أن أقول إن ردي الآن قتلها. لكنني أعطيتها ما يكفي من الأمل الزائف. في كل مرة أسمح لها بالاقتراب، أو لمها أكثر بكثير من محاولة دفعها بعيداً.

لكن من الصعب أن أشعر بالسوء تجاهها، لأن بقدر ما تتألم، فهي لا تعرف الألم. إنها لا تعرفه كما أعرفه. أنا أبقى الألم حياً. أحافظ عليه يعمل. أبقيه مزدهراً بقدر ما أستطيع.

تأخذ نفساً ثم تنظر إليّ بعيون أكثر احمراراً وأقل لمعاناً: «أنت تستحق أكثر بكثير مما تسمح لنفسك بالحصول عليه». تقف على أطراف أصابع قدميها وتضع يديها على كتفي، ثم تضغط بشفتيها على خدي. «وداعاً يا مايلز». تستدير وتوجه نحو المصعد، في الوقت الذي يخرج فيه كوربين لمقابلتها. أراها ترفع إحدى يديها لتمسح دموعها.

أشاهدها وهي تتبعد. أغلقت بابي، متوقفاً أن أشعر بأدنى موجة من الارتياح لأنني تمكنت من السماح لها بالرحيل. وبدلاً من ذلك، وجدت الإحساس المؤلف الوحيد الذي يعرفه قلبي: الألم.

قال إيان وهو واقفٌ خلفي: «أنت أحرق لعين». استدرت، وكان يجلس على ذراع الأريكة، ويحدق بي. «لماذا لا تذهب وراءها؟». لأنني يا إيان، أكره هذا الشعور. أكره كل إحساس تثيره في داخلي، لأنها تملأني بكل الأشياء التي قضيت السنوات الست الماضية أحاول تجنبها.

أسأل وأنا أتجه نحو غرفتي: «لماذا أفعل ذلك؟». أتوقف عن السير مع الطرق على باب منزلي. أزر نفسي محبطاً قبل أن أعود إلى الباب، لا أريد أن أضطر إلى إبعادها للمرة الثانية. ومع ذلك سأفعل. حتى لو اضطررت إلى توضيح ذلك بعبارات ستؤذيها أكثر، فهي بحاجة إلى قبول حقيقة أن الأمر قد انتهى. لقد تركت الأمر يذهب بعيداً جداً. يا إلهي، لم يكن ينبغي لي أن أسمح للأمر أن يبدأ، مع معرفتنا أنه من المرجح أن ينتهي بهذه الطريقة.

أفتح الباب وأجد كوربين في مرمى بصري بدلاً من تاي. أود أن أشعر بالارتياح لحقيقة أنه يقف هنا بدلاً منها، لكن نظرة الغضب على وجهه تجعل من المستحيل الشعور بالارتياح. قبل أن أتمكن من الرد، وصلت قبضته إلى فمي، وتعثرت للخلف نحو الأريكة. منع إيان سقوطي، وثبت نفسي قبل أن أتوجه نحو الباب مرة أخرى.

يصرخ إيان: «ما هذا بحق الجحيم يا كوربين؟». إنه يحجزني عنه، على افتراض أنني أريد الانتقام.

أنا لا أريد. أنا أستحق ذلك.

ينقل كوربين نظراته بيننا، إلى أن استقرت عيناه في النهاية علي. يرفع قبضته نحو صدره ويفركها بيده الأخرى: «نعلم جميعاً أنه كان علي فعل ذلك منذ وقت طويل». أمسك بمقبض الباب وأغلقه، ثم اختفى عائداً إلى الردهة.

أفلت من قبضة إيان ورفعت يدي إلى شفتي. أسحب أصابعي إلى الخلف، وإذا بها ملطخة بالدماء.

يقول إيان بتفأؤل: «ماذا عن الآن؟ هل ستلاحقها الآن؟». نظرت إليه قبل أن أتجه نحو غرفة نومي. إيان يضحك بصوت عالٍ. هذا النوع من الضحك الذي يقول: أنت أحمق لعين. لكنه قالها بالفعل، لذا فهو يكرر نفسه نوعاً ما.

يتبعني إلى غرفة نومي.

أنا حقاً لست في مزاج لهذه المحادثة. من الجيد أنني أعرف كيف أنظر إلى الناس دون أن أراهم فعلياً. جلست على سريري، فدخل غرفتي واستند إلى الباب: «لقد سئمت من هذا يا مايلز. ست سنوات لعينة أشاهد هذا الزومبي وهو يتجول في الأرجاء بدلاً منك».

أقول بصراحة: «أنا لست زومبي. الزومبي لا يستطيع الطيران».

أدار إيان عينيه في محجريهما، ومن الواضح أنه ليس في مزاج يسمح بالنكات. شيء جيد، لأنني لست في مزاج أيضاً لفعل ذلك.

استمر في التحديق بي، لذلك التقطت هاتفي واستلقيت على السرير لأتظاهر بأنه ليس هنا.

«إنها أول شيء يعيد الحياة إليك منذ الليلة التي غرقت فيها في تلك البحيرة اللعينة».

سوف أؤذيه. إذا لم يغادر حالاً، فسوف أؤذيه.

«اخرج».

«لا».

أنظر إليه. أراه: «اخرج بحق الجحيم يا إيان».

يمشي نحو مكتبي، ويسحب الكرسي، ويجلس عليه. يقول: «سُحَقاً لك يا مايلز. أنا لم أنته

بعد».

«اخرج!».

«لا!».

أتوقف عن الشجار معه. أنهض وأخرج بنفسي.

يتبعني. قال وهو يرافقني إلى غرفة المعيشة: «دعني أطرح عليك سؤالاً واحداً».

«وبعد ذلك سوف تخرج!».

يومي: «وبعد ذلك سأخرج».

«حسناً».

ينظر إلي بصمت لبضع لحظات.

أنتظر سؤاله بفارغ الصبر حتى يتمكن من المغادرة قبل أن أؤذيه.

«ماذا لو أخبرك شخص ما أن بإمكانه محو تلك الليلة بأكملها من ذاكرتك، ولكن لفعل ذلك، عليه أيضاً محو كل شيء جيد. كل اللحظات مع ريتشل. كل كلمة، كل قبلة، كل اعتراف بالحب. كل لحظة قضيتها مع ابنك، مهما كانت قصيرة. اللحظة الأولى التي رأيت فيها ريتشل تحمله. اللحظة الأولى التي احتضنته فيها. المرة الأولى التي سمعته يبكي فيها أو شاهدته وهو نائم. كله. سيذهب إلى الأبد. إذا أخبرك شخص ما أنه بإمكانك التخلص من الأشياء القبيحة، لكنك ستفقد كل الأشياء الجميلة أيضاً... هل ستفعل ذلك؟».

يعتقد أنه يسألني شيئاً لم أسأله لنفسي من قبل. هل يعتقد أنني لا أجلس وأتساءل عن هذه الأشياء كل يوم في حياتي؟

«لم تقل إنه يجب أن أجيب عن سؤالك. لقد سألت للتو إذا كان بإمكانك أن تسأل ذلك. يمكنك المغادرة الآن».

أنا أسوأ نوع من البشر.

يقول: «أنت لا تستطيع الإجابة عنه. لا يمكنك أن تقول نعم».

أقول له: «أنا أيضاً لا أستطيع أن أقول لا. تهانينا يا إيان. لقد أربكتني. وداعاً».

هممت بالعودة إلى غرفتي، لكنه قال اسمي مرة أخرى. توقفت واضعاً يدي على فخذي، مسقطاً رأسي. لماذا لا يتوقف عن ذلك؟

لقد مرت ست سنوات لعينة. يجب أن يعرف أن تلك الليلة جعلتني ما أنا عليه الآن.

يجب أن يعرف أنني لن أتغير.

يقول: «لو كنت سألتك ذلك قبل بضعة أشهر، لكنت أجبت بنعم حتى قبل أن يخرج السؤال من فمي. كانت إجابتك دائماً نعم. كنت ستتخلى عن أي شيء حتى لا تضطر إلى عيش تلك الليلة من جديد».

استدرت وهو يتجه نحو الباب. يفتحه، ثم يتوقف ويواجهني مرة أخرى: «إذا كان البقاء مع تايت لبضعة أشهر قصيرة يمكن أن يجعل هذا الألم محتملاً بما يكفي لتجيب عنه، فتخيل ما يمكن أن يفعله العمر معها».

يغلق الباب.

أغمض عيني.

شيء ما يحدث. شيء بداخلي. يبدو الأمر كما لو أن كلماته أحدثت انهياراً في الجليد الذي يحيط بقلبي. أشعر بقطع من الجليد المتصلب تنكسر وتسقط بجانب كل القطع الأخرى التي انفصلت منذ اللحظة التي التقيت فيها بتايت.

خرجت من المصعد وسرت نحو الكرسي الفارغ بجوار كاب. إنه يحرق عبر الردهة باتجاه المخرج، ولا يتواصل بصرياً معي وكأنه غير معني بوجودي. يقول، دون أن يحاول إخفاء خيبة الأمل في صوته: «لقد تركتها تذهب». لا أرد.

يدفع ذراعي كرسيه بيديه، ويعيد وضع نفسه.

«بعض الناس... يصبحون أكثر حكمة مع تقدمهم في السن. ولسوء الحظ، فإن معظم الناس يتقدمون في السن فقط». يستدير لمواجهتي: «أنت واحد من الأشخاص الذين تقدموا في السن فقط، لأنك ما زلت غيباً كما كنت يوم ولادتك».

يعرفني كاب جيداً بما يكفي ليعرف أن هذا ما كان يجب أن يحدث. لقد عرفني طوال حياتي. بعد أن عمل في صيانة مباني أبي السكنية من قبل ولادتي. وقبل ذلك كان يعمل لدى جدي العمل نفسه. وهذا يعني إلى حد كبير أنه يعرف عني وعن عائلتي أكثر مما أعرفه. قلت: «كان لا بد من حدوث ذلك يا كاب، أشعر بالأسف لحقيقة أنني سمحت للفتاة الوحيدة التي تمكنت من الوصول إلي منذ أكثر من ست سنوات بالرحيل». يتذمر: «كان يجب أن يحدث، هاه؟».

طوال معرفتي به وطوال الليالي التي قضيتها هنا أتحدث معه، لم يعطني أبداً رأياً بشأن القرارات التي اتخذتها. إنه يعرف الحياة التي اخترتها بعد ريتشل. عادة ما يحكي قصصاً بها كثير من الحكمة، لكن لا يقول رأيه أبداً. لقد استمع إلي طوال عدة أشهر وأنا أنفَس عن وضعي مع تايت، وكان دائماً يجلس بهدوء، ويستمع بصبر، ولم يقدم لي أي نصيحة أبداً. وهذا ما يعجبني فيه.

أشعر أن كل هذا على وشك التغير. قاطعته وقلت قبل أن تتاح له الفرصة للمتابعة: «قبل أن تعطيني محاضرة يا كاب، أنت تعلم أنها أفضل من دوني». التفتُ وواجهته. «أنت تعلم أنها كذلك».

يضحك كاب، ويومئ برأسه: «هذا أمر مؤكد لعين».

أنظر إليه بعدم تصديق. هل وافقني للتو؟

«هل تقول إنني اتخذت القرار الصحيح؟».

صمت للمحظة قبل أن يطلق نفساً سريعاً. يمتقع وجهه كما لو أن أفكاره ليست شيئاً يريد بالضرورة مشاركته. يسترخي على كرسيه ويطوي ذراعيه دون إحكام على صدره: «سبق وأن أخبرت نفسي ألا أتدخل أبداً في مشكلاتك يا فتى، لأنه لكي يقدم الرجل نصيحة، فمن الأفضل له أن يعرف ما الذي يتحدث عنه فعلاً بحق الجحيم. ويعلم الرب أنني طوال ثمانين عاماً من عمري لم أواجه شيئاً مثل ما مررت به. لا أعرف ما كان عليه الأمر في أوله، أو ما الذي فعله بك. مجرد التفكير في تلك الليلة يجعل أحشائي تؤلمني، لذلك أعلم أنك تشعر بذلك في أحشائك أيضاً، وقلبك، وعظامك، وروحك».

أغمض عيني، وأتمنى أن أتمكن من إغلاق أذني بدلاً من ذلك. لا أريد أن أسمع هذا.

«لا أحد ممن حولك يعرف ما تشعر به أنت. لا أنا، لا أبوك، ولا أصدقاؤك، ولا حتى تاي. هناك شخص واحد فقط يشعر بما تشعر به. شخص واحد فقط يتألم مثلما تتألم. هناك والد آخر فقط لذلك الطفل الذي فقدته، يفتقده بالطريقة نفسها التي تفتقده بها أنت».

عيناى مغمضتان بإحكام الآن، وأبذل كل ما في وسعي لاحترام المحادثة حتى النهاية، لكن الأمر يتطلب كل ما لدي حتى لا أنهض وأبتعد. ليس لديه الحق في إقحام ريتشل في هذه المحادثة.

يقول بهدوء: «مايلز». هناك إصرار في صوته، وكأنه يحتاج مني أن آخذه على محمل الجد. وهو ما أفعله دائماً: «أنت تعتقد أنك سلبت تلك الفتاة فرصة السعادة، وإلى أن تواجه ذلك الماضي، فلن تمضي قدماً أبداً. ستعيش ذلك اليوم كل يوم حتى يوم وفاتك، إلا إذا ذهبت لترى بأم عينيك أنها بخير. حينها ربما ترى أنه لا بأس في أن تكون سعيداً أيضاً».

أميل إلى الأمام وأضع يدي على وجهي، ثم أضع مرفقي على ركبتي وأنظر إلى الأسفل. أشاهد دمة واحدة تسقط من عيني وتسقط على الأرض تحت قدمي. أهمس: « وماذا سيحدث إذا لم تكن بخير؟ ». يميل كاب إلى الأمام ويشبك يديه بين ركبتيه. التفت ونظرت إليه، ورأيت الدموع في عينيه لأول مرة منذ أربعة وعشرين عاماً عرفته خلالها: «أعتقد أن لا شيء سيتغير. يمكنك الاستمرار في الشعور وكأنك لا تستحق الحياة لأنك دمرت حياتها. يمكنك الاستمرار في تجنب كل ما قد يجعلك تشعر بعاطفة مرة أخرى». يميل نحوي ويخفض صوته: «أعلم أن فكرة مواجهة ماضيك تخيفك. إنه أمر يخيف كل رجل. لكن في بعض الأحيان لا نفعل ذلك من أجل أنفسنا. نحن نفعل ذلك من أجل الأشخاص الذين نحبهم أكثر من أنفسنا».

الفصل السابع والثلاثون

ريتشل

أنادي: «براد! شخصٌ ما عند الباب!». أمسك بمنشفة الأطباق وأجفف بها يدي.
قال وهو يمر عبر المطبخ: «حسنًا». أجرد المطبخ سريعًا للتأكد من عدم وجود أي شيء
يمكن أن تنتقده أُمِّي. الطااولات نظيفة. الأرضيات نظيفة.
احضري يا أُمِّي.

يقول براد لمن يقف على الباب: «انتظر هنا».

انتظر هنا؟

براد لن يقول ذلك لأُمِّي.

قال براد من مدخل المطبخ: «ريتشل». استدرت لمواجهته، وشعرت بالتوتر على الفور.
النظرة على وجهه نادرًا ما أراها. إنها نظرة تهئية. عندما يكون على وشك أن يخبرني بشيء لا
أريد سماعه أو بشيء يخشى أن يؤذيني. أفكاري تتجه مباشرةً إلى أُمِّي، وأشعر بالقلق.

همست: «براد، ما هذا؟»، واستندت إلى المنضدة بجانبني. يغمرنني الخوف المألوف الذي
كان يعيش ويتنفس بداخلي، لكنه لم يعد يستحوذ علي إلا في بعض الأحيان.

كما هو الحال الآن، عندما يكون زوجي خائفًا جدًّا من إخباري بشيء لست متأكدة من
أنني أريد سماعه. يقول: «شخص ما هنا لرؤيتك». لا أعرف أي شخص يمكن أن يجعل
براد يشعر بالقلق كما هو الآن. «من؟».

يمشي نحوي ببطء ويضع وجهي بين يديه. ينظر في عيني كما لو كان يحاول أن يهيني
للسقوط: «إنه مايلز».

لا أتحرك.

لا أتهاوى، لكن براد يسندني على كل حال. يلف ذراعيه من حولي ويسحبني إلى صدره.
صوتي يرتجف: «لماذا هو هنا؟».

يهز براد رأسه: «لا أعرف». يبتعد وينظر إليّ: «سأطلب منه المغادرة إذا أردتِ مني ذلك». هزرت رأسي على الفور. لن أفعل ذلك به. ليس بعد أن جاء طوال الطريق إلى فينيكس.

ليس بعد ما يقرب من سبع سنوات.

«هل تحتاجين إلى بضع دقائق؟ أستطيع أن آخذه إلى غرفة المعيشة».

أنا لا أستحق هذا الرجل. لا أعرف ماذا سأفعل بدونه. إنه يعرف تاريخي مع مايلز. إنه يعرف كل ما مررنا به. استغرق الأمر مني بعض الوقت حتى تمكنت من إخباره بالقصة بأكملها. إنه يعرف كل هذا، ولا يزال واقفاً هنا، يعرض علي دعوة الرجل الآخر الوحيد الذي أحببته إلى منزلنا.

أقول له: «أنا بخير». مع أنني لست كذلك. لا أعرف إذا كنت أريد رؤية مايلز. ليس لدي أي فكرة عن سبب وجوده هنا: «هل أنت بخير؟».

يومي بالإيجاب: «إنه يبدو مستاءً. أعتقد أنه يجب عليكِ التحدث معه». ينحني ويقبلني على جبهتي: «إنه في الردهة. سأكون في مكثبي إذا كنت في حاجة لي».

أومي برأسي، ثم أقبله. أقبله بشدة.

يبتعد، بينما أقف بصمت في المطبخ، قلبي ينبض بطريقة متقطعة داخل صدري. آخذ نفساً عميقاً، لكنه لا يفعل شيئاً لتهدئتي. أنزل أكمام قميصي، وأسير نحو الردهة.

يعطيني مايلز ظهره، لكنه يسمعي عند الزاوية. فيدير رأسه قليلاً فوق كتفه، كما لو كان خائفاً من الالتفاف والنظر إلي، كما أنا خائفة من رؤيته.

يفعل ذلك باحتراس. ببطء. وفجأة أصبحت عينا في عينيه.

أعلم أن ست سنوات قد مرت، لكنه تغير تماماً بطريقة أو أخرى دون أن يتغير على الإطلاق خلال تلك السنوات الست. إنه لا يزال مايلز، لكنه رجل الآن. هذا يجعلني أتساءل عما يراه في، فهذه المرة الأولى التي ينظر فيها إلي منذ اليوم الذي تركته فيه.

يقول وهو يسير بحذر: «مرحباً». صوته مختلف. لم يعد صوت المراهق بعد الآن.

«أهلاً».

يشيح بنظره عني بينما تتجول عينا حول الردهة. يتجول ببصره في منزلي. منزل لم أتوقع أن أراه فيه أبداً. كلانا يقف في صمت لمدة دقيقة كاملة. ربما اثنان.

نظر إلي مرة أخرى: «ريتشل، أنا... لا أعرف لماذا أنا هنا».
أنا أعرف.

أستطيع أن أرى ذلك في عينيه. لقد تعرفت إلى تلك العيون جيداً عندما كنا معاً. كنت أعرف كل أفكاره. كل مشاعره. لم يكن قادراً على إخفاء ما يشعر به، لأنه يشعر للغاية، بكل جوارحه.

إنه هنا لأنه يحتاج إلى شيء ما. لا أعرف ما هو. ربما إجابات؟ خاتمة؟ أنا سعيدة لأنه انتظر حتى الآن للحصول عليها، لأنني أعتقد أنني مستعدة أخيراً لمنحه إياها.
أقول له: «من الجيد رؤيتك».

أصواتنا ضعيفة وخجولة. من الغريب أن ترى شخصاً لأول مرة في ظروف مختلفة عن وقت فراقك.

أحببت هذا الرجل. أحببته من كل قلبي وروحي. لقد أحببته كما أحب براد.
أنا أيضاً كرهته.

قلت وأنا أشير إلى غرفة المعيشة: «تفضل بالدخول. دعنا نتحدث».
يخطو خطوتين مترددتين نحو غرفة المعيشة. التفت وتركته يتبعني.
نجلس على الأريكة. لا يشعر بالراحة. يجلس على حافة الأريكة ويميل إلى الأمام، ويريح مرفقيه على ركبتيه. إنه ينظر حوله، ويتجول ببصره في منزلي مرة أخرى. في حياتي.
أقول: «أنت شجاع». ينظر إلي وينتظر مني أن أستمري: «لقد فكرت في هذا يا مايلز. في رؤيتك مرة أخرى. أنا فقط...» أنظر للأسفل: «لم أستطع».
يقول على الفور تقريباً: «ولم لا؟».

نظرت في عينيه مرة أخرى: «للسبب نفسه الذي منعك. لا نعرف ماذا نقول».
يبتسم، لكنها ليست ابتسامة مايلز التي كنت أحبها. هذا الشخص محاط بالدروع، وأتساءل عما إذا كنت قد فعلت هذا به. لو أنني المسؤولة عن كل الأجزاء الحزينة منه. وهناك الكثير من الأجزاء الحزينة منه الآن.

التقط صورة لي وبراد من على طرف الطاولة. تتفحص عيناه الصورة التي بين يديه للحظة: «هل تحببته؟». سأل وهو يواصل التحديق في الصورة: «كما أحببتي؟». إنه لا يسأل بطريقة

مريرة أو غيورة. إنه يسأل بطريقة غريبة.
أجيب: «نعم، بالقدر نفسه».

يعيد الصورة مرة أخرى إلى طرف الطاولة، لكنه يستمر في التحديق بها.
همس: «كيف؟ كيف فعلت ذلك؟».

كلماته تدمع عيني، لأنني أعرف بالضبط ما يطلبه مني. لقد سألت نفسي هذا السؤال عدة سنوات، حتى التقيت ببراد. لم أكن أعتقد أنني سأتمكن من حب شخص ما مرة أخرى. لم أكن أعتقد أنني أريد أن أحب شخصاً ما مرة أخرى. لماذا يريد أي شخص أن يضع نفسه في موقف يمكن أن يعيد نوع الألم الذي يجعل الشخص يحسد الموت؟
«أريد أن أريك شيئاً يا مايلز».

أقف وأمد يدي. يراقب يدي بحذر للحظة قبل أن يصل إليها أخيراً. تنزلق أصابعه من خلال يدي، ويضغط على يدي وهو واقف. اتجهت نحو غرفة النوم، وهو يتبعني عن كثب. وصلنا إلى باب غرفة النوم، وتوقفت أصابعي على مقبض الباب. قلبي ثقيل. تظهر المشاعر وكل ما مررنا به على السطح، لكنني أعلم أنه يجب السماح لها بالظهور إذا كنت أرغب في مساعدته. دفعت الباب لأفتحه ودخلت، وسحبت مايلز خلفي.
بمجرد أن دخلنا الغرفة، شعرت بأصابعه تضغط على يدي. يهمس «ريتشل». صوته يتوسل لي ألا أفعل هذا. أشعر أنه يحاول التراجع نحو الباب، لكنني لا أسمح له بذلك. أجعله يسير معي إلى مهدها.

إنه يقف بجانبني، لكنني أشعر به يكافح لأنه لا يريد أن يكون هنا الآن.
يضغط على يدي بقوة لدرجة أنني أشعر بالألم في قلبه. أطلق أنفاساً سريعة وهو ينظر إليها. أرى أثر ابتلاع ريقه في حلقه، ثم ينفخ نفساً ثابتاً آخر.
أشاهد يده الحرة تأتي وتمسك بحافة مهدها بقوة مثل اليد الملتفة حول يدي. همس: «ما اسمها؟».

«كلير».

جسده كله يتفاعل مع ردي. تبدأ كتفاه بالارتعاش على الفور، ويحاول أن يحبس أنفاسه، لكن لا شيء يمكن أن يوقفه. لا شيء يمكن أن يمنعه من الشعور بما يشعر به، لذلك أسمح

له أن يشعر بذلك. يسحب يده من يدي ويغطي فمه ليخفي اندفاع الهواء السريع المنطلق من رثيته. يستدير ويخرج بسرعة من الغرفة. أتبعه بالسرعة نفسها، وفي الوقت المناسب لأرى ظهره يصطدم بجدار الردهة المقابل لغرفتها. ينزلق على الأرض، وتبدأ الدموع في الانهمار بقوة.

لا يحاول إخفاء دموعه. يسحب يديه من خلال شعره، ويسند رأسه إلى الخلف على الحائط وينظر إلي. «هذه...»، يشير إلى غرفة كلير ويحاول التحدث، لكن الأمر يتطلب منه عدة محاولات لإخراج الجملة.

قال أخيراً وهو ينفث أنفاساً غير مستقرة: «هذه أخته. لقد منحته أختاً يا ريتشل». نزلت على الأرض بجواره، ولففت ذراعي حول كتفيه، ومسدت شعره بيدي الأخرى. يضع كفيه على جبهته ويغمض عينيه ويبكي بهدوء.

لا أحاول حتى إخفاء الدموع في صوتي: «مايلز. انظر إليّ». يسند رأسه إلى الخلف على الحائط، لكنه لا يستطيع أن ينظر في عيني: «أنا آسفة لأنني لُمتك. أنت أيضاً فقدته. لم أكن أعرف كيف أتعامل مع الأمر آنذاك».

كلماتي تحطمه تماماً، ويُشعرني بالذنب لأنني تركت ست سنوات تمر دون أن أسمح له بسماع تلك الكلمات. ينحني ويحيطني بذراعيه بإحكام ويسحبني إليه. سمحت له أن يحتضني.

يحتضني لفترة طويلة، حتى نستوعب كل الاعتذارات والمغفرة، ونصبح نحن فقط مرة أخرى. بلا دموع.

سأكون كاذبةً إذا قلت إنني لم أفكر أبداً فيما فعلته به. أفكر في ذلك كل يوم. لكنني كنت في الثامنة عشرة من عمري ومدمرة تماماً، ولم يعد أي شيء بعد تلك الليلة يهمني. لا شيء.

أردت فقط أن أنسى، في كل صباح كنت أستيقظ فيه ولا أشعر بكلايتون بجانبني، كنت ألوّم مايلز. لقد ألقيت اللوم عليه لأنه أنقذني، لأنه لم يعد لدي أي سبب للعيش. كنت أعلم أيضاً في قلبي أن مايلز فعل ما في وسعه. كنت أعلم في قلبي أن ذلك لم يكن خطأه أبداً، لكن في تلك المرحلة من حياتي، لم أكن قادرة على التفكير العقلاني أو حتى التسامح. في تلك

المرحلة من حياتي، كنت مقتنعة بأنني لن أكون قادرة على فعل أي شيء على الإطلاق سوى الشعور بالألم.

لم تتزعزع هذه المشاعر أبداً لأكثر من ثلاث سنوات.

حتى اليوم الذي التقيت فيه ببراد.

لا أعرف من لدى مايلز، لكن الصراع المألوف في عينيه يؤكد أن هناك شخصاً ما. اعتدت أن أرى الصراع المحتمل نفسه في كل مرة أنظر فيها إلى المرأة، وأنا لا أدري إذا كان لدي القدرة على الحب مرة أخرى.

سألته: «هل تحبها؟». لا أحتاج أن أعرف اسمها. لقد تجاوزنا ذلك الآن. أعلم أنه ليس هنا لأنه ما زال يحبني. إنه هنا لأنه لا يعرف كيف يحب على الإطلاق.

تنهد ووضع ذقنه على رأسي: «أنا خائف من أنني لن أتمكن من ذلك».

يقبل مايلز قمة رأسي، وأغمضت عيني. أستمع إلى دقات قلبه داخل صدره. القلب الذي يدعي أنه غير قادر على معرفة كيف يحب، لكنه في الواقع قلب يحب أكثر من اللازم. لقد أحب كثيراً، ثم سلبت منا ليلة واحدة كل هذا. غيرت عوالمنا. وتغير قلبه.

قلت له: «كنت أبكي طوال الوقت. طوال الوقت. في الحمام. في السيارة. في سريري. في كل مرة كنت بمفردي، كنت أبكي. في أول عامين، كانت حياتي عبارة عن حزن مستمر، لا يخترقه شيء. ولا حتى اللحظات الجيدة».

أشعر بذراعيه تلتفان حولي بقوة، ويخبرني بصمت أنه يعرف. إنه يعرف بالضبط ما أتحدث عنه. «ثم التقيت ببراد، عندها وجدت نفسي أعيش تلك اللحظات القصيرة، إذ لم تكن حياتي حزينة في كل ثانية من اليوم. كنت أذهب معه إلى مكان ما بالسيارة، وأدرك أنها المرة الأولى لي في السيارة دون أن أذرف دمعة واحدة على الأقل. الليالي التي كنا نقضيها معاً كانت الليالي الوحيدة التي لم أبك فيها حتى أنام. ولأول مرة، كُسر هذا الحزن الذي لا يمكن اختراقه والذي أصابني، بسبب اللحظات الجيدة القصيرة التي قضيتها مع براد».

أتوقف عن الكلام، أحتاج للحظة. لم أضطر إلى التفكير في هذا الأمر منذ فترة، وكان هذه المشاعر والأحاسيس جديدة جداً. حقيقة للغاية. ابتعدت عن مايلز وأسندت ظهري إلى

الحائط، ثم أسندت رأسي على كتفه. مال رأسه حتى استقر على رأسي، ثم أمسك يدي وشبك أصابعنا.

«بعد فترة، بدأت ألاحظ أن اللحظات الجميلة مع براد بدأت تتفوق على كل الحزن. الحزن الذي كان حياتي أصبح لحظات، وسعادتي مع براد أصبحت حياتي». أشعر به وهو يتنفس، وأعلم أنه يعرف ما أتحدث عنه. أعلم أنه أياً كانت، فقد قضى تلك اللحظات الجيدة معها.

«طوال الأشهر التسعة التي كنت فيها حاملاً بكبير، كنت خائفة للغاية من أنني لن أتمكن من البكاء فرحاً عندما أراها. بعد ولادتها مباشرة، سلموها لي، تماماً كما فعلوا عندما ولدت كلايتون. لقد بدت كلير مثله تماماً يا مايلز. مثله. كنت أحرق بها، وأحملها بين ذراعي، وكانت الدموع تسيل على خدي. لكنني كنت أبكي دموعاً غزيرة، وأدركت في تلك اللحظة أنها كانت أول دموع سعادة بكيته منذ اليوم الذي حملت فيه كلايتون بين ذراعي». مسحت عيني وتركت يده ثم رفعت رأسي عن كتفه.

أقول له: «أنت تستحق ذلك أيضاً. أنت تستحق أن تشعر بذلك مرة أخرى». يومئ ويقول: «أريد أن أحبها كثيراً يا ريتشل»، قال وهو ينفث الكلمات كما لو أنها كانت مكبوتة منذ الأزل: «أريد ذلك معها كثيراً. أنا فقط خائف من أن بقية الأمر لن يختفي أبداً». «الألم لن يختفي أبداً يا مايلز. أبداً. ولكن إذا سمحت لنفسك أن تحبها، فلن تشعر بذلك إلا في بعض الأحيان، بدلاً من أن تسمح له باستهلاك حياتك بأكملها».

يلف ذراعه حولي ويسحب جبهتي نحو شفتيه. قبلي طويلاً وبقوة قبل أن ينسحب. أوماً برأسه، وأخبرني أنه يفهم ما أحاول أن أشرحه له.

أقول: «لقد تمكنت من هذا يا مايلز»، مكررةً الكلمات نفسها التي كان يريحي بها: «لقد تمكنت من ذلك». يضحك، وأشعر أن بعض الثقل ينزاح عنه.

سأل: «هل تعلمين ما أكثر شيء كنت خائفاً منه الليلة؟ كنت أخشى عندما وصلت إلى هنا، أن أجدك مثلي تماماً». يمشط شعري إلى الخلف ويبتسم.

«أنا سعيد جداً لأنك لست كذلك. إنه لمن دواعي سروري أن أراك سعيدة».

يسحبني إليه ويعانقني بقوة. ثم همس قائلاً: «شكراً لك يا ريتشل».

قبلني بلطف على خدي قبل أن يتركني لأقف: «ربما ينبغي لي أن أذهب الآن. لدي مليون شيء أريد أن أخبرها به».

يشق طريقه عبر الردهة باتجاه غرفة المعيشة، ثم يستدير لمواجهةي للمرة الأخيرة. لم أعد أرى كل الأجزاء الحزينة منه. الآن عندما أنظر في عينيه أرى الهدوء فقط. توقف وراقبني بصمت للحظة. ثم بدأت ابتسامة هادئة تنتشر ببطء عبر وجهه: «أنا فخور بك جداً يا ريتشل».

يختفي من الردهة، وأظل أنا على الأرض حتى أسمع صوت الباب الأمامي يُغلق خلفه. أنا فخورة بك أيضاً يا مايلز.

الفصل الثامن والثلاثون

تايت

أغلق باب سيارتي وأمشي إلى الدرج المؤدي إلى الطابق الثاني في مجمع سكني. أشعر بالارتياح لعدم اضطراري إلى استخدام المصعد بعد الآن، لكن لا يسعني إلا أن أفتقد كاب قليلاً، حتى لو لم تكن نصيحته منطقية تماماً بالنسبة لي في معظم الأوقات. كان من الجميل وجوده هناك للتنفيس عني. لقد كنت أشغل نفسي بالعمل والمدرسة، وأحاول أن أحافظ على تركيزي، لكن الأمر كان صعباً.

لقد كنت في شقتي الجديدة منذ أسبوعين، ومع أنني أتمنى أن أكون وحدي، فإنني لم أفعل ذلك أبداً. في كل مرة أدخل فيها من الباب الأمامي، مايلز لا يزال في كل مكان. إنه لا يزال في كل شيء، وأنا أنتظر حتى لا يكون كذلك. أظل أنتظر اليوم الذي لا أفتقده كثيراً، حينها سيكون فيه الألم أقل.

أود أن أقول إن قلبي مكسور، لكنه ليس كذلك. أنا لا أعتقد أنه كذلك. في الواقع، لا أعرف، لأن قلبي لم يكن في صدري منذ أن تركته أمام شقته يوم الوداع. أقول لنفسي أن أتعامل مع الأمر يوماً بيوم، لكن القول أسهل بكثير من الفعل. خاصة عندما تتحول تلك الأيام إلى ليالٍ، وأضطر إلى الاستلقاء في سريري وحدي، مستمعاً إلى الصمت. لم يكن الصمت عالياً أبداً حتى قلت لمايلز وداعاً.

لم أتمكن حتى من الوصول إلى منتصف الدرج بعد، لكنني أخشى بالفعل أن أفتح باب شقتي. أستطيع أن أقول بالفعل إن هذه الليلة لن تكون مختلفة عن كل الليالي الأخرى منذ مايلز. وصلت إلى أعلى الدرج واستدرت يساراً نحو شقتي، لكن قدمي تخشبت. ساقاي توقفتا عن العمل.

أستطيع أن أشعر بضربات قلبي في مكان ما في صدري مرة أخرى للمرة الأولى منذ أسبوعين.

«مايلز؟».

إنه لا يتحرك. يجلس على الأرض أمام شقتي، مستنداً إلى الباب. أسير ببطء نحوه، غير متأكدة من وجوده. إنه ليس بالزبي الرسمي. يرتدي ملابس عادية، واللحية النابتة وجهه تُثبت أنه لم يعمل منذ بضعة أيام. هناك أيضاً ما يشبه كدمة جديدة تحت عينه اليمنى. أنا خائفة من إيقاظه، لأنني لا أريد التعامل معه إذا كان عدوانياً كما كان في المرة الأولى التي التقيته فيها. لكن مرة أخرى، لا يمكنني الالتفاف حوله ودخول شقتي دون إيقاظه.

أنظر إلى الأعلى وأخذ نفساً عميقاً، وأتساءل ماذا أفعل. أخشى لو أيقظته، أن أستسلم. سأسمح له بالدخول، وسأعطيه ما هو هنا من أجله، وهو بالتأكيد ليس الجزء الذي أريد أن أعطيه إياه.

يقول: «تأيت». نظرت إليه، إنه مستيقظ الآن، يسحب نفسه إلى أعلى، ويراقبني بتوتر. أراجع خطوة إلى الوراء عندما يقف، لأنني نسيت طوله. كيف يصبح كل شيء عندما يقف أمامي مباشرة.

سألته: «منذ متى وأنت هنا؟».

قال وهو ينظر إلى الهاتف الخليوي في يده: «ست ساعات». ينظر إليّ مرة أخرى: «أحتاج بشدة إلى استخدام حمامك».

أريد أن أضحك، لكن لا أستطيع أن أتذكر كيف أضحك.

أتجه نحو بابي، بينما يبتعد عن الطريق كي أفتحه.

تدفع يدي المرتجفة باب شقتي، ثم أدخل، وأشير إلى الردهة: «على اليمين».

لا أنظر إليه وهو يسير في هذا الاتجاه. أنتظر حتى يُغلق باب الحمام، فأسقط على الأريكة وأدفن وجهي بين يدي.

أكره أنه هنا. أكره أنني سمحت له بالدخول دون سؤال. أكره أنه بمجرد خروجه من الحمام، سأضطر إلى جعله يغادر.

لكنني لا أستطيع أن أفعل هذا بنفسى بعد الآن.

كنت أحاول حينها جمع قواي عندما فُتح باب الحمام وعاد إلى غرفة المعيشة. أنظر إليه ولا أستطيع أن أشيح بنظري بعيداً. هناك شيء مختلف.

إنه مختلف.

الابتسامة على وجهه.. السكينة في عينيه.. الطريقة التي يحمل بها نفسه وكأنه يطفو.
لقد مر أسبوعان فقط، لكنه يبدو مختلفاً تماماً.

يجلس على الأريكة ولا يكلف نفسه عناء وضع مسافة بيننا. إنه يجلس بجوارى مباشرة
وينحني نحوي، لذا أغمض عيني وأنتظر أي كلمات على وشك أن يقولها والتي ستؤذيني مرة
أخرى. هذا كل ما يعرف كيف يفعل.
همس: «تاي، أنا أفتقدك».

واو.

لم أكن أتوقع مطلقاً سماع تلك الكلمات الثلاثة، لكنها أصبحت كلماتي المفضلة الجديدة.
أنا، وأفتقدك، وأنت.
«قلها مرة أخرى يا مايلز».

يقول على الفور: «أنا أفتقدك يا تاي. جداً. وهذه ليست المرة الأولى. لقد افتقدتك في
كل يوم لم نكن فيه معاً منذ اللحظة التي التقيت بك فيها».
يلف ذراعه حول كتفي ويسحبني إليه.
أرتمي في حضنه.

سقطت على صدره وأمسكت قميصه وأغلقت عيني عندما شعرت بشفتيه تضغط على أعلى
رأسي.

قال بهدوء وهو يسحبني إلى حضنه لأكون أمامه: «انظري إلي».
أفعل. أنا أنظر إليه. أنا في الواقع أراه هذه المرة. ليس هناك دروع حماية.
لا يوجد جدار غير مرئي يمنعني من معرفته واستكشاف كل شيء عنه. إنه يسمح لي برؤيته
هذه المرة، وهو جميل. أجمل بكثير من ذي قبل. ومهما تغير فيه، فقد كان هائلاً.
يقول: «أريد أن أقول لك شيئاً. من الصعب جداً بالنسبة لي أن أقول هذا، لأنك أول شخص
أردت أن أقول له ذلك على الإطلاق». أنا خائفة من التحرك. كلماته تخيفني، لكنني أومئ
برأسي.

يقول بهدوء وهو ينظر إلى أيدينا المتشابكة الآن: «كان لدي ابن». نطق هذه الكلمات
الثلاث بألم أكبر من أي ألم سبق وأن سمعت به ثلاث كلمات على الإطلاق.

آخذ نفساً عميقاً. ينظر إلي والدموع في عينيه، لكنني أبقى هادئةً من أجله، مع أن كلماته قطعت أنفاسي.

«لقد مات منذ ست سنوات». صوته ناعم وبعيد، لكنه لا يزال صوته.

أستطيع أن أقول إن هذه الكلمات أصعب كلمات قالها علي الإطلاق. يؤلمه كثيراً أن يعترف بذلك. أريد أن أقول له أن يتوقف. أريد أن أخبره أنني لست بحاجة إلى سماع ذلك إذا كان الأمر مؤلماً. أريد أن أُلْف ذراعي حوله وأنزع بيدي العاريتين الحزن من روحه، لكن بدلاً من ذلك، تركته يكمل. ينظر مايلز إلى أصابعنا المتشابكة: «لست مستعداً لإخبارك عنه بعد. أريد أن أفعل ذلك بالسرعة التي تناسبني».

أومات وضغطت على يديه مطمئنة.

«سأخبرك عنه رغم ذلك. أعدك. أريد أيضاً أن أخبرك عن ريتشل. أريدك أن تعرفي كل

شيء عن ماضي».

لا أعرف حتى إذا كان قد انتهى، لكنني انحنيت إلى الأمام وضغطت شفتي على شفتيه. يسحبني إليه بشدة ويدفعني نحو فمه بقوة كما لو أنه يقول لي إنه آسف دون استخدام الكلمات.

همس في فمي: «تأيت». أستطيع أن أشعر به وهو يبتسم: «أنا لم أنته». يرفعني ويُجلسني بجانبه على الأريكة. إبهامه يدور حول كتفي وهو ينظر إلى حجره، ويبحث عن الكلمات التي يريد أن يقولها لي.

قال وهو يرفع عينيه ليلتقي بعيني: «لقد ولدت وترعرعت في ضاحية صغيرة خارج سان فرانسيسكو. أنا طفل وحيد. ليس لدي أي أطعمة مفضلة حقاً، لأنني أحب كل شيء تقريباً. لقد أردت أن أكون طياراً منذ الأزل. توفيت والدتي بمرض السرطان عندما كنت في السابعة عشرة من عمري. والدي متزوج منذ عام تقريباً من امرأة تعمل لديه. إنها لطيفة، وهما سعيدان معاً. لقد كنت أرغب دائماً في الحصول على كلب، لكن لم أملك واحداً من قبل...».

أشاهده وأنا مفتونة به. أشاهد عينيه وهما يتجولان حول وجهي أثناء حديثه. بينما يخبرني بكل شيء عن طفولته وماضيه، وكيف التقى بأخي وعلاقته بإيان.

يده تجد يدي فيغطيها وكأنه أصبح درعي. حمايتي. قال أخيراً: «الليلة التي التقيت بك فيها. الليلة التي وجدتني فيها في الردهة؟». عيناه تتجه نحو حجره، غير قادر على النظر إلي.
«أتم ابني السادسة من عمره في ذلك اليوم».

أعلم أنه قال إنه يريدني أن أستمع إليه، لكن الآن، أريد فقط أن أعانقه. انحنيت إلى الأمام ولففت ذراعي حوله، وهو يستلقي على الأريكة، ويسحبني فوقه.

«لقد بذلت قصارى جهدي لأحاول إقناع نفسي أنني لا أقع في حبك يا تاي. الأشياء التي شعرت بها في كل مرة كنت بجوارك، كانت تُرعيني. لقد أمضيت ست سنوات وأنا أعتقد أنني أسيطر على حياتي وقلبي، وأن لا شيء يمكن أن يؤذي مرة أخرى. لكن عندما كنا معاً، كانت هناك لحظات لم أكن أهتم فيها إذا تأذيت مرة أخرى، لأن وجودي معك كان شعوراً يستحق الألم المحتمل. في كل مرة بدأت أشعر بهذه الطريقة، كنت أدفعك بعيداً جداً عن الشعور بالذنب والخوف. شعرت وكأنني لا أستحقك. لم أكن أستحق السعادة على الإطلاق، لأنني انتزعتها من الشخصين الوحيدين اللذين أحبتهما في حياتي».

ذراعاه يشندان من حولي عندما يشعر بكتفي يرتجفان من الدموع التي تنهمر من عيني. تلتقي شفاهه بأعلى رأسي، وهو يأخذ نفساً ثابتاً بينما يقبلني، قبلة طويلة وقوية.

يقول بصوت مليء بالندم: «أنا آسف لأن الأمر استغرق وقتاً طويلاً. لكنني لن أكون قادراً أبداً على شكرك بما يكفي لعدم التخلي عني. لقد رأيت شيئاً في داخلي أعطاك الأمل فينا، ولم تتخلي عن ذلك يا تاي؟ وهذا يعني كثيراً بالنسبة لي، أكثر من أي شيء فعله لي أي شخص على الإطلاق». تلتقي يدها بوجنتي، ويرفعني بعيداً عن صدره حتى يتمكن من رؤيتي وجهاً لوجه: «قد تكون قطعة صغيرة في كل مرة، لكن الماضي أصبح ملكك الآن. كله. أي شيء تريدين معرفته، أريد أن أخبرك به. لكن فقط إذا وعدتني، أنني يمكنني أيضاً الاستحواذ على مستقبلك».

تنهمر الدموع على خدي، فيمسحها، رغم أنني لا أريده أن يفعل ذلك. لا يهمني أنني أبكي، لأنها ليست دموع حزن.

مطلقاً.

نتبادل القبلات لفترة طويلة، لدرجة أن فمي بدأ يؤلمني بقدر ما يؤلمني قلبي. لكن قلبي لا يتألم من الألم هذه المرة. إنه أمر مؤلم لأنني لم يسبق لي أن شعرت بهذا الامتلاء من قبل. تلمست أصابعي الندبة الموجودة على فكه، وأنا أعلم أنه سيخبرني في نهاية المطاف كيف حصل عليها. لمست أيضاً الكدمة أسفل عينه، وأنا أشعر بالراحة لأنني أستطيع أخيراً أن أطرح عليه الأسئلة دون أن أخاف من أن أزعجه.

«ماذا حدث لعينك؟».

يضحك ويترك رأسه تسقط على الأريكة: «كان علي أن أسأل كوربين عن عنوانك. فأعطاني إياه، لقد تطلب الأمر الكثير من الإقناع».

أميل إلى الأمام على الفور وأقبل عينه بلطف: «لا أستطيع أن أصدق أنه ضربك». يعترف قائلاً: «ليست المرة الأولى. لكنني متأكد من أنها ستكون الأخيرة. أعتقد أنه تقبل أخيراً حقيقة أننا معاً بعد أن وافقت على بعض قواعده». أسأل بعصبية: «أية قواعد؟».

يقول: «حسناً، أولاً ليس مسموحاً لي أن أكسر قلبك. ثانياً، لا يُسمح لي أبداً بكسر قلبك. وأخيراً، غير مسموح لي بحق الجحيم أن أكسر قلبك».

لا أستطيع منع ضحكتي، لأن هذا يبدو تماماً مثل شيء سيقوله له كوربين. يضحك مايلز معي، ونحتضن بعضنا بعضاً عدة لحظات هادئة. أستطيع أن أرى كل شيء في عينيه الآن. كل عاطفة.

أقول مبتسمة: «مايلز، أنت تنظر إلي وكأنك واقع في حبي».

يهز رأسه: «لم أقع في حبك يا تاي. أنا أطفو».

يعيدني إلى حضنه ويمنحني الجزء الوحيد من نفسه الذي لم يتمكن من إعطائي إياه قبل الآن.

قلبه.

الفصل التاسع والثلاثون

مايلز

أقف عند باب غرفة نومي وأشاهدها وهي نائمة. إنها لا تعرف أنني أفعل ذلك كل صباح هي هنا فيه. إنها ما يجعل يومي يبدأ صحيحًا.

المرّة الأولى التي فعلت فيها هذا، كان في الصباح التالي لمقابلتها. لم أستطع تذكر الكثير من الليلة السابقة. الشيء الوحيد الذي تذكرته كان هي.

كنت على الأريكة، وكانت تمسد على شعري، وتهمس، وتطلب مني أن أنام. عندما استيقظت في شقة كوربين في صباح اليوم التالي، لم أتمكن من إخراجها من رأسي. اعتقدت أنها كانت حلمًا حتى رأيت حقيبتها في غرفة المعيشة.

ألقيت نظرة خاطفة داخل غرفة نومها فقط لمعرفة ما إذا كان هناك أي شخص معي في الشقة. ما شعرت به في اللحظة التي وضعت فيها عيني عليها كان شيئاً لم أشعر به منذ اللحظة التي وضعت فيها عيني على ريتشل لأول مرة.

شعرت وكأنني أطفو. بشرتها وشعرها وشفاتها والطريقة التي بدت بها كالملاك بينما كنت أقف هناك وأشاهدها، أعادت لي الكثير من المشاعر التي كانت غريبة عني خلال السنوات الست الماضية.

لقد قضيت وقتاً طويلاً أرفض السماح لنفسني بالشعور بأي شيء تجاه أي شخص. لا يعني ذلك أنه كان بإمكانني التحكم في المشاعر التي كنت أشعر بها تجاه تاي في ذلك اليوم. لم أستطع السيطرة على مشاعري حتى لو أردت ذلك.

أعرف، لأنني حاولت.

حاولت بضراوة.

لكن في اللحظة التي فتحت فيها عينيها ونظرت إلي، عرفت. إما أنها ستكون موتي... أو من سيعيدني إلى الحياة أخيراً.

المشكلة الوحيدة التي واجهتني في ذلك هي أنني لم أرغب في العودة إلى الحياة. لقد كنت مرتاحًا. كانت حماية نفسي من احتمالية تجربة ما مررت به في الماضي هي أولويتي الوحيدة. ومع ذلك، كانت هناك لحظات كثيرة نسيت فيها ما كان من المفترض أن تكون عليه أولويتي الوحيدة.

عندما استسلمت لها وقبلتها أخيرًا، كانت تلك هي النقطة التي تغير فيها كل شيء. أردت أكثر من ذلك بكثير بعد أن جربت تلك القبلة معها. أردت فمها وجسدها وعقلها، والسبب الوحيد الذي جعلني أتوقف هو أنني شعرت بنفسي أيضًا أريد قلبها. لقد كنت جيدًا في الكذب على نفسي. أقنعت نفسي بأنني قوي بما يكفي لأحظى بها جسديًا دون أي طريقة أخرى. لم أكن أريد أن أتأذى مرة أخرى، وأنا متأكد من أنني لا أريد أن أؤذيها. ومع ذلك، فعلت هذا. لقد آذيتها كثيرًا. أكثر من مرة. الآن أخطط لقضاء العمر في تعويضها.

أتوجه إلى سريري وأجلس على حافته. تشعر بجلستي على السرير، وتفتح عينيها لكن ليس بالكامل. ترتسم ابتسامة على شفيتها قبل أن تسحب الغطاء فوق رأسها وتلتف. لقد بدأنا المواعدة رسميًا منذ ستة أشهر، وكان ذلك وقتًا كافيًا بالنسبة لي لأدرك أنها ليست شخصًا صباحيًا على الإطلاق. أميل إلى الأمام وأقبل الغطاء الذي يغطي أذنها. همست: «استيقظي يا ذات الرأس النائم». كانت تتأوه بتذمر، فرفعت الأغطية وانزلت خلفها، ولففت نفسي حولها. يتحول تذرمرها في النهاية إلى أنين ناعم.

«تأيت، عليك أن تستيقظي. لدينا طائرة يجب نلحق بها.»
هذا يلفت انتباهها.

تلتف بحذر وتسحب الأغطية من فوق رؤوسنا: «ماذا تقصد بحق الجحيم أن لدينا طائرة نلحق بها؟»

ابتسمت محاولًا احتواء توقعاتي: «استيقظي، ارتدي ملابسك، دعينا نذهب.»
تنظر إلي بريبة، وهو أمر منطقي تمامًا، مع الأخذ في الاعتبار أن الساعة لم تصل الخامسة صباحًا بعد: «أعلم أنك تعرف كم هو نادر بالنسبة لي أن أحصل على يوم إجازة كامل، لذا من

الأفضل أن يكون الأمر يستحق».

أضحك وأمنحها قبلة سريعة: «كل هذا يعتمد على قدرتنا على الالتزام بالمواعيد». أقف وأربت على المرتبة براحة يدي عدة مرات: «انهضي، انهضي، انهضي». تضحك وتزيل الغطاء عنها تماماً. تنطلق بسرعة إلى حافة السرير، بينما أساعدها على الوقوف: «من الصعب أن أظل منزعجة منك عندما أكون دائخة إلى هذه الدرجة يا مايلز».

وصلنا إلى الردهة، وكان كاب ينتظر عند المصعد تماماً كما طلبت منه. معه العصير في كوب جاهز ووجبة إفطارنا. أحب العلاقة بينهما. لقد كنت قلقاً بعض الشيء عندما أخبرت تايث أنني أعرف كاب طوال حياتي. عندما أخبرتها أخيراً، كانت غاضبة منا. في الغالب لأنها افترضت أن كاب كان يخبرني بكل شيء اعترفت له به. لقد أكدت لها أن كاب لم يفعل ذلك.

أعلم أنه لن يفعل ذلك، لأن كاب هو أحد الأشخاص القلائل الذين أثق بهم في هذا العالم. كان يعرف الأشياء الصحيحة التي يجب أن يقولها لي دون أن يبدو كما لو كان يحاضرني، أو يقدم لي النصيحة. كان يقول دائماً ما يكفي لي يجعلني أفكر طويلاً وبعمق بشأن موقفني مع تايث. ولحسن الحظ، فهو واحد من الأشخاص القلائل الذين مع التقدم العمر يصبحون أكثر حكمة. كان يعرف ما كان يفعله معنا طوال الوقت.

قال لها وهو يبتسم من الأذن إلى الأذن: «صباح الخير يا تايث». يمد ذراعه لها لتأخذها، وهي تجول بنظرها بيننا.

تسأل كاب عندما يبدأ في السير بها نحو مخرج الردهة: «ما الذي يحدث هنا؟». يضحك: «هذا الصبي على وشك أن يأخذني في أول رحلة لي بالطائرة. أردت منك أن تأتي معي أيضاً».

أخبرته أنها لا تعرف أن هذه هي المرة الأولى له في الطائرة. يقول: «هذا صحيح. حصولي على لقب مسؤول رحلة الطيران، لا يعني أنني كنت على متن طائرة حقيقية من قبل». نظرة التقدير التي ألقتها عليّ من فوق كتفي كافية لأعلن أن هذا اليوم هو أحد أيامي المفضلة، رغم أن النهار لم يشرق بعد.

أقول عبر سماعة الرأس: «هل أنت بخير حيث أنت يا كاب؟». إنه يجلس مباشرة خلف تاي، ويحدق من نافذته. يشير بإبهامه لأعلى لكنه لا يرفع عينيه عن النافذة. لم تخترق الشمس الغيوم بعد، وليس هناك الكثير مما يمكن رؤيته في هذه المرحلة. لقد مكثنا في الطائرة عشر دقائق فقط، لكنني متأكد تمامًا من أنه مفتون بالقدر الذي كنت أتمنى أن يكون عليه.

أعيد انتباهي إلى عناصر التحكم حتى أصل إلى الارتفاع الأمثل، ثم أكم صوت سماعة الرأس الخاصة بكاب. ألقى نظرة على تاي، وهي تحدق بي، وتراقبني بابتسامة تقدير تنتشر على شفيتها.

أسألها: «هل تريدين أن تعرفي لماذا نحن هنا؟».

تنظر من فوق كتفها إلى كاب ثم تنظر إليّ مرة أخرى: «لأنه لم يفعل هذا من قبل». أهز رأسي بالنفي في الوقت المناسب تمامًا: «هل تتذكرين اليوم الذي كنا فيه عائدين من منزل أبويك بعد عيد الشكر؟».

أومأت برأسها، بينما يملأ الفضول عينيها الآن: «لقد سألت كيف كانت تجربة مشاهدة شروق الشمس من هنا. إنه شيئاً لا يمكن وصفه يا تاي». أشير إلى نافذتها: «عليك فقط تجربة ذلك بنفسك».

تستدير على الفور وتنظر من نافذتها. تضغط راحتي يديها على الزجاج، ولم تحرك عضلة واحدة لمدة خمس دقائق متواصلة. إنها تشاهده بثبات، ولا أعرف كيف، لكنني أقع في حبها أكثر في هذه اللحظة.

عندما اخترقت الشمس الغيوم وامتلات الطائرة بالكامل بضوء الشمس، استدارت أخيراً لمواجهتي. وعيناها ممتلئتان بالدموع، دون أن تتفوه بكلمة. فقط تمد يدها إلى يدي وتمسك بها.

أقول لها: «انتظري هنا. أريد أن أساعد كاب على الخروج أولاً. سيعيده سائق إلى الشقة، لأننا سنذهب أنا وأنت لتناول الإفطار بعد ذلك».

تقول وداعاً لكاب وتنتظر بصبر في الطائرة بينما أساعده في نزول الدرج. مد يده إلى جيبه وناولني العُلب، ثم أظهر لي إحدى ابتساماته المواقفة. أدخلت العلب في جيب سترتي واستدرت نحو الدرج.

يصرخ كاب مباشرة قبل الصعود إلى السيارة: «يا صبي!». أتوقف وأستدير لمواجهته. ينظر إلى الطائرة خلفي. قال وهو يلوح بيده على طول الطائرة: «شكراً لك على هذا». أو مأت برأسي، لكنه اختفى داخل السيارة قبل أن أقول له شكراً لك أيضاً.

أعاود صعود درج الطائرة. لقد فكّت حزام الأمان الخاص بها، واستعدت للخروج من الطائرة، لكنني انزلت مرة أخرى إلى مقعدي.

تبتسم لي بحرارة: «أنت رائع، مايلز ميكيل آرتشر. ويجب أن أقول، إنك تبدو مشيراً جداً وأنت تحلق بالطائرة. ينبغي أن نفعل هذا مرات كثيرة».

أعطتني قبلة سريعة على فمي وبدأت في النهوض من مقعدها.

دفعتها للجلوس مرة أخرى وأنا أتحول لأواجهها بالكامل وقلت: «لم ننته بعد». أحمل يديها بين يدي وأنظر إليهما، وأتنفس ببطء، وأستعد لقول كل ما تستحق سماعه: «ذلك اليوم سألتني عن مشاهدة شروق الشمس؟». أعاود النظر في عيونها مرة أخرى: «أود أن أشكرك على ذلك. لقد كانت اللحظة الأولى منذ أكثر من ست سنوات التي شعرت فيها أنني أريد أن أحب شخصاً ما مرة أخرى».

تُخرج أنفاساً سريعة مع ابتسامة تسحب شفيتها السفلية لمحاولة إخفائها. أرفع يدي إلى وجهها وأسحب شفيتها من تحت أسنانها بإبهامي: «قلت لك ألا تفعل ذلك. أحب ابتسامتك بقدر ما أحبك».

أميل نحوها لأقبلها مرة أخرى، لكنني أبقيت عيني مفتوحة حتى أتأكد من أنني ألتقط العلبة السوداء أولاً. عندما أصبحت في يدي، أتوقف عن تقبيلها وأبتعد. تقع عيناها على العلبة وتتسع على الفور، وتتحرك ذهاباً وإياباً بين العلبة ووجهي. ترفع يدها وتغطي فمها.

قالت وهي تواصل تبادل النظرات بيني وبين العلبة التي في يدي: «مايلز». لكنني أقطعها وأقول: «هذا ليس ما تعتقدينه»، وفتحت العلبة على الفور لأكشف عن المفتاح. وأضفت بتردد: «الأمر ليس كما تعتقدين».

عينها واسعة ومليئة بالأمل، وأنا مرتاح لرد فعلها. أستطيع أن أقول من خلال ابتسامتها أنها تريد هذا.

أسحب المفتاح وأقلب يدها، ثم أضعه في راحة يدها. تحديق في المفتاح لعدة ثوانٍ وتنظر إليّ مرة أخرى. قلت وأنا أنظر إليها بأمل: «هل تنتقلين للعيش معي يا تايث؟». تنظر إلى المفتاح مرة أخرى، ثم تقول كلمتين جلبتا لوجهي ابتسامة فورية. اللعنة، نعم.

أميل إلى الأمام وأقبلها. تصبح أرجلنا وأذرعنا وأفواهنا مقطعتين من أحجية، تتناسبان معاً دون عناء. انتهى بها الأمر في حضني، تعطيني في قمرة قيادة للطائرة. إنها مكتظة وضيقة.

إنها مثالية.

تمسك بوجهي، وتطلق كل تحذير يمكنها فعله، كما لو أنني لا أعرف ما الذي أقحم نفسي فيه، وتقول: «أنا لست طباحة ماهرة للغاية. وأنت تغسل الملابس بطريقة أفضل مني. أنا أضع كل الملابس البيضاء والألوان معاً. وأنت تعلم أنني لست لطيفة جداً في الصباح». أقول لها: «اسمعي يا تايث، أريد فوضويتك. أريد ملابسك على أرض غرفة نومي. أريد فرشاة أسنانك في حما مي. أريد حذاءك في خزانتي. أريد بقايا طعامك المتواضع في ثلاجتي».

إنها تضحك على ذلك.

قلت وأنا أخرج العلبة الأخرى من جيبتي: «أوه، لقد نسيت تقريباً»، أحملها بيننا وأفتحها، وأكشف عن الخاتم. «أريدك أيضاً في مستقبلي. للأبد». تحديق في العلبة وفمها مفتوح من الصدمة. إنها متصلبة. آمل ألا يكون لديها أي شك، لأنه ليس لدي أي شك على الإطلاق عندما يتعلق الأمر بالرغبة في قضاء بقية حياتي معها. أعلم أن ستة أشهر فقط قد مرت، لكن عندما تعرف، ستعرف.

صمتها يجعلني أشعر بالتوتر، لذا أرفع الخاتم بسرعة وألتقط يدها: «هل تكسرين القاعدة الثانية معي يا تايث؟ لأنني أريد حقاً أن أتزوجك».

ليس عليها حتى أن تقول نعم. دموعها وقبالتها وضحكتها تقول ذلك.

تراجع وتنظر إلي بالكثير من الحب والتقدير مما يجعل صدري يؤلمني. إنها جميلة للغاية.
أملها جميل . الابتسامة على وجهها جميلة. الدموع المتدفقة على خديها جميلة.

حبها

جميل.

تزفر أنفاساً ناعمة وتتكئ ببطء وتضغط شفثيها بلطف على شفثي. قبلتها مليئة بالحنان
والمودة والوعد غير المعلن بأنها ملكي الآن. للأبد.

تهمس في فمي بينما تداعب شفثي بشفثيها: «مايلز، أنا لم أمارس الحب على متن طائرة
من قبل».

تشكل ابتسامة على الفور فوق شفثي. يبدو الأمر كما لو أنها اخترقت أفكارني بطريقة أو
بأخرى.

أقول ردًا على ذلك: «وأنا لم أمارس الحب مع خطيبي من قبل».

تنزلق يداها ببطء أسفل رقبتني وقميصي حتى تلتقي أصابعها بزر بنطالي الجينز.

قالت، وهي تنهي جملتها بقبلة: «حسنًا، أعتقد أننا بحاجة إلى تصحيح ذلك».

عندما يلتقي فمها بفمي مرة أخرى، يبدو الأمر كما لو أن كل قطعة أخيرة من درعي تتفكك
وكل قطعة ثلج تحيط بالجليد الذي كان حول قلبي، تذوب وتتبخر.

من الواضح أن من صاغ عبارة «أنا أحبك حتى الموت»، لم يختبر أبدًا هذا النوع من الحب
الذي نتشاركه أنا وتايت.

في هذه الحالة، فإن عبارة أحبك حتى الحياة، هي الأصح.

لأن هذا بالضبط ما فعلته تايت.

لقد أحبتني وأعادتني إلى الحياة.

النهاية

الخاتمة

أفكر في اليوم الذي تزوجتها فيه.
لقد كان أحد أفضل أيام حياتي.
أتذكر وقوفي بجانب إيان وكوربين في نهاية الممر. كنا ننتظر دخولها عبر الأبواب عندما
انحنى كوربين وهمس لي بشيء.
قال: «أنت الشخص الوحيد الذي كان يتوافق مع اشتراطاتي لها يا مايلز. أنا سعيد أنه
أنت».

لقد كنت سعيداً أيضاً لأنه كان أنا..
كان ذلك منذ أكثر من عامين، وكل يوم منذ ذلك الحين، أصبحت أقع في حبها بطريقة أو
بأخرى.

أو أحلق، بصيغة أدق.

ومع ذلك، لم أبك في اليوم الذي تزوجنا فيه.
بينما كانت دموعها

تنهمر

وتنهمر

وتنهمر

في ذلك اليوم، لكنني لم أكن كذلك.
كنت مقتنعا بأنني لن أذرف الدموع أبداً.
ليس بالطريقة التي تمنيت أن أتمكن بها من ذرف الدموع مجدداً.
لقد مر ثمانية أشهر منذ أن اكتشفنا أننا سنرزق بطفل.
لم نكن نحاول الإنجاب. لكننا أيضاً لم نمنع.
قالت تاي: «إذا حدث ذلك، فليحدث».
وقد حدث.

عندما اكتشفنا ذلك، كنا متحمسين.

بكت.
وكانت دموعها
تنهمر
وتنهمر
وتنهمر،
لكني لم أفعل.
بقدر ما كنت متحمساً، كنت خائفاً أيضاً.
كنت خائفاً من الرعب الذي يأتي مع حب شخص ما إلى هذا الحد.
خائفاً من كل شيء سيئ يمكن أن يحدث.
كنت خائفاً من أن ذكرياتي ستسلبني اليوم الذي سأصبح فيه أباً مرة أخرى.
حسناً، لقد حدث ذلك للتو.
وما زلت خائفاً.

مدعور.

يقول الطبيب: «إنها فتاة».

فتاة.

لقد رزقنا للتو بطفلة.

لقد أصبحت أباً مرة أخرى.

تايت أصبحت للتو أمّاً.

أشعر بشيء يا مايلز.

تايت تنظر إليّ.

أعلم أنها تستطيع رؤية الخوف في عيني. أعلم أيضاً مقدار الألم الذي تعانيه الآن، لكنها ما زالت تبتسم بطريقة ما.

همست وهي تقول اسمها بصوت عالٍ للمرة الأولى: «سام». أصرت تايت أن نسميها سام،
تكريماً لاسم كاب الحقيقي، سامويل.

لم أكن لأفعله بأي شكل آخر.

تذهب الممرضة إلى تايث وتضع سام بين ذراعيها.

تبدأ تايث في البكاء.

بينما لا تزال عيونني جافة.

ما زلتُ خائفاً جداً من إشاحة النظر عن تايث والنظر إلى ابنتنا.

أنا لا أخاف مما سأشعر به عندما أنظر إليها.

أخاف مما لن أشعر به.

أشعر بالرعب من أن تجاربي السابقة قد دمرت أي قدرة لدي على الشعور بما يجب أن يشعر به كل أب في هذه اللحظة.

تقول تايث، وهي تريد أن أكون أقرب: «تعال إلى هنا».

أجلس بجانبهما على السرير.

أعطتني سام، ويدي ترتجفان، لكنني أخذها على أي حال.

أغمض عيني وأخرج نفساً بطيئاً قبل أن أجد الشجاعة لفتحهما مرة أخرى.

شعرت بيد تايث تسقط بلطف على ذراعي.

همست: «انظر إليها. إنها جميلة يا مايلز».

أفتح عيني وأتنفس بحدة عندما أراها.

إنها تبدو مثله تماماً، باستثناء شعر تايث البني.

عيناها زرقاء.

لها عيني.

أشعر بها.

أشعر بكل شيء هناك.

كل ما شعرت به عندما حملته بين ذراعي لأول مرة هو كل ما أشعر به الآن عندما أنظر إليها.

كان الاعتقاد بأنني أفتقر إلى القدرة على حب شخص ما بهذا القدر مرة أخرى، هو الخوف الوحيد الذي بقي لي للتغلب عليه.

نظرة واحدة إلى سام، ساعدتني في التغلب على هذا الخوف.

عمرها دقيقتان فقط، وصارت بطلتي بالفعل.
همست: «إنها جميلة جداً يا تاي. جميلة جداً».

صوتي يتشقق.

دموعي تغطي وجهي.

تنهمر

تنهمر

تنهمر.

لأول مرة منذ اللحظة التي حملت فيها كلايتون بين ذراعي، كنت أبكي من الفرح.
ريتشل كانت محقة. سيكون الألم موجوداً دائماً.

وكذلك الخوف.

لكن الألم والخوف لم يعودا حياتي. إنها لحظات فقط.

اللحظات التي تطغى عليها كل دقيقة أقضيها مع تاي.

والآن كل دقيقة أقضيها مع سام.

أنا وتاي وسام.

عائلتي.

أقبلها على جبهتها، ثم أنحني وأقبل تاي لأنه أعطتني شيئاً بهذا الجمال مرة أخرى.

تضع تاي رأسها على ذراعي، ونراقبها.

ابنتنا.

أحبك كثيراً يا سام.

أنظر إلى الكمال الذي صنعناه.

إنها تستحق كل ذلك.

إن مثل هذه اللحظات الجميلة هي التي تعوض الحب القبيح.